التاريخ الإسلامي

- ٤ -

العهد الأموي

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة السادسة
١٤١١هـ - ١٩٩١م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقياً : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فإن تاريخ بني أمية قد أصابه الكثير من التشويه ، وغدا كأنه قد حدث انفصال مباشر بين العهد الراشدي والعهد الأموي دفعة واحدة حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الاسلام لم يُمكّن له إلا في العهد النبوي والراشدي ، وإذا وصل الأمر إلى هذه النقطة زيد فيه وقيل إن الحكم الاسلامي لم يقم إلا في عهد رسول الله ﷺ والخليفتين الراشدين من بعده وبدا فإن ذلك الحكم يؤقت بأقل من ربع قرن ، وقد تمكن أنصاره من ذلك بسبب الوضع البدوي السائد والحياة الاجتماعية البسيطة القائمة ، أما عندما وصلت الحضارة إلى المدينة المنورة بعد الفتوحات التي حدثت ، والاحتكاك بالحضارة الفارسية والرومانية فلم يعد الاسلام يثبت أمام تلك الحضارات ، وقامت الخلافات بين صحابة رسول الله ﷺ ، ويتمثل هذا فيا حدث بين علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حيث يمثل الأول التمسك بالإسلام ، ويمثل الثاني التأثر بالحضارة الرومانية حيث كان على تماسٍ مباشر معها في بلاد الشام ، وقد يكون تشويه تاريخ بني أمية لا يقصد به إلا ذاتهم إلا أن ذلك يمس الحكم الاسلامي أصلاً .

وقد طُعن بهذا العهد من جهات متعددة ، طُعن به من جهة خصومهم السياسيين من بني العباس الذين دوّن التاريخ في أيامهم ، وطُعن به من جهة أعدائهم التقليديين من الشيعة والخوارج ، وهم الذين ذاقوا على أيديهم أعنف الضربات . وطُعن به من جهة أصحاب العواطف من المسلمين الطيبين الذين هالهم ما أصاب انتقال الحكم من شورى أيام الخلفاء الراشدين إلى نظام ملكي أيام الأمويين ، وهو أمر على غاية من الأهمية ، وصعُب عليهم ما نال آل البيت من نكبات ، وما حلّ بالبيت الحرام من أذى ، وما لحق آل الزبير من مصائب ، وما قسا ولاتهم على المسلمين ، وطُعن بالعهد من جهة العوام الذين لا يعرفون من التاريخ إلا ما تناقلته الألسن ، وشاع بين الناس ، وما تداولته الأيدي من كتب ـ الله أعلم بواضعيها ـ ، هؤلاء جميعاً تكلموا عن الأمويين دون تفريق قد يكون بعضهم بقصد وآخرون من غير قصد ، وروجّوا الشائعات التي أشيعت عن بني أمية من غير دراسة أو تحليل أو من غير إلقاء نظرةٍ فاحصة عامة ، ثم غدت هذه الشائعات روايات حيكت بشكل مقبول ، ونسجت خيوط الأخبار بصورة تدين بني أمية ، وتصوّرهم بحالة من السوء كبيرة .

وساعد على قبول هذه الروايات محبة المسلمين جميعاً لآل بيت رسول الله ﷺ ، وتعاطفهم معهم هذا بالاضافة إلى أن النفس البشرية تعطف دائما على من تنزل به نكبة أو تحلّ به نازلة ، فتتناقل الألسن المصيبة ، وتزيد فيها حتى تصبح حزينة تدمى لها القلوب ، وتبكي معها العيون ، وتثير معها الأفئدة ، وإذا كانت بعض هذه المصائب التي حلّت بآل البيت هي هكذا بل قد تكون أقسى وأصعب مما صُوّرت حتى الآن ، ولكن كل مصيبة لا بدّ لها من دراسة وتحليل ، وما وقع فيها من اجتهاد ، وما حدث فيها من مبالغات وأخطاء ، والتفريق بين أصول تطبيق منهج الاسلام وبين

العواطف السطحية والمحبة الباردة.

وساعد على قبول مثل هذه الروايات لدى الناس تأخر أكثر بني أمية في قبول دعوة الاسلام حتى وقف أكثرهم في الصف المعادي تماماً للدعوة بل قادوا قريشاً لحرب الاسلام، وجيّشوا الجيوش، وحزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وكان على رأسهم أبو سفيان صخر بن حرب الذي تنتسب إليه الأسرة الأموية الأولى. وعندما أسلم قبيل فتح مكة يبدو واضحاً أن إسلامه إنما كان خوفاً من السيف، وسار مع المسلمين إلى «حنين» و «الطائف» والأزلام لا تزال في كنانته، وأعطي من الغنائم يومذاك الشيء الكثير هو وأولاده على أنهم من المؤلفة قلوبهم، هذه المواقف قد أنست الناس حسن إسلامه بعد هذه الغزوة مباشرة وتولية رسول الله ﷺ له على نجران، ووفاته عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض، وإرسال أبي بكر الصديق رضي الله عنه له إلى اليمن ليكون على الصدقات، وحسن صنيعه في الجهاد، إذ سار مع الجيوش المجاهدة إلى الشام وهو شيخ كبير قد قارب السبعين من العمر، وموقفه في معركة اليرموك، وحثه أبناءه على الجهاد والتضحية في سبيل الله، وكان أبو سفيان في جيش ابنه يزيد الذي كانت وجهته دمشق فقال لابنه القائد قبيل المعركة: يا بنيّ عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولّوا أمور المسلمين؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني، ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الاسلام منك. فقال: افعل ـ إن شاء الله[1].

ووقف أبو سفيان يوم اليرموك يحث المسلمين على القتال فقال: يا معشر

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج٧.

المسلمين انتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن امير المؤمنين وأعداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتوهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وان الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون. ثم ذهب الى النساء فوصاهن، ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الاسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم، ثم سار إلى موقعه ـ رحمه الله[1].. وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الاسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك[2]. وقال سعيد بن المسيب عن أبيه: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[3]. وانتصر المسلمون في اليرموك، وفقد أبو سفيان عينه الثانية، وكان قد فقد الأولى يوم حصار الطائف، وعاش بذلك بعد اليرموك كفيفاً، منقطعاً للعبادة، يخشى ما سبق منه أن صدّ عن سبيل الله. وكأن الناس قد نسوا أمثاله الذين كانوا لهم المواقف نفسها قبل إسلامهم بل منها ما هو أشد، ثم أسلموا، وأبلوا فأحسنوا، وكانوا قدوةً حسنة للمسلمين

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج٧ ص٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر نفسه

في تطاهر الألسن بشيء أمثال خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي قاتل المسلمين في كل ميدان، ووقف ضد رسول الله في كل موقف، ونال من المسلمين في أحد وربما كان السبب الرئيسي فيما حلّ بهم يومذاك، ثم أسلم، ويقول هو رضي الله عنه عن إسلامه وبيعته لرسول الله ﷺ: وبايعت رسول الله ﷺ، وقلت: استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صدٍّ عن سبيل الله، فقال «إن الاسلام يجب ما كان قبله». قلت: يا رسول الله على ذلك فقال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدٍّ عن سبيلك»[1] وهذا ينطبق على خالد بن الوليد كما ينطبق على عمرو بن العاص، وأبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وزهير بن أبي أمية المخزومي، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي وغيرهم.

وساعد على قبول هذه الروايات أيضاً موقف مروان بن الحكم مؤسس الأسرة الأموية الثانية الذي برز فجأة ولم يعرف من قبل إذ كان عمره ثماني سنوات عندما توفي رسول الله ﷺ ظهر في أواخر أيام سيدنا عثمان بن عفان يشترك في بعض القضايا المهمة والخليفة يثق به ويوليه الكثير من المهام، وذلك على زعم المؤرخين، ودافع عن الخليفة عثمان رضي الله عنه دفاع المستميت، واشترك في معركة الجمل، وقاتل حتى اثخنته الجراح، وأدخل إلى أحد بيوت النساء ليداوى.

وساعد على قبول هذه الروايات الصورة المشرقة لسيدنا علي رضي الله عنه منذ نعومة أظفاره وفي بدء الدعوة والمعارك التي خاضها مع رسول الله ﷺ ضد المشركين واليهود في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين فتعلقت به النفوس. وهو أهل لذلك ـ فقد كان بطل المشاهد ورجل الحروب. ومنذ

---

(١) طبقات ابن سعد: ج ٤ ص. ٢٥٢ ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ.

بداية الخلافة الراشدة ووفاة رسول الله ﷺ بدأ يخبو نجمه ويخفت صوته بعد أن لمع وتألق كثيراً، وهذا اختفاء ظاهري لا حقيقي وذلك لأن الأنظار قد اتجهت نحو الفتوحات التي لم يشارك فيها علي رضي الله عنه لرغبة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إبقاء كبار الصحابة في مدينة رسول الله ﷺ يستشيرهم الخليفة، ويدعمونه، وقد كفاهم من جهادهم مع رسول الله ﷺ، وقد تألق قادة الفتح على حين لم يبرز في المدينة سوى الخليفة، والواقع أن مركز سيدنا علي رضي الله عنه لم يتزل أيام الراشدين فقد كان ساعد أبي بكر رضي الله عنه في أحلك الظروف وقت فتنة الردة، وساعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومستشاره، وواليه على المدينة عندما يخرج منها، وتُحال قضايا الفتوى إليه، وكان ساعدَ عثمان بن عفان رضي الله عنه يستشيره في الملمات ويأخذ رأيه إذا حزب الأمر. وادعى بعضهم ان الخلافة كانت تدفع عن علي دفعا، ولما كانت النفوس متعلقة به وبطولته لذا فقد رأى بعضها أنه أحق الناس بالخلافة، وبررت رأيها بقرابته من رسول الله ﷺ، وبصفته ختنه، ولكونه أبا للحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان الخلافة إرثاً يتوارثها الأقرباء بعضهم من بعض، وأن أكبر اعتراض على الأمويين والعباسيين ومن جاء بعدهم اتخاذ الملكية نظاماً بدلاً من الشورى، ولم ينظر إلى علي رضي الله عنه أنه لم يكن يريد الخلافة أبداً وهذا ما يبدو من خطبه التي تنسب إليه «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا[1] على كظة[2] ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها

---

(١) ألا يقارّوا: ألا يوافقوا مقرين.

(٢) الكظة: ما يعتري الآكل من الثقل والكرب عند امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق.

ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة[1] عنز ». وأن علياً رضي الله عنه كان لا يزال في مطلع الشباب فلم يزد عمره على الثلاثين كثيراً عندما توفي رسول الله ﷺ على حين كان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في الستين او ما يقرب منها ، والعرب ترى في السن أثراً في تقدم القوم والرئاسة عليهم ، ولم ينظر أيضاً إلى ما لقي رضي الله عنه من عنت أنصاره قبل خصومه ، وهم الذين ادعوا حبه ونصحه ، وكانوا أبعد ما يكون عن الطاعة أثناء الشدائد حتى تكرر في خطبه قوله « ولكن لا رأي لمن لا يطاع » ، وحتى ملّهم ، وكره العيش معهم ، ورغب في مفارقتهم ، فكان يقول : « اللهم إني قد مللتهم وملّوني وأبغضتهم وأبغضوني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني » ، وما وجد منهم وجد أبناؤه كذلك مع دعوى أنصاره حبهم أيضاً ورغبتهم في نصرة آل البيت وهؤلاء الأشياع قد ركّزوا على ما لقي من خصومه ، ونسوا ما وجد منهم ، وعلى كلٍ فإن ما لقي من متاعب ، وما حلّ به من نكبات ، وما وجد من نقض للعهود من أنصاره وخصومه على حدٍ سواء قد جعل المسلمين يميلون نحوه إضافة إلى حبهم الحقيقي له وميلهم الصحيح له فهو أهل لذلك ، وهو سيد عصره بلا منازع ، وأفضل من عليها يوم آلت إليه الخلافة .

وساعد على نشر الشائعات ضد بني أمية ما كان من فتن في أواخر أيام الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبب فتنة ابن السوداء ، عبدالله بن سبأ ، ومؤامرات اليهود ، ومظاهرة المجوس لهم ، وكيد النصارى أيضاً ونسب هذا كله إلى حكم الخليفة وسُمّي عجزاً ، وإلى رغبة سيدنا عثمان في عدم الضغط على المسلمين وعدم أخذهم بالشدة ، وسُمّي

---

(1) عفطة عنز : ما تنثره العنز من أنفها .

ضعفاً، على حين كانت شدة ولاته على أصحاب الفتن من جملة المؤيدات لأعدائه فحملوا عليهم، وعدوهم قساة ظالمين، ولما كانوا من البيت الأموي فقد نسبوا إلى الخليفة تقريبه لأهل بيته، ومالأتهم، وقد تحمل الخليفة رضي الله عنه تبعة ذلك، وسبحان الله فالحليم ضعيفاً والقوي ظالماً! فمن هو المرغوب فيه؟ ونُظر الى سيدنا عثمان وكأنه ليس بالخليفة الراشدي، ونُسي إصهار رسول الله ﷺ له، ومواقفه في الدفاع عن الاسلام بالمال والنفس، ويوم الحديبية، وساعة العسرة، وفتوحاته في أول عهده، والرخاء الذي أصاب المسلمين جميعاً في بداية أمره، وكيف كان يواسي المسلمين بماله، ويسعفهم من أملاكه، ولم يذكر عنه إلا ما كان في أواخر أيامه يوم حدثت الفتن، وعمت الفوضى.

وساعد في إظهار معايب بني أمية الخلاف الذي جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد اجتهد كل منهما لمصلحة المسلمين والسير على الطريق الصحيح وإن كنا نرى أن الخليفة الشرعي هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا يحق لوالٍ من الولاة أن يعارض الخليفة، ويدعو الى قضية هي من حق الخليفة وحده، إلا أنه قد اختلط عليه بسبب الفوضى وسيطرة المشاغبين على المدينة المنورة، إلا أن أنصار علي رضي الله عنه أو من يدعون ذلك قد أبعدوا عن معاوية رضي الله عنه كل مكرمة، ونسوا صحبته، وكتابته للوحي، وفتوحاته، وتقديره لسيدنا علي رضي الله عنه في حياته ومماته- وهو ما سنتعرض له في الصفحات القادمة - إن شاء الله -، ونسبوا إليه لعنه وتحقيره وهو أمر لا يقبله مؤمن، ولا يصدقه مسلم.

وساعد في قبول هذه الروايات النكبات التي حلت بآل البيت بل التي توالت عليهم، فحادثة كربلاء التي تعدّ فاجعة كبيرة نزلت بآل البيت وذهب فيها بطلها سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأكثر إخوانه

وابنائه، وهو أفضل من عليها يومذاك، وإذا كان الإمام الحسين رضي الله عنه مجتهداً في خروجه إلا أن ذلك الخروج ليس له ما يبرره من الناحية الشرعية، كما أنه ليس بالصحيح من الناحية السياسية والعسكرية والاجتماعية، فجماعته لا تزيد كثيراً على المائة اكثرها من النساء والأطفال تخرج إلى مكان تعم فيه الفوضى ليقوم زعيمها هناك بالثورة ضد الحكم الضعيف، ويحمل لواء الجهاد ليعمل على تطبيق المنهج الاسلامي بشكل اكثر سلامةً، وتتوقع هذه الجماعة القتال والصدام بوالي بني أمية الذي يملك الأمر بشكل قوي، ويقسو على أنصارها بكل شدة وإذا نظرنا إلى ما فعله جيش بني أمية بل أحد ولاتهم في هذه الحادثة ألا يجب أن ننظر إلى ما فعله أولئك الذين دعوا سيدنا الحسين للخروج اليهم، ثم تخلّوا عنه ساعة الشدة، وسلموا رسوله ابن عمه مسلم بن عقيل وقت الضيق، بل انضم أكثرهم إلى الجيش الذي قاتل الحسين، وشاهدوا مصرعه، ولم ينصروه، ألا يعدّ أولئك هم القتلة الحقيقيون له! وهذا ما يدل على أن الذين تولوا كبر هذه الفاجعة إنما هم الذين سجلوها بهذه الصورة فذكروا ما فعلت خصومهم ونسوا ما اقترفت ايديهم هم منها، فلم يسجلوا خيانتهم له، ومشاركتهم في قتله وأنصاره وأهله. وإضافة إلى فاجعة كربلاء كانت ثورة زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم في الكوفة عام ١٢٢ أيام خلافة هشام بن عبد الملك، وكما سلّم أهل هذه المدينة الحسين بن علي سلّموا كذلك حفيده زيد، وقد دعوه للخروج، وحثوه على ذلك فلما قام تخلوا عنه ورفضوه، ومنذ ذلك الوقت عرفوا باسم الرافضة وهو الذي أطلق عليهم هذا الاسم، وبعد كل هذا لم يرعووا ولم يتفكروا بل قاموا يعلنون توبتهم بعد كل حادثة يرتكبونها، فهم الذين أعلنوا عدم الطاعة لسيدنا علي، وأجبروه مرات كثيرة على ما لم يرد حتى ملّهم، ثم تواتوا عن نصرة سيدنا الحسن، وتباطؤوا

في القتال حتى رأى أنه لا بدّ من مبايعة سيدنا معاوية ، ثم بدؤوا يظهرون اللوم والتأفف وإذا كانت أئمتهم قد بايعت فما عليهم إلا البيعة والقبول بالخليفة الجديد ، وإذا نسبوا لأئمتهم العصمة فكيف يرفضون ما عمل هؤلاء الأئمة ، وما قاموا به ، ولم يقبلوا عليهم طائعين راضين؟ ثم تخلوا عن الحسين وعن زيد بعد أن دعوهم للخروج ، وأظهروا لهم التأييد ومما يلاحظ أثناء دراسة كتب التاريخ التي بين أيدينا أن الخوارج قد حلّت بهم النكبات أكثر مما حلّت بآل البيت ، وأن ما فيها من المآسي اكثر مما في تلك ، ومع ذلك فقد سُجّلت حروب الخوارج على أنها ضرورة اقتضتها ظروف الدولة ، وكان الحق بجانب الحكم ، على حين صوّرت ثورات آل البيت بأن الحق مع الخارجين وأن الدولة ظالمة لهم بعيدة عن تطبيق الشرع ، فكيف هي عادلة في جانب وظالمة في آخر؟ وتطبق الاسلام مع فئة وتخالفه مع ثانية؟ على حين أن الخوارج يطلبون أن تكون الخلافة في الصالح لها ، ويطالبون بتطبيق الاسلام هذا خطهم العام مع ما فيه من مخالفات أخرى معروفة يكفرون فيها المسلمين الذين لا يرون رأيهم ، ويعدّون العصاة خالدين في النار ، أما الشيعة فيطالبون بالتسليم لآل البيت بالحكم على أن يكون فيهم متوارثاً بينما ينتقدون الحكم الوراثي إذا كان في غير من يدعون لهم ، هذه الحقائق تجعل أصابع الاتهام تتجه إلى ناحية معينة وتشير إلى جهة خاصة كان لها دور كبير في تسجيل أحداث التاريخ المغلوطة التي شاعت بين الناس حتى غدت عند أكثرهم حقيقة.

وساعد على قبول الشائعات ضد بني أمية ما نال أنصار علي رضي الله عنه من بعده ، فقد قتل عدد منهم بصور مختلفة ، ولعل من أبرزهم حجر بن عدي ، وقد كان مقتله في مرج عذراء شمال شرقي دمشق على بعد خمسة

وعشرين كيلاً منها ، واختلفت الروايات في قتله ، واتهم سيدنا معاوية في ذلك .

وساعد في قبول هذه الروايات شدة بعض ولاة بني أمية أمثال زياد بن أبيه الذي أخضع الكوفة والبصرة وما حولهما وابنه عبيد الله الذي سار على خطة أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتد لتوطيد سلطان بني امية ، وضربت بهما الأمثلة في الظلم ، وقتل الرجال ، إلا أن نظرة واحدة إلى هؤلاء الولاة تنبيء أن من ضرب به المثل إنما كانوا ولاة على العراق فقط ، وذلك لما عمّ ذلك المصر من فوضى واضطرابات ، فإذا جاءهم الوالي الرحيم استضعفوه وقاموا بالحركات ، وإذا جاءهم القوي استهابوه وخافوا منه ، وسمعوا منه وأطاعوه ، واستقر الوضع ، وهدأت الأمور ، فكان لا بدّ للوالي الذي يلي أمورهم من أخذهم بالشدة ، ومسكهم بالحزم والقوة حتى يستقر له الوضع ، وتستمر له الولاية ، وتتم له الهيبة ، ويسود الأمن ، ومن سار على هذه الطريقة وهي مطلوبة روّجوا الشائعات ضده وذكروا ظلمه وشدة بطشه ، ونسوا ما لقيت الرعية في هذا الاقليم من جور ، وما نالها من ظلم بسبب أهل الفتنة ، فلما تولى أمر البلد زياد بن أبيه أخذهم بالشدة فاستتب الأمن ، فلقد خاطب أهل البصرة خاصة والعراق عامة في أول خطبة له بعد أن تسلم أمرها خطبته المشهورة بالبتراء وقد جاء في بعض فقراتها «إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعنف ، وإني اقسم بالله لآخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد ، او تستقيم لي قناتكم . إن كذبة المنبر تبقى مشهورة ، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي ، وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا أن عندي أمثالها ، من

بيّت منكم فأنا ضامن لما ذهب له ، إياي ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليّ وإياي ودعوى الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد احدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوماً غرّقته ، ومن حرّق على قوم حرّقناه ، ومن نقب بيتاً نقبت قلبه ، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً . فكفّوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف يدي وأذاي ، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

وقد كانت بيني وبين أقوام إحن ، فجعلت ذلك دَبْرَ أذني ، وتحت قدمي ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته . إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يبدي لي صفحته ، فإذا فعل لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس ، قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم . واعلموا أني مهما قصّرت عنه فإني لا أقصّر عن ثلاث ، لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن إبانه ، ولا مجمّراً[1] لكم بعثاً . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ، ومتى تصلحوا يصلحوا . ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا

---

(١) تجمير الجند : حبسهم في أرض العدو ، ومنعهم من العودة إلى أهليهم .

حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم لكان شراً لكم.

أسأل الله ان يعين كلاً على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاي[1].

وكان زياد أول من شدّ أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدّم في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظِّنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً حتى أمن الناس بعضهم بعضاً، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله، وأدر العطاء، وبنى مدينة الرزق[2].

وقال الحجاج عندما وصل إلى الكوفة والياً عليها، وهو على منبر مسجدها:

«أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[3]

أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.

---

(1) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢١٩ - ٢٢١ طبعة دار المعارف بمصر - القاهرة.
(2) المصدر السابق ص. ٢٢٢.
(3) البيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي.

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشدّ ... لا بدّ مما ليس منه بدّ

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم[1]

قد لفها الليل بعصلبي[2] ... أروع خراج من الدوي[3]
مهاجر ليس بأعرابي

ليس أوان يكره الخلاط ... جاءت به والقلص الأعلاط[4]
تهوي هُوِيّ سابق الغطاط

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يقطع لي بالشنان[5]، ولقد فُررت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية القصوى. إن أمير المؤمنين، عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فوجّهني اليكم، فإنكم طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغي، أما والله لألحونّكم لحو العود، ولأعصبنكم[6] عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل. إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق[7] إلا فريت[8]. فإياي وهذه الجماعات وقيلاً وقالا، وما يقول، وفيم أنتم وذاك؟

---

(١) الوضم: كل ما يقطع عليه اللحم.
(٢) العصلبي: الشديد القادر على العمل والمشي.
(٣) الأرض الفضاء التي يسمع فيها خف الابل كالدوي.
(٤) الأعلاط: الابل التي دون أرسان.
(٥) الشنان: القربة البالية اليابسة.
(٦) أعصبنكم: أقطعكم.
(٧) أخلق: أقدر.
(٨) فريت: أصلحت.

والله ولتستقيمن على سبل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده. من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه، وأنهبت ماله».

واستقر الوضع بالعراق لبني أمية بهذه الشدة التي ساس فيها الحجاج الناس، وبعد أن ضعفت سلطة بني أمية فيها بعض الشيء بعد ولاية زياد بن أبيه، وما كان الوضع في هذا المصر ليستقيم لولا هذه الشدة، بل لانتشرت الفوضى وما كان المسلمون لينصرفوا إلى الفتوحات والجهاد لولا استقرار الأوضاع في أمصارهم وأقاليمهم كافة، أو ما كان الاسلام لينتشر في عهد بني أمية لولا استقرار الأمن والأوضاع بفضل هؤلاء الولاة وأمثالهم فقد عرفت الفتوحات أوجها أيام الحجاج فهو الذي سير محمد بن القاسم الثقفي إلى السند، وقتيبة بن مسلم الباهلي إلى بلاد ما وراء النهر، وانتشر الاسلام أيامه أكثر من أي وقت في العصر كله باستثناء أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وصحيح ان الحجاج قد قتل سعيد بن جبير وهو من أهل العلم وكبار التابعين، وكان سعيد قد اشترك في حركة ابن الأشعث التي كادت أن تجزّىء الدولة، وتهب عليها رياح الفتن.

وساعد في قبول هذه الروايات ضد بني أمية معركة الحرة التي جرت في أواخر عام ٦٣ هـ أيام يزيد بن معاوية، وكان جيشه بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقد استباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من أهلها ما قتل ثم سار إلى مكة المكرمة لحصار ابن الزبير فيها ولكنه مات في الطريق، وتولى امر جند الشام بعده الحصين بن نمير فحاصر مكة إلا أن نعي يزيد قد جاءه ففك الحصار.

ولما قوي ملك بني أمية مرة اخرى بالشام، جاء الحجاج بن يوسف

الثقفي وحاصر مكة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وقتل ابن الزبير، ودخل البيت الحرام، وهذا ما يثير المسلمين لما لابن الزبير من فضل، وما للحرم من حرمة، وما للكعبة من قدسية، ومع هذا فإن هذه الحادثة تبقى دون فاجعة كربلاء من حيث التسجيل وإثارة المسلمين، إذ سجلت كل منهما بأسلوب الأمر الذي يوضح الأيدي التي سجلت احداث التاريخ لهذه المدة من الزمن أو ذلك العهد من العصر الاسلامي.

لقد استغل خصوم بني امية هذه الأحداث التي وقعت في عهدهم، واستفادوا من بعض الحوادث التي سبقت عصرهم فعملوا على تشويه التاريخ بشكل عام.

شنّ هؤلاء هجوما عنيفاً على بني أمية حتى أخرجوهم من الاسلام، كان هجومهم على الخلفاء والولاة والأعوان، لم ينج منهم الصحابة، بل لم ينج منهم حتى أولئك الذين كانوا من أنصار سيدنا علي رضي الله عنه اذا بدا الضعف في بعض مواقف لهم أمثال أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وعدّوا الراشدين رضي الله عنهم أنهم تآمروا على سيدنا علي فأبعدوا الخلافة عنه، واستبدوا بها، لذا فقد نالهم من سموم المفترين ما نالهم، وقالوا عنهم أقوالاً ما قالها احد من ألدّ أعدائهم، على حين أن أولئك الذين كانوا سبباً في الفوضى، ومن زعماء الشغب أمثال الأشتر النخعي قد ناله من الثناء ما ناله لدعمه لسيدنا علي ولوقوفه بجانبه وقتاله معه.

لقد سلّطوا الأضواء على بني أمية قبل إسلامهم، ولم يسلم منهم الذين أسلموا منذ بدء الدعوة من بني امية أمثال عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم جميعا. لقد وجهوا سمومهم ضد أبي سفيان صخر بن حرب على أنه كبير الأمويين، وعدّوه رأس الكفر - وقد كان كذلك قبل ذلك - وعند

ما أسلم لم يعترفوا على إسلامه، وإنما عدّوا ذلك خدعة خوفاً من السيف، واستشهدوا على ذلك بعطاء رسول الله ﷺ له ولأولاده من غنائم هوازن الكثير وبعد حنين كما اعطى المؤلفة قلوبهم - وقد كان كذلك، وعندما حسن إسلامه لم يوافقوا على ذلك على الرغم من تولية رسول الله ﷺ له، وارسال أبي بكر رضي الله عنه إياه على صدقات اليمن، وتوقفوا عن ذكر موقفه يوم اليرموك، وفقده عينه يومذاك، وحياته كفيفاً بعد ذلك، منقطعاً للعبادة أكثر من سبع عشرة سنة حتى توفي عام ٣١ هـ في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

اتهموا سيدنا عثمان بوصوله إلى الخلافة بطريقة غير أمينة، وأن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد تآمر معه على ذلك في سبيل ابعاد سيدنا علي رضي الله عنه عنها، واتهموا عثمان كذلك أنه قد قرّب أهل بيته من بني أمية فأعطاهم الولايات، وقلّدهم المناصب، وترك لهم الأمر يتصرفون به كما يشاءون، وأنه كان ضعيفاً يتلاعب به ابن عمه مروان بن الحكم، وهذا ما سبب الفوضى التي نتج عنها البلاء والفتن.

إن كثيراً من الصحابة الأكفاء كانوا يرفضون العمل والولايات، ولا يستطيع السلطان أن يجبرهم على ذلك، وكان سيدنا عثمان مضطراً لاختيار الأكفاء، وقد تقدم بعض أقربائه يرغبون في الأمر، وهم من قريش وقبل ذلك من المسلمين ومن صحابة رسول الله ﷺ، وما كان له أن يمنعهم عنها، ولكن إذا لاحظ عليهم شيئاً عزلهم وأدبهم وكم عزل منهم! ولم يتّهم حتى إذا ثبت له صلاحهم أعادهم للولاية، وكان دورهم في الفتح والجهاد ونشر الاسلام.

واتهموا سيدنا معاوية رضي الله عنه بأنه صاحب أطماع، وأن ما فعله

ما يسمى بالمطالبة بدم عثمان لم يكن سوى مناورة سياسية لتحقيق أطماعه، وهذا ما أدى به إلى الخروج على الخليفة مع ما في الخروج من مخالفات شرعية، وأنه عندما وصل إلى الخلافة نسي ما كان يدعو إليه بالأمس من مطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

واتهموا سيدنا معاوية بكل من قتل أو مات ممن كان قد وقف ضده، مع أن الفوضى كانت سائدة والثارات موجودة، وكل قد خاض في دماء الآخرين. فقد قتل سيدنا علي رضي الله عنه بيد الخوارج، وطعن معاوية نفسه، وقتل قاضي مصر خارجة، وصاحبه يظن أنه عمرو بن العاص، ولو لم يكن ذلك لاتهم معاوية بعلي وعمرو أيضا، وعلى كل فكل من لم يُعرف قاتله اتهم به معاوية، وكل من مات من الرجال اتهم معاوية بسقيه السم.

اتهم سيدنا معاوية بقتل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما بالسم الذي دسّ له عن طريق زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية دسّ إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم، وزوّجتك من يزيد. فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفّى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»[1] ويبدو ضعف الاتهام واضحاً، حتى إن المصدر نفسه يضعفه فيقول على لسان الحسن رضي الله عنه «لقد سقيت السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي، فقال له الحسين: يا أخي من سقاك؟ قال: وما تريد بذلك؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء»[2]. ويدل

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص ٥ طبعة المكتبة التجارية ـ مصر ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٤ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص ٥.

هذا على ان الحسن ظنّ ولم يتهم ، ومن ظنّه ليس هو بصاحب السلطان ، فإنه يؤخذ منه ، والسلطان هو الذي يأخذ ذلك ، والخليفة معاوية هو السلطان والامام الذي يجب ان يقيم الحدود ، اما الحسين رضي الله عنه فلا يستطيع ان يقيم الحدّ على الامام.

واتهم سيدنا معاوية بقتل الأشتر النخعي فيروي المسعودي ذلك فيقول «وولى علي الأشتر مصر وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشتر بالسم في طعامه ، فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحب إليه؟ قيل له : العسل ، فأهدى له عسلاً ، وقال : إن من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشتر ، وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وقيل : كان ذلك بالقلزم ، والأول أثبت ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : لليدين والفم ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن لله جنداً من عسل»[1].

واتهم سيدنا معاوية بقتل حُجر بن عدي الكندي ، وهو أول من قتل صبراً في الاسلام ، حمله زياد بن أبيه من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها «ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية ، فبعث برجلٍ أعور ، فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم : إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقون ، فقيل له : وكيف ذلك؟ قال : أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه ، فلما وصل إليهم قال لحجر : إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي

---

(١) مروج الذهب - المسعودي - ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١.

تراب وقتل أصحابك ، إلا أن تراجعوا عن كفركم ، وتلعنوا صاحبكم وتبرؤوا منه ، فقال حجر وجماعة ممن كانوا معه : إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار ، وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي ، فلما قُدِّم حجر ليقتل قال : دعوني أصلي ركعتين ، فجعل يطول في صلاته فقيل له : أجزعاً من الموت؟ فقال : لا ، ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت ، وما صليت قط أخف من هذه ، وكيف لا أجزع ، وإني لأرى قبراً محفوراً ، وسيفاً مشهوراً ، وكفناً منشوراً ، ثم تقدم فنُحِر ، والحق به من وافقه على قوله من أصحابه »[1] .

واتهم سيدنا معاوية بقتل عبدالرحمن بن خالد بن الوليد لما كان له من شأن « أن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام ، ومال إليه أهلها ، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه ، حتى خافه معاوية ، وخشي على نفسه منه ، لميل الناس إليه ، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله ، وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجاً ما عاش ، وأن يوليه جباية خراج حمص ، فلما قدم عبدالرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دسّ إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشربها فمات بحمص ، فوفّى له معاوية بما ضمن له ، وولاه خراج حمص ، ووضع عنه خراجه »[2] .

واتهم سيدنا معاوية بادعاء زياد بن أبيه ونسبه إلى أبيه أبي سفيان ، أي شهد على أبيه بالزنا ، ولم يكن بعد قد خلق ، وذلك بغية كسبه إلى جانبه ،

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) الطبري : ج ٥ ص ٢٢٧ .

ولو كان في ذلك ترك لدينه. قال المسعودي: ولما همّ معاوية بإلحاق زياد بأبي سفيان أبيه - وذلك في سنة أربع وأربعين - شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي، ومالك بن ربيعة السلولي، والمنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه، وأن أبا سفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب:

أما والله لولا خوف شخص   يراني يا علي من الأعادي
لبيّن أمره صخر بن حرب   ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكني أخاف صروف كفّ   لها نقم ونفي عن بلادي
فقد طالت محاولتي ثقيفاً   وتركي فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقيناً إلى ذلك شهادة أبي مريم السلولي، وكان أخبر الناس ببدء الأمر وذلك لأنه جمع بين أبي سفيان وسميّة أم زياد في الجاهلية على زنا، وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحارث بن كلدة، وكانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا.

وكان سبب ادعاء معاوية له فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ان علياً كان ولاه فارس حين أخرج منها سهيل بن حنيف، فضرب زياد بعضهم بعضاً حتى غلب عليها، وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس، ثم ولاه على اصطخر، وكان معاوية يتهدده، ثم أخذ بسر بن أرطأة عبيدالله وسالماً ولديه وكتب إليه يقسم ليقتلنهما إن لم يراجع ويدخل في طاعة معاوية، وكتب معاوية إلى بسر ألا يعرض لابني زياد، وكتب إلى زياد أن يدخل في طاعته ويردّه إلى عمله، فقدم زياد على معاوية، فصالحه على مال وحلي، ودعاه معاوية إلى أن يستخلفه، فأبى زياد ذلك، وكان المغيرة بن

شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية: ارم بالغرض الأقصى، ودع عنك الفضول، فان هذا الأمر لا يمد إليه أحد يداً إلاّ الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية، فخذ لنفسك قبل التوطين، فقال زياد: فأشر علي، قال: أرى ان تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وأن تعير الناس منك أذناً صماء، فقال زياد: يا ابن شعبة أأغرس عوداً في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه؟ ثم إن زياداً عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة، وأرسلت إليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها معاوية، فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه، وقالت: انت اخي اخبرني بذلك ابو مريم، ثم اخرجه معاوية إلى المسجد، وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال: أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمّار في الجاهلية، فقال: ابغني بغياً، فأتيته وقلت له: لم أجد إلا جارية الحارث بن كلدة سميّة، فقال: أئتني بها على ذفرها وقذرها، فقال له زياد: مهلا يا أبا مريم، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً، فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت، والله لقد أخذ بكم درعها، وأغلقت الباب عليها وقعدت دهشاناً، فلم ألبث ان خرج عليّ يمسح جبينه، فقلت: مه يا أبا سفيان، فقال: ما أصبت مثلها يا أبا مريم، لولا استرخاء من ثديها وذفر من فيها، فقام زياد فقال: أيها الناس هذا الشاهد قد سمعتم ذكرها، ولست أدري حق ذلك من باطله، وإنما كان عبيد ربيباً مبروراً أو ولياً مشكوراً، والشهود أعلم بما قالوا، فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد ابن أسد بن علاج الثقفي - وكانت صفية مولاة سمية - فقال: يا معاوية، قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت أن الولد للعاهر وأن الحجر للفراش، مخالفة لكتاب الله تعالى، وانصرافاً عن سنة رسول الله ﷺ، بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان،

فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها »[1]. ويبدو ضعف هذا فكيف قبل زياد هذا الكلام أمامه؟ وكيف قبل معاوية؟ وكيف رضي المسلمون بهذه المخالفة الصريحة من الامام؟ فهل ضاع الاحساس، وضاع الدين، ولا يزال الصحابة أحياء؟.

واتهم سيدنا معاوية بطعنه بكبار الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعا. ففي رسالة منسوبة إليه موجهة إلى محمد بن أبي بكر والي علي على مصر يقول: « فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن ابي طالب وحقه لازما لنا مبروراً علينا. فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته. وأبلج حجته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه. فكان أبوك وفاروقه أول من ابتز حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا. ثم إنهما دعواه إلى بيتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وارادا به العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله. ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، فطلبتما له الغوائل، وأظهرتما عداوتكما فيه حتى بلغتما فيه مُناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك، يقصر على أن توازي او تساوي من يزن الجبال بحلمه، لا يلين عن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته أبوك مهد مهاده، وبنى لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن ابي طالب، ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع

---

(1) مروج الذهب - المسعودي - ج٣ ص ١٤ - ١٦.

ذلك ، والسلام على من أناب »[1].

يبدو في هذا الضعف ، وأنه من وضع الخصوم في وقت متأخر ففي البداية يثني على علي رضي الله عنه ثناء غلاة الإمامية ، ويطعن في الخلفاء الراشدين الآخرين ، ثم يجمع معهم معاوية .

ونُسب إليه أنه كتب إلى قيس بن سعد بن عبادة بعد أن عزله علي عن مصر « أما بعد : فإنك يهودي ... »[2] معاذالله!

واتهم سيدنا معاوية بأنه كان يلعن علياً على المنابر ، ويأمر الناس بذلك ، وكذلك يفعل ولاته ، وبهذا الاتهام يتهم المسلمون جميعاً الذين يقبلون بهذا ، ويسكتون عنه ، فما من مسلم إلا ويحب علياً ، وما من مسلم يمكن ان يرضى بهذا ، وهذا فرية ما بعدها افتراء ، فقد كان معاوية على ما بينه وبين علي من خلافٍ في وجهات النظر ، ومفارقة في الرأي يحترمه ويجلّه ، ويعرف قدره ، ويعلم منزلته ، ويمدح أمامه ، ويترحم عليه ، ويترضى عنه ، وإنما المتأخرون من الغلاة قد أضافوا وحرّفوا واتهموا حتى كانت الهوة بين الفريقين من أنصار علي وشيعته وباقي المسلمين ، ولم يكن هذا من قبل ، فكانوا يصلون معاً ويجاهدون معاً ، وينطلقون إلى الفتوحات معاً ، ثم غدوا الآن فريقين ، لا تصلي الشيعة وراء إمام المسلمين ، ولا تعترف بمصادر علمهم ، ولا تقبل إلا ممن كان مقبولاً عندها ولولا كان من ميمون القداح وأمثاله .

ويحمل على معاوية استخلافه ابنه يزيد لا للاستخلاف فقد استخلف من هو أفضل منه ، إذ استخلف أبو بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه من بعده ، وإنما استخلافه لابنه تفضيلاً له ومحبة وفي المسلمين من هو خير منه ،

---

(١) المصدر السابق . ج٣ ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٥ .

وبذا يكون قد نقل حكم الشورى إلى ملك عضوض.

وحمل على معاوية أنه قلد الأكاسرة والقياصرة في الأبهة بالملك منذ توليه إمرة الشام، ولعل الأمر يستوجب ذلك، لما في عادة أهل البلد، ونظرتهم إلى هيبة السلطان، فذكر الطبري ذلك، إذ قال: «خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله، ويبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! وقال: يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إن هذا لمكيدة رجل لبيب، أو خدعة رجل أريب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، مرني بما شئت أصر إليه؛ قال: ويحك! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك»[1]. ولو وجد عمر في ذلك شيئاً، وهو أكثر الناس زهداً وأبعدهم عن التكلف، وأشدهم على الولاة، لأخذ على يده، ولما أبقاه في الولاية يوماً واحداً. أما اتخاذ المقصورة والخاتم فقد اقتضت الظروف ذلك ولا شيء فيها.

واتهم يزيد بن معاوية، بل يعدّ هو وأبوه أكثر من وجهت إليه التهم، وأشيعت عنهم الشائعات، وكثرت الافتراءات، فأبوه بسبب نزاعه مع سيدنا علي، وهو بسبب حدوث فاجعة كربلاء في أيامه، وإن كانت الافتراءات عامة على بني أمية إلا أنها كانت أكثر ما تكون من الخلفاء على معاوية ويزيد.

- ٢ -

اتهم يزيد بأنه كان السبب الرئيسي في قتل سيدنا الحسين بن علي رضي

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٣١.

الله عنهما ، والواقع انه ما كان كذلك ، حيث كان بينه وبين مكان المعركة مسيرة شهر ، فكيف يصدر الأوامر ، ويمنع ، ويربط ، ويقطع وهو الخليفة الذي لم تكن له تلك القوة ، ولم يستقر له الوضع بعد ، وشخصية عبيدالله ابن زياد هي الظاهرة في العراق؟

واتهم أنه سُرَّ بقتل الحسين ولم يكن كذلك ، ولكنه بكى ، ولعن شمْراً وابن زياد وقال : والله لو كنت عوضاً عن ابن زياد لعفوت عنه ، ثم أدخل النساء الذين وفدوا إلى دمشق من بقايا كربلاء إلى نسائه واستمر البكاء والنحيب ثلاثة أيام ، وما كان يأكل إلا ومعه علي بن الحسين ، ثم سيّر الركب مع حامية إلى المدينة .

وكذا لم تكن له السيطرة التامة على الجيش الذي غزا المدينة المنورة واستباحها ثلاثة ايام ، بعدما اعلن اهلها العصيان ، وخلع البيعة ، وإخراج بني أمية منها .

واتهم أنه كان مدمناً على الشراب ، بل زادوا إلى أنه قد نشر ذلك في كل البقاع التي تخضع له ، ومن الغريب ان يُقبل رأي كهذا ، ولم ينتشر الفساد والخمر في يوم من الأيام وبشكل علني في الدولة الاسلامية ، فكيف بذلك وأبناء الصحابة موجودون بل وبعض الصحابة لا يزالون على قيد الحياة؟ يقول المسعودي «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد ، وذلك بعد قتل الحسين ، فأقبل على ساقيه فقال :

اسقني شربة تروّي مشاشي ... ثم عل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر و الأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر

الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب »[1]

- ٣ -

وقالوا في مروان بن الحكم ما قالوا، فقد جاء في حياة الحيوان ما نصه: روى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يولد لأحدٍ مولود إلا أتي به لرسول الله ﷺ فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: « هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون » ثم قال: صحيح الاسناد. ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني وكانت له صحبة، أن الحكم بن ابي العاصي استأذن على النبي ﷺ فعرف صوته فقال: « ائذنوا له، عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم يترفهون في الدنيا، ويضيعون الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ».

وفي كتاب الاشاعة في أشراط الساعة جمع ما ورد في ذم بني أمية مما هبَّ ودبَّ فمما قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت في النوم بني الحكم ينزوون على منبري كما تنزوي القردة ». قال: فما رؤي النبي ﷺ بعدها ضاحكاً مستجمعاً حتى توفي، رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي. وعن ابن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه، رواه البيهقي.

وعن الحسن بن علي عليهما السلام قال: إن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فنزلت: ﴿إنا اعطيناك الكوثر﴾، ونزلت ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر،

---

(١) مروج الذهب: المسعودي - ج ٣ ص ٧٧.

ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ يلكها بنو أمية، قال القاسم بن اليتيم بن الفضل: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. رواه الترمذي والحاكم والبيهقي. وعن الزهري وعطاء الخراساني أن النبي ﷺ قال للحكم: «كأني أنظر إلى بنيك يصعدون منبري وينزلون»، رواه الفاكهي. وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع النبي ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «ويل لأمتي مما في صلب هذا» وغير ذلك كثير.

وإن هذه الأحاديث والأخبار ليغنينا ظاهرها الدال على الكذب عن مناقشة سندها. فكم نهى النبي ﷺ عن اللعن، وكم أنزل أصحابه عن الابل التي كانوا يلعنونها، وقد قال عليه السلام: «ما بعثت لعّاناً». فمن أين هذه الأحاديث التي كثر اللعن في رواياتها لبني أمية التي لم يرد مثلها في حق أبي جهل، وأبي لهب، وعقبة بن أبي معيط، وأبيّ بن خلف، والوليد بن المغيرة، وعبد الله بن سلول وغيرهم من رؤساء المشركين مع شدة كفرهم وعنادهم[1].

وقد كان مروان بن الحكم خليفة، ويختلف عليه الصحابة ويأمر وينهي بينهم، ويصلي إماماً بهم، وهذا لا شك فيه لأن الخلفاء هم الذين كانوا يتولون الإمامة الصغرى مع الكبرى، بل أمراؤهم أيضاً كانوا يصلون أئمة بالصحابة، حتى كان الحجاج يصلي بهم ومحال ان يسكتوا او يقتدوا بمن لا يرونه أهلاً للإمامة.

وأما اختلافهم إليه وحكمه فيهم، فقد روى الشيخان واللفظ للبخاري قال: حدثنا آدم قال: حدثنا سلمان بن المغيرة قال: حدثنا حميد بن هلال العدوي قال: حدثنا صالح السمان قال: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم الجمعة يصلي إلى شيء يستره الناس، فأراد شاب من بني أبي معيط ان يجتاز

---

(١) أغاليط المؤرخين - محمد أبو اليسر عابدين ص ١٤٦ - ١٤٨.

بين يديه، فدفع أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه فعاد ليجتاز، فدفعه أبو سعيد أشد من الأولى، فنال من أبي سعيد، ثم دخل على مروان فحكى إليه ما لقي من أبي سعيد، ودخل أبو سعيد خلفه على مروان. فقال: ما لك ولابن أخيك يا أبا سعيد؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحد إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

وفي هذا الحديث ما يدل على فضل مروان بسهولة حجابه والدخول عليه وقضائه بما امتثل به أمر رسول الله ﷺ[1].

وكان مروان من رواة الحديث: فقد روى عن عمر بن الخطاب: مَن وهب هبة لصلة رحم فإنه لا يرجع فيها.

وروى أيضا عن عثمان وزيد بن ثابت وبُسرة بنت صفوان، وروى مروان عن سهل بن سعد الساعدي. وكان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله يستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه[2]. وعده ابن سعد من الطبقة الأولى من التابعين.

- ٤ -

ويقال: إن الشاعر النصراني الأخطل كان يدخل على الخليفة والصليب في رقبته، والخمر يقطر من لحيته لينشده:

ذهبت قريش بالمكارم والعلى ... واللؤم تحت عمائم الأنصار[3]

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٢ - ١٥٣.
(٢) طبقات ابن سعد - ج٥ ص ٤٣.
(٣) يعرض بالأنصار إذ أن أكثرهم كان يحانب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فذروا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم[1] بني النجار[2]

إن الفوارس يعرفون ظهوركم[3] أولاد كل مُقَبّحٍ أكّار[4]

وإذا نسبت ابن الفريعة[5] خلته كالجحش بين حمارة وحمار

أيعقل هذا من خليفة، صحابي، أو تابعي إذ تروى عن سيدنا معاوية كما تروى عن عبد الملك؟ ومن كان في تلك الآونة يشتم أنصار رسول الله، وشاعر رسول الله، وأخوال رسول الله؟

وأي خليفة مسلم، بل اي ملك في أي وقت يرضى ان يدخل عليه رجل وهو سكران؟..

- ٥ -

ويتهم سليمان بن عبد الملك بأنه كان كثير الطعام، وقد عزل قادة الفتح وقتلهم وهم: محمد بن القاسم الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وموسى بن نصير، لأنهم وافقوا الخليفة الوليد بن عبد الملك على عزل أخيه سليمان، وتولية ابنه مكانه، إلا أن المنية قد عاجلت الوليد فلم يتم ذلك، فانتقم سليمان عندما أصبح خليفة من اولئك الرجال.

---

(١) مساحي: جمع مسحاة: وهي أداة زراعية، تقشط بها الأرض لجمع التراب على شكل حد.

(٢) بنو النجار: قوم من الأنصار، أخوال رسول الله ﷺ حيث أم جده عبدالمطلب هي سلمى بنت عمرو من بني النجار، كما أن هذا البيت من الأنصار هم قوم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

(٣) يعرفون ظهوركم: كناية عن فرارهم وقت القتال.

(٤) الأكّار: المزارع، وكانت العرب تحتقر الزراعة والصناعة حيث إنهما مهنة العبيد وتفخر بالرعي والغزو.

(٥) ابن الفريعة: حسان بن ثابت لأن أمه كانت تعرف بـ «الفريعة».

لقد كان هؤلاء الرجال على ثغورهم ، وبينهم وبين الخليفة آلاف الكيلومترات ، ويحتاج البريد إلى أشهر لأخذ الرأي . ثم متى كان الخليفة الأموي ليستشير قادة الجند؟ قد يستشير اهل البيت الحاكم ، وإنما مشاورة القادة حدثت في العصر العباسي عندما اصبح امراء الجند هم أهل الرأي والحل والعقد ، والقوة هي التي تحكم ، والخلفاء أصبحوا بيد القادة العسكريين ، وهذا ما يوضح الوقت الذي ألصقت فيه هذه التهم ، وهو وقت حكم خصوم بني أمية .

ثم إن موسى بن نصير عندما استدعاه الخليفة الجديد ، قد عين مكانه ابنه عبد العزيز على الاندلس ، وكان ابنه الآخر وهو عبدالله والياً على إفريقية ، وقد استمر عبد العزيز بالفتح ومتابعة خطة أبيه ، ولو كان استدعاؤه عزلاً لعيّن الخليفة والياً مكانه ، او ارسل قائداً والياً مكان السابق ، بل لم يكن ليقبل بأن يتولى ابن الوالي الأمر . ثم ان سليمان قد صحب موسى معه إلى الحج في موسم ٩٧ هـ ، وتوفي موسى في المدينة ، وكان مستشار الخليفة الحربي لمدة تقرب من السنة منذ وصوله من الاندلس حتى وفاته .

واما محمد بن القاسم فقد قتل ملك السند « داهر » واسر ابنته صيتا ، فعندما وصلت إلى دمشق افترت على القائد ثأراً لمقتل أبيها ، فكان على الخليفة ان يضعه في السجن حتى يحقق معه ، وهذا ما كان ، وأثناء السجن قتل بدسائس من اتباع « داهر » فاتهم به الخليفة .

وأما قتيبة بن مسلم الباهلي ، فقد قتل من قبل جنده إذ خالف الخليفة ، ودعا لنفسه بعد ان خشي مغبة فعله فاستغل الجند هذه المخالفة وقتلوه ، واتهم به الخليفه ، ونسجت خيوط القرية . . .

- ٦ -

واتهم الخلفاء الأمويون أنهم كانو يبقون الجزية عمن أسلم حرصاً على دخل بيت المال، فهل كان بيت المال فقيراً، والغنائم تأتي إليه من كل حدب وصوب؟ والفيء والخراج وغير ذلك؟... إن بيت المال آنذاك كان عامراً حتى لم يعرف لمن يذهب بهذه الأموال الكثيرة التي تدخله.

ثم ان وضع الجزية عمن أسلم أمر شرعي فهل يجرؤ الخليفة على التساهل فيه، وأين دور أهل العلم؟ لم يبق إلا ليقال: ان بني أمية قد رفضوا الاسلام وأحلوا بأهله البوار.

إن كل ما حدث أن الجراح بن عبدالله الحكمي عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان قد أخذ الجزية من جماعة ثم اسلموا فلم يُعد لهم ما أخذ منهم فأرسل له الخليفة قولته المشهورة «إن الله قد بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً» فأخذ بعضهم من هذا الكلام أن الأمويين يبقون الجزية على من يسلم من اهل البلاد المفتوحة.

- ٧ -

وكثر الافتراء على الوليد بن يزيد، وجاء في حياة الحيوان في ترجمته «وكان أكمل بني أمية أدبا وفصاحة وظرفاً، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث، وكان جوادا مفضالا. ومع ذلك لم يكن في بني امية اكثر إدماناً للشراب والسماع ولا أشد مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر الأمة من الوليد بن يزيد. يقال: إنه واقع جارية له وهو سكران وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فحلف الا يصلي بالناس إلا هي فلبست ثيابه وتنكرت، وصلت بالمسلمين وهي جنب سكرى[1]. ويقال: إنه اصطنع بركة من خمر وكان إذا طرب

---

(١) هل يعقل هذا؟ أم يعرف أحد من المسلمين صوت المرأة؟ وكان الخليفة يعترض له الناس =

ألقى نفسه فيها وشرب حتى يبين النقص في أطرافها. وحكى الماوردي في كتاب أدب الدين والدنيا عنه تفاءل بالمصحف فخرج قوله تعالى: «واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد». فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد

إذ ما جئت ربك يوم حشرٍ ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور ببلده.

وقد جاء في الحديث: ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو أشر من فرعون، فأوله العلماء الوليدبن يزيد هذا. ولما دخلوا عليه في قصره نهى اصحابه عن القتال وقال: يوم كيوم عثمان. فقيل له: ولا سواء. فقطع رأسه وطيف به في دمشق ثم نصب على قصره ثم على أعلى سور في دمشق في جمادى الأولى سنة ستٍ وعشرين ومائة، وكانت خلافته سنة واحدة، وكان من أجمل الناس وأحسنهم وأقواهم وأجودهم شعراً.

وأعدل الأقوال فيه ما قاله سيد المؤرخين ابن خلدون: ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون حتى نسبت إليه في ذلك كثير من الشنائع مثل رميه المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله تعالى: «وخاب كل جبار عنيد»، وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما، ولقد ساءت المقالة فيه كثيرا، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا إنها من شناعات الأعداء الصقوها به. قال المدائني: دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله: ممن انت؟ فقال: من قريش. قال: من أيها: فوجم، فقال: قل وأنت آمن ولو أنك مروان. فقال: أنا ابن الغمر بن

= يسألونه، لم يسلم أحد على الخليفة.

يزيد: فقال: رحم الله الوليد، ولعن يزيد الناقص فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه، ارفع حوائجك فرفعها وقضاها.

وقال شبيب بن شبة: كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد فقال المهدي: كان زنديقاً. فقام ابن علاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً! لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه، ويراه في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطيبة المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويؤتى بثياب بيض نقية فيلبسها ويشتغل بربه، أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يا ابن علاثة، وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله ومزاحاً بكبار عشيرة بيته وبني عمومته مع لهو كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه، وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ، قال يوماً لهشام يعزيه في مسلمة أخيه: إن عُقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى. فأعرض هشام، وسكت القوم[1].

وتضاف إلى الوليد افتراءات بني عمومته إضافة إلى افتراءات خصومه، فقد كان بينه وبينهم خلافات كالتي تحدث بين الأقارب عامة وبين الذين يتولون أمور الأمة ومن يخلفهم.

وتولى بعد الوليد بن يزيد ابن عمه وقاتله يزيد بن الوليد، وقد سمي بالناقص لأنه نقص من أرزاق الجند والناس، وأعادهم إلى ما كانوا عليه أيام عمه هشام بن عبد الملك بعدما زاد الوليد فيها، وكان عادلاً وتقياً، ومن

(١) المصدر نفسه ص ١٦٠ - ١٦٢.

عدله جرى المثل المشهور: الأشج[1] والناقص أعدلا بني مروان[2].

وعلى كلٍ فقد لقي الوليد مصرعه على يد ابن عمه، وهو الخليفة الوحيد الذي قتل؛ وما قتل إلا لاستهتاره. وقد نقم عليه أهله وعشيرته لهذا التصرف، فهو إذن لا يمثل بني أمية إذ أن بني أمية قد غضبوا عليه وتبرؤوا منه ثم قتلوه وقضوا عليه.

- ٨ -

واتهموا معاوية رضي الله عنه وأهل الشام جميعاً في دينهم وعدم إدراكهم وتعصبهم فلا يفرقون بين الناقة والبعير، ولا يفرقون بين الأربعاء والجمعة، فيصلون الجمعة يوم الأربعاء، وليس فيهم من يتكلم فليس منهم رجل رشيد، ولنسمع إلى المسعودي يقول: «وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه (يقصد معاوية) أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير إلى دمشق في حالة منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية. وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنه ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبره، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى

---

(١) الأشج هو عمر بن عبد العزيز.

(٢) وهكذا تختلف الروايات وتتناقض حتى لا ندري أيها أكثر صحة الأمر الذي يدل على وضع الكثير منها ولم توثق.

صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص، أن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سُنّة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير[1].

قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن.

وحكى الجاحظ قال: سمعت رجلاً من العامة، وهو حاج، وقد ذكر له البيت يقول: إذ أتيته من يكلمني منه؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد ﷺ: ما تقول في محمد هذا؟ أربنا هو[2]؟

وذكر لي بعض إخواني أن رجلاً من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالي عن مذهب الرجل، فقال: إنه مرجىء قدري ناصبي رافضي، فلما قصه عن ذلك قال: إنه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص، فقال له الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك على علمك بالمقالات، أم على بصرك بالأنساب؟

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم، قال: كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلي ومعاوية، ونذكر ما يذكره أهل العلم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا، فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص ٤٢.
(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٤٢.

لمية: كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان، فقلت له: فما تقول أنت في ذلك؟ قال: من تريد؟ قلت: علي، ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة؟ قلت: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية، قلت: فما كانت قصة علي؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي ﷺ.

وقد كان عبد الله بن علي[1] حين خرج في طلب مروان[2] إلى الشام، وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر، ونزل عبد الله بن علي الشام، ووجّه إلى أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس انهم ما علموا لرسول الله ﷺ من قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة[3].

وما أرى أن هذه الروايات بحاجةٍ إلى ردٍ عليها لنقضها فهي ترد على نفسها وتنقض ذاتها.

واتُهم المجتمع كله، وعُدّ مجتمعاً فاسداً، ومن هذه التهم وهذه الافتراءات سرت الشائعات بأن الاسلام لم يطبق إلا في مدة محدودة لا تتجاوز عهد الرسول ﷺ وعهد صاحبيه أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما إذ نسب إلى سيدنا عثمان الشيء الكثير بصفته أموياً حتى كادت تضيع المعالم لدى كثير من الناس.

لقد أشاعوا أن المجتمع كان فاسداً ودللوا على ذلك ببعض اقوال

---

(١) عبدالله بن علي: هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس عم أبي العباس السفاح، قائد العباسيين الذي أنهى حكم بني أمية.

(٢) مروان: هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية.

(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٣.

الشعراء، وقد اختاروا من عرف منهم بالغزل أو الفحش فنسبوا إليه قصائد أو نحلوا أبياتاً ضمّنوها قصائده ومن ذلك قصائد عمر بن أبي ربيعة، وصّوروا المجتمع من خلالها، والواقع أن عمر لم يقل كل ما في قصائده أو التي نسبت إليه، وإذا كان قد قالها، فإنما كان اكثرها تخيّلاً، إذ لا يمكن أن يلتقي بسيدات المجتمع اللواتي كنّ في مصر أو الشام أو العراق إلا في الموسم أثناء الحج فيتخيل هذه السيدات وقد جئن مع الموسم وشاهدهن، وتحدث معهن، وأعجب بهن كما أعجبن به، وبحديثه، فكان يرضي نزوته بهذا، وينظم القصائد فيرضي فنه ويحتفظ بهذه القصائد لنفسه أو يقرؤها لأقرانه وأترابه أثناء السمر، وبعده وجدت هذه القصائد فاستغلها المغرضون وصوروا المجتمع من خلالها، هذا إذا صح نسبها له أما الوضع والنحل فأمران آخران الله أعلم بهما.

ويمكن ان تلحظ هذا واضحاً في قصائده، فيذكر مثلاً أنه كان في طريقه إلى المصلى بالمدينة المنورة وإذ يلتقي ببعض الفتيات يذهبن إلى المصلى، فألقى ما في جعبته إليهن فبادلنه الحديث، ثم ذهب إلى هدفه، وفي البيت قال:

مرّ بي سرب ظبـــاء	رائحـات من قبـاء
زمراً نحو المصـــلى	مسرعات في خـلاء
فتعرضـت وألقيـت	جـلابيـب الحيـاء
وقديماً كان عهدي	وفتــونـي بالنسـاء

وتدل الأبيات على خيال، وكانت الفتيات في حشمة وحياء ذاهبات إلى المصلى، وهو كذلك، لكنه تذكر المنظر بعد مدة فنظم هذه الأبيات.

ويقال: إن ابن أبي عتيق قد وصف لعمر بن أبي ربيعة عقل ابنة عمه

زينب بنت موسى الجمحية وأدبها وجمالها فشغف بها وفتن دون أن يراها ، ونظم فيها القصائد الطوال ، وهذا شأنه مع بقية النساء اللواتي اشتهرن به ، واشتهر بهن ، سيدات معروفات ذوات سمعة ومكانة لا يمكن ان يطالهن او يتحدث إليهن ، وبذكرهن يعرف ذلك ، ومن أشهرهن : سكينة بنت الحسين ابن علي بن أبي طالب ، سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، لبابة بنت عبد الله بن عباس ، فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان ، أم محمد بنت مروان بن الحكم ، رملة بنت مروان بن الحكم ، فاطمة بنت محمد بن الأشعث ، سكينة بنت خالد بن مصعب ، كلثم بنت سعد المخزومية ، الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وهي زوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، نعم الجمحية ، رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية ، زينب بنت موسى الجمحية .

هذه النساء هن سيدات عصرهن او في رأس الطبقة الأولى في المجتمع إذا صحّ أن نقسم المجتمع طبقات ولا يعرف الإسلام هذا النظام وهذه التقسيمات ، فهل وصلت قلة الحياء عندهن وقلة الأدب عنده ان يكون موسم الحج مجال التهتك والاستهتار إلى هذا الحد وفي الأماكن المقدسة بالذات وأثناء تأدية المناسك ولا يزال بعض الصحابة على قيد الحياة؟ وهل وصلت الحالة بالمجتمع إلى هذا الوضع من قبول المفاسد وانتهاك الحرمات؟ وهذا بالواقع ما يريد ان يصل اليه خصوم العصر ، وما يريدون أن يصفوا به عهد بني أمية ، لذا فقد نشروا هذه القصائد وأشاعوها بعد أن بالغوا في أسبابها وأضافوا إليها ، وصوروها على أنها حقيقة ، وأن بعض هذه النساء كن يأتين من أمكنة نائية ليحضرن الموسم من أجل الالتقاء بعمر ليذكرهن فيشتهرن ويذيع صيتهن . يروون أن (نُعم) استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خلوق ، فمسحت به ثوبه ، ومضت وهي تضحك .

ويروون أنه قد ذهب مرة إلى المسجد والتقى بزينب في طريقها أيضاً إلى المسجد، فتركا قصدهما وسارا إلى بعض الشعاب. ورأى مرة لبابة بنت عبد الله بن عباس تطوف بالبيت، فكاد عقله يذهب بها إذ رآها يومذاك أحسن خلق الله، فسأل عنها فأخبر بنسبها فذهب ينظم القصائد بها. فمتى كان البيت الحرام مقراً للعب وسوء الخلق؟ وهل كان الحجاج يقصدون البيت من أجل هذا؟ ومتى كان الحجيج يقف أمام ما يحدث من هذا النوع موقف المتفرج؟ كل هذه الأسئلة يرد عليها بأن هذه القصائد كانت من الخيال وبقيت حتى روّجها خصوم بني أمية، أو ضمّنوها أبياتاً من نظمهم، أو نظموا قصائد ونسبوها إلى عمر، وأوجدوا من عند انفسهم سبباً لها.

ثم هل وصل الأمر بأهل هذه النساء - وهم سادة ذلك العصر - إلى هذا الحد من الرضا بالتشبب بنسائهم والسماح بهذا الكلام عن فتياتهم والسكوت عنه، بل والسماح لهن بالسفر وحدهن إلى الموسم للالتقاء بعمر، مع العلم أن المرأة لا يصح لها أن تحج دون محرم، بل لا تُعدّ قادرة على الحج إن لم يكن لديها محرم فيروى أن رملة أخت عبد الملك بن مروان قد جاءت إلى الحج، وبعد أداء الفريضة تعرّض لها عمر بن أبي ربيعة، ورافقها إلى الشام، فرأى عبد الملك أن يزوّجه إياها. كما يروى أن عمر قد رأى عائشة بنت طلحة ترمي الجمار فشغف بها وبدأ يذكرها بشعره حتى جاء أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه يلومونه ويعنفونه على ذكرها، وهي تيمية مثلهم، وابنة عمهم، فوعدهم ألا يذكرها بعد ذاك، ولكن حبه لم يسمح له بتركها فكان يكني بها بـ (سليمى) أحياناً، و(سكينة) و (أم بشر) أحياناً أخرى.

وعلى كلٍ فإن اتهامات بني أمية قد اتخذت أشكالاً مختلفة منها:

٦ - سُلّطت الأضواء على الأحداث التاريخية التي تضع من مكانة بني

أمية مثل تأخرهم في الاسلام وقيادتهم قريشاً والأحزاب للوقوف في وجه الدعوة، ومن جهة أخرى فقد عمدوا إلى إغفال دور الأمويين الذي قاموا به بعد الاسلام مثل دورهم في الفتوحات وقيادة الجيوش وكل ما يت إلى رفع مكانتهم.

٢ ـ سُلطت الاضواء على النكبات التي حدثت في عهد الأمويين مثل فاجعة كربلاء، ومقتل الحسين، ووقعة الحرة واستباحة المدينة المنورة، وضرب مكة ومقتل عبدالله بن الزبير، وثورة زيد بن علي بن الحسين ومقتله... واتهم فيها بنو أمية فقط، وأغفلت جوانب الخطأ التي وقعت والخروج على الحاكم، وتفرقة المسلمين.

٣ ـ سُلطت الأضواء على بعض النقاط التي تقع أثناء ضعف النفس البشرية من بعض الرجال. وتركت كل جوانب الخير، وأعمال المجد، والتضحية للرجال أنفسهم حتى من الصحابة أمثال عثمان بن عفان، وأبي سفيان، وابنه معاوية رضي الله عنهم. وكذا صُوِّر الرجال الذين وقفوا بجانب بني أمية أو دعموا حكمهم خدمة للاسلام بكل صور التعصب والكره لآل البيت والوقوف بجانب غير الحق فيه واضح، ولم ينج من الرجال الذين وقفوا بجانب سيدنا علي رضي الله عنه ولكنهم اجتهدوا في بعض النقاط أمثال أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. ومن الذين أصابهم أذى التعصب عمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وكثير غيرهم.

٤ ـ أشيعت شائعات سامة ضد بعض الخلفاء الذين كانت مدة حكمهم قصيرة فلم تتهيأ لهم الفرص للقيام ببعض الأعمال الجليلة او عرفوا فعلاً بالضعف أمثال يزيد بن معاوية، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد وابراهيم ابني الوليد بن عبد الملك.

٥ ـ اتخذ من اللقاءات الخاصة لأعداء بني أمية مجالاً لنشر الشائعات، وتلفيق الأكاذيب، وإشاعة الافتراءات ووجدت في يوم من الأيام قعدت من الوثائق ومصادر الكتابة والدسّ.

٦ ـ اتخذوا من الشعراء مجالاً لبث السموم ونشر الآراء عن العهد كاملاً للبرهان على فساد الوضع وما آل إليه من سوء واستهتار بالقيم الاسلامية، واتجهوا إلى الشعراء الذين يمكن أن يصدر عنهم أمثال هذا الكلام وقد لاحظنا منهم عمر بن أبي ربيعة والشاعر النصراني الأخطل، ووضعت قصائد نسبت إلى شعراء معينين، أو على الأقل نحلوا أبيات وضمنوها قصائدهم.

٧ ـ نشروا ما كان مخفياً من الفواحش للطعن في بني أمية زاعمين أنهم كانوا يعملون على نشرها، والله سبحانه وتعالى يقول: «إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[1].

إن هذه الافتراءات على بني أمية ليس لها سند صحيح، ومعظمها مجهول المصدر الأمر الذي يدل على كذبها وبذا لا يمكن الاعتماد عليها أبداً، وإذا أخذنا بمنهج الحديث في الجرح والتعديل وهو أفضل منهج للوصول إلى صحة الخبر فإننا سنطرح هذه الروايات كلها التي تقوّلت على بني أمية.

إنا لا نقول: إن عهد بني أمية عهد إسلامي سليم كما كان أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين، كما لا نقول عنه: إنه عهد جاهلي كالعهود التي نعرفها قبل الاسلام وبعد عصرهم، والتي تجعل منه الافتراءات عهداً قاتماً في بعض جوانبه أكثر من العصور الجاهلية، ولكننا نقول: إن الوضع

---

(١) سورة النور الآية ١٩.

الاسلامي قد تدهور قليلاً منذ انتهى العهد الراشدي وبدأت زاوية الانحراف تزداد في انفراجها تدريجياً مع الزمن.

لقد بدأ الانحراف بجعل الحكم ملكياً وراثياً وإن أطلق عليه (خلافة)، ثم زاد بتصرف الحكام والولاة في كثير من الأحيان ببيت المال حسب أهوائهم وآرائهم وإن كانت لا تخرج عن الجادة إلا في حالات قليلة، أما بقية الجوانب فقد بقيت سليمة بشكل عام.

وإذا كنا ننظر إلى بيوت الخلفاء والأمراء ونرى ما دخل فيها من بعض الانحرافات حسب رواية كتب التاريخ غير الموثوق بصحتها إلا أن أصحاب هذه البيوت كانوا على درجة من الايمان والخوف من الله بحيث إذا وعظهم واعظ أو ذكرهم منبه اتعظوا وفاضت أعينهم من الدمع وعدلوا من أوضاعهم وأحوالهم، وإن كانوا قريبي العودة الى ما اعتادوا عليه.

أما المجتمع الاسلامي فقد استمر على ما كان عليه قبل الأمويين إذ بقي سليماً وعاش حياة قريبة الشبه بحياة المجتمع الذي كان أيام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وإن كانوا قد تأثروا بعض الشيء بسبب ما جاءهم من غنائم وما دخل إلى البيوت من إماء وسبايا وذلك أشبه ما كان عليه الأمر في أواخر عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأوائل عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلى الرغم من كثرة الغنائم وزيادة الأموال بين أيديهم وأعداد السبايا التي كانت تصل إليهم وكل هذا يجعل الناس يخلدون فيه إلى الراحة، ويرتبطون بالأرض ومع هذا فقد كان عنصر الايمان يملأ نفوسهم فما أن يدعو داعي الجهاد حتى يتركوا الحياة المرفهة التي مارسوها والنعيم الذي اعتادوا عليه وينطلقون مباشرة إلى الجهاد في سبيل الله، وبهذه الروح استطاعوا ان يفتحوا مناطق واسعة من العالم المعمور آنذاك فوصلت

فتوحاتهم من الصين شرقاً الى وسط فرنسا غرباً ، وبلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساع لها ، ووصلت إلى حدود لم يسبق لها أن وصلت إليها ، كما لم تتجاوز تلك الحدود بعد ذلك كدولةٍ واحدة ، وإنما بدأت مرحلة من الانكماش والضمور بعد الأمويين ، وإذا كان قد توسع انتشار الاسلام في البحر الأبيض المتوسط أيام الأغالبة والفاطميين ، وانتشر عن طريق التجارة في جنوب شرقي آسيا ، واتسع في جنوب شرقي أوربا أيام العثمانيين إلا أنه لم تكن هناك دولة إسلامية واحدة في هذه العصور المختلفة تجمع شمل المسلمين جميعاً كما كانت أيام الأمويين .

وإذا كنا نعلم أن انتشار الاسلام قد حدث خلال القرون الاسلامية كلها وحتى الآن وأن الفتوحات قد تمت في عدد من العهود إلا أننا عندما نقول الفتوحات الاسلامية فإنما نقصد ما حدث منها خلال العصر الاسلامي الأول أي ما حدث أيام الراشدين والأمويين فقط وتعدّ الثانية تتمة للأولى إذ ما حدث من توقف إنما يعود إلى العوامل الداخلية التي وقعت في الدولة الاسلامية ، وعندما كانت تستقر الأوضاع تعود الفتوحات إلى انطلاقتها .

أما ما جرت العادة أن يتحدّث عنه المؤرخون المحدثون من انقسام الناس إلى فئات من شيعة وخوارج وغيرهم من زبيريين وأمويين وموالي فإن هذا لم يكن أبداً ، وإنما إذا حدثت ثورة او قامت حركة أيدها من يرى رأيها ودعمها من كان لها نصيراً، أما في الأحوال العادية فليس هناك من فكر متميز أبداً وإنما جماعة واحدة فإذا ما سارت الجيوش بالفاتحين انخرطوا فيها جميعاً ، أما تأييد فلان دون فلان فهذا أمر يحدث ويحدث باستمرار مع عدم الاختلاف بالفكر او وجود جماعة خاصة لها كيان خاص كما يصور ذلك المؤرخون ، والانسان الذي يعيش في منطقة يتبع أميرها ويغزو معه ، وحتى الشعراء الذين يصورهم الأدباء يكون الشاعر منهم

زبيرياً مثلاً ثم يصبح من أنصار آل البيت ثم أموياً ، وهذا أمر غير صحيح أيضاً إذ من المعروف أن الشاعر مدّاحة هجّاء فمن كان بالحجاز مثلاً وكانت تخضع لابن الزبير مدحه ، فإذا انتقل إلى الشام مدح الخليفة ولربما عرّض بابن الزبير إذا كان أمره قد انتهى ، وهذا ما كان عليه أكثر الشعراء باستثناء الذين عاشوا في الشام لم يغادروها فقد قصروا مدحهم على خلفاء بني أمية ولعل منهم الأخطل النصراني ، وربما نستثني من هذا كله الخوارج الذين يبدو لهم بعض الآراء الخاصة بهم والتي لا تظهر بشكل واضح إلا عندما ينطلقون إلى منطقة ما معلنين عن آرائهم وأفكارهم ومظهرين الخروج على السلطة ، اما عندما يعيشون داخل المجتمع فلا تعرف آراؤهم ، وإنما يظن عن بعضهم أنهم يرون رأي الخوارج ، أما البقية فكلهم كتلة واحدة ، واستمر هذا طيلة العهد الأموي عندما تنطلق الجيوش او تتحرك الصوائف والشواتي فلا يمكن التمييز بين جماعة وثانية أبداً ، وهو بالأصل غير موجود ، أما إذا حدثت حركة داخل المجتمع فعندها تتوقف الفتوحات ، وكل من كان في منطقة تابع أميره وقاتل معه ، فإذا انتصرت قوة على أخرى أصبح من رعايا الأمير الجديد إذن لا توجد تلك التجمعات التي حلا لبعض المؤرخين المحدثين ان يسموها أحزاباً .

لذا فلن نتحدث عن هذه الفئات لأنها غير موجودة ولا نريد أن نوجد في المجتمع ما ليس فيه كما يريد بعضهم أن يفعل ليظهر أن الاسلام لم يثبت في الواقع إلا أعواماً محدودة وليصل إلى نتيجة يريدها هي : إننا لا يمكن أن نعمل به الآن إذ لا يمكن تطبيقه ، وسنكتفي بذكر الحركات التي قامت في العهد الأموي وننسبها إلى زعمائها لأنه لا توجد فكرة عامة لها ، وما وجد من فكر شيعي فإنما وضع في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما

بعده فنسب لبعض الرجال أفكاراً لم تخطر على بالهم أبداً ، بل لو سمعوا بها لتبرؤوا منها .

كما أننا لن نتحدث عن الروايات التي اشيعت عن العصر الأموي لأنه لا سند لها يدعمها ويجعلها في مستوى الروايات وانما كلها محض افتراءات .

لذا فإن بحثنا سيكون خاصاً بما صح من الروايات ، وما تعارف عليه الناس ، وثبت في الكتب المعتمدة ، مبتعدين عن آراء الخصوم التي شوهت التاريخ حتى كادت تعمّ .

وعلى كلٍ فإن التاريخ قد ظلم بني أمية ظلماً كثيراً إذ طمس كل ما لهم من فضائل وايجابيات! ولم يتعرض لها ابداً ولم يذكرها ، وبالمقابل فإنه توسع في ذكر السلبيات او افترى عليهم الكذب ، فنسب لهم ما لم يكن منهم ، وأوجد حوادث لم تقع في أيامهم ، ويعود ذلك إلى ان كتابة التاريخ إنما كانت في عهد خصومهم السياسيين من بني العباس هذا من جهةٍ ومن جهة ثانية فإن هذه الكتابة كانت بأيدٍ شيعية وجدت في تلك الحقبة وكانت حاقدة تنتقد الحكم ، ومن ورائها اهداف وغايات ، وتوجّه سهامها بالدرجة الأولى على بني أمية إذ تثير الحماس ضدهم لما ناله آل البيت على أيديهم ، وبهذا الحماس تكسب الأنصار وتحصل على المؤيدين . ومن أهم ما وجهت الى بني امية من انتقادات اغتصابهم للخلافة ، وجعلها وراثية ، وقسوة الولاة ، وشدة طاعة أهل الشام لهم ، والمصائب التي حلّت بآل البيت ، وانتشار اللهو والفساد في عصرهم ، والاتهامات التي ألصقنا اليها .

ومع هذه الانتقادات التي صحّ بعضها ، وغالى أعداؤهم في بعضها مغالاة كبيرة ، وسبح خيالهم في تدوين جزءٍ منها ومع هذا فإن لهم فضائل كثيرة اغفل المؤرخون ذكرها ، ويمكن الإشارة إلى بعضها بشكل سريع .

٦ ـ كان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما صحابياً جليلاً، والصحابة كلهم عدول، وان اجتهد في بعض القضايا ولم يوفق في الاجتهاد، ولم يحالفه التوفيق في النتائج الا انه يبقى صحابيا عدلاً.

وكان مروان بن الحكم من الطبقة الأولى من التابعين، وقد روى الحديث عن عمر بن الخطاب، وعن عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وسهل ابن سعد الساعدي، وبُسرة بنت صفوان، وكان مروان أثناء ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله ﷺ يستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه.

وكان عبد الملك بن مروان من أهل العلم وقد سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وابن عمر، وأم الدرداء، وبريرة، وحدّث عنه عروة، وخالد بن معدان، ورجاء بن حيوة، واسماعيل بن عبيد الله، والزهري، وربيعة بن يزيد، ويونس بن ميسرة، وآخرون. وقال جرير بن حازم، عن نافع قال: لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب اشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك.

وقال أبو الزناد: فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، وعبد الملك، وعروة، وقبيصة بن ذؤيب.

وذكر اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه قال: ما جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك[١]. وعدّ ابن سعد عبد الملك بن مروان في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

وكان سليمان بن عبد الملك ديّناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو. قال عنه ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلافه عمر. وكان سليمان ينهي الناس عن الغناء.

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥٤/١٠، وطبقات ابن سعد ٢٢٤/٥.

وكان عمر بن عبد العزيز من أئمة الاجتهاد ، ومن الخلفاء الراشدين رحمة الله عليه حدّث عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، والسائب بن يزيد ، وسهل بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، وعروة ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وعامر بن سعد ، ويوسف بن عبدالله بن سلام . وعدّه ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة وعندما تولى المدينة ايام الوليد بن عبد الملك كان يستشير أهل العلم وكبار القراء والفقهاء .

٢ ـ كان بنو امية يقدمون أهل العلم والفضل غالباً فيعطونهم الولايات ، ويولونهم قيادة الجيوش ، وينصبونهم للقضاء ، ويستشيرونهم في الأمور والملمات .

ويكفي ان نذكر من ولاتهم عمرو بن العاص[1] وابنه عبدالله[2] وبسر بن أرطأة[3] ، والنعمان بن بشير[4] ، وعبد الرحمن بن خالد بن

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي ابو عبدالله : داهية قريش ، ولد عام ٥٠ قبل الهجرة ، أسلم وهاجر عام ٨ هـ مرافقاً لخالد بن الوليد ، سرّ رسول الله باسلامه ، جهّزه لذات السلاسل ، روى أحاديث كثيرة ، شهد اليرموك وأبلى بلاء حسناً ، قاد الجيوش وسار نحو فلسطين وفتح مصر وتولى أمرها ، وعزله عثمان ، كان بجانب معاوية ودخل مصر وتولى أمرها وبقي فيها حتى مات سنة ٤٣ هـ .

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص : ولد عام ٧ قبل الهجرة ، صحابي ، أسلم قبل ابيه وكان اسمه العاص فغيّره النبي ﷺ بعبدالله ، يكنى بأبي محمد ، روى عن رسول الله أحاديث كثيرة اتفق مسلم والبخاري على سبعة أحاديث منها ، وانفرد البخاري بثمانية أحاديث ، وانفرد مسلم بعشرين ، هاجر سنة سبع ، وشهد بعض المغازي ، وكان على ميمنة معاوية يوم صفين ، وذكر أنه كان يحمل الراية وما ضرب بسيف ولا رمى بسهم . تولى أمر الكوفة لمعاوية ثم عزل ، ومات عام ٦٣ هـ .

(٣) بسر بن أرطأة : أبو عبد الرحمن ، صحابي ، له حديثان ، ولد في العام الثاني للهجرة ، شهد فتح مصر ، وقاتل في بلاد الروم ، وكان فارساً شجاعاً ، ولي أمر الحجاز واليمن لمعاوية ، توفي عام ٧٠ هـ .

(٤) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري ، أبو عبدالله : صاحب رسول الله ﷺ وابن =

الوليد[1]، ومعاوية بن حديج[2]، مسلمة بن مخلد[3]، وعبدالعزيز مروان[4]، ونذكر من قادتهم حبيب بن مسلمة الفهري[5]، وعبدالله بن قيس[6]، وجنادة بن أبي أمية الدوسي[7]، ونذكر من قضاتهم بن عبيد[8]،

= صاحبه، ابن أخت عبدالله بن رواحة، روى ١١٤ حديثاً، ولد في العام الثاني للهجرة، وعد من الصحابة الصبيان بالاتفاق، تولى لمعاوية الكوفة، مدة كما تولى قضاء دمشق، ثم تولى أمر حمص، دعا الى عبدالله بن الزبير في حمص، وقتل بعد معركة مرج راهط في احدى قرى حمص عام ٦٤ هـ.

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أقام في حمص من بلاد الشام، وكان كثير الغزو في بلاد الروم، واشتهر أمره كثيراً، وأحبه أهل الشام، مات في حمص وقيل أنه مات مسموماً في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

(٢) معاوية بن حديج بن جفنة: أبو نعيم، وأبو عبدالرحمن السكوني الكندي، له صحبة ورواية قليلة، روى عن عمر، وأبي ذر، ومعاوية، شهد اليرموك، وغزا المغرب، وتوفي سنة ٥٢ هـ.

(٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت: الأنصاري الخزرجي، أبو معن: ولد عام الهجرة، قيل له صحبة، تولى مصر لمعاوية ويزيد، وكان مع معاوية في صفين، وتوفي في خلافة يزيد عام ٦٢ هـ.

(٤) عبد العزيز بن مروان: أبو الاصبغ: ولد في المدينة، ودخل مصر مع أبيه، وتولاها لأخيه عبدالملك مدة عشرين سنة وكان ولي عهده، وتوفي قبله بحلوان بمصر عام ٨٥ هـ ونقل إلى الفسطاط، روى الحديث عن أبيه مروان، وعن أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وابن الزبير، وثقه ابن سعد، والنسائي، وله في سنن أبي داود حديث.

(٥) حبيب بن مسلمة الفهري: أبو عبدالرحمن، وقيل أبو مسلمة: ولد قبيل الهجرة بعام، قيل له صحبة، ورواية يسيرة جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميراً، وكان على ميسرة معاوية يوم صفين، غزا بلاد الروم كثيراً وولي أرمينيا لمعاوية، وتوفي عام ٤٢ هـ.

(٦) عبدالله بن قيس: حليف بني فزارة، أمير البحر في صدر الاسلام، غزا خمسين غزوة صيفاً وشتاء، ولم يغرق من جيشه أحد، ولم ينكب، قتله الروم عام ٥٣ هـ وهو يطوف في أحد الموانيء متخفياً دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة.

(٧) جنادة بن ابي أمية الدوسي: من كبار التابعين، حدث عن معاذ بن جبل، وعمر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وبسر بن أرطاة، شهد فتح مصر، وتولى غزو البحر لمعاوية، وتوفي سنة ثمانين الهجرة.

(٨) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد: صحابي، من بايع تحت =

وأبـــا بردة بن أبي موسى[1]، وأبـــا ادريس الخولاني[2]، ونـــذكر من مستشاريهم روح بن زنباع[3]، ورجاء بن حيوة[4]، والزهري[5] وغيرهم كثـــير: أمثـــال موسى بن نصـــير[6]، والمهلـــب بن أبي صفرة[7]،

= الهجرة، شهد أحداً وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، وسكن الشام، وولي الغزو والبحر بمصر، ثم ولاه معاوية قضاء دمشق وتوفي فيها عام ٥٣ هـ.

(١) أبو بردة بن أبي موسى: عامر بن عبدالله بن قيس الأشعري: الامام، الفقيه، الثبت، حدث عن أبيه، وعلي، وعائشة، وأسماء بنت عميس، وعبدالله بن سلام، وحذيفة، ومحمد بن مسلمة، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وابن عمر، والبراء، ومعاوية، وكان ثقة، كثير الحديث. كان قاضي الكوفة للحجاج ثم عزله بأخيه أبي بكر، مات سنة ١٠٣ هـ.

(٢) أبو ادريس الخولاني: عائذالله بن عبدالله: ولد عام الفتح. حدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وحذيفة، وأبي موسى، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، وعبادة بن الصامت، والمغيرة بن شعبة، وابن عباس، ومعاوية وغيرهم كان قاضي دمشق، وعالمها وواعظها، وهو ثقة، وتوفي سنة ثمانين.

(٣) روح بن زنباع الجذامي، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها قيل: له صحبة، كان وزير عبدالملك ومستشاره، وقال فيه عبدالملك: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز. روى عن أبيه، وعن تميم الداري، وعبادة بن الصامت، وحديثه قليل، وهو صدوق. توفي عام ٨٤ هـ.

(٤) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الأزدي: فقيه من جلة التابعين، روى عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، كان ثقة، عالماً، فاضلاً، كثير العلم. كان كبير المنزلة عند سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن عبدالملك.

(٥) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، أبو بكر: الامام، العلم، ولد سنة خمسين للهجرة، وروى عن ابن عمر، وجابر بن عبدالله، وكان مستشار هشام بن عبدالملك، وتوفي عام ١٢٤ هـ.

(٦) موسى بن نصير اللخمي: أبو عبدالرحمن، والي المغرب وفاتح الاندلس، ولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص، وبنى هناك حصوناً، وكان مع عبد العزيز بن مروان في مصر، ومع بشر بن مروان في العراق، وتوفي بالمدينة عام ٩٧ هـ وكان بالحج مع سليمان بن عبدالملك. روى الحديث عن تميم الداري.

(٧) المهلب بن أبي صفرة الأزدي: ولد عام الفتح، وروى الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، وعبدالله بن عمر، والبراء بن عازب. غزا الهند عام ٤٤، =

والسمح بن مالك الخولاني[1].

ولم يتدخل بنو أمية في شؤون القضاء أبداً، وإنما كانوا يعينون القضاة من خيرة أهل العلم ويدعونهم وشأنهم، ويخشون أن تقع منهم حادثة يرجعون فيها إلى القضاء لأن معنى ذلك الحكم عليهم ولا بدّ من تنفيذ ما أمر به القاضي ولو كانو هم الحكام.

ويكفي أن نقرّ بفضل بني أمية من حديث رسول الله ﷺ «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا ادري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة؟ ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»[2].

وبنو أمية عاشوا في القرن الذي يلي قرن رسول الله ﷺ، وفي ذلك القرن خيار كثير من الناس ولا يمكن ان يكون هؤلاء الناس، ويقال ما ينسب لبني أمية، ويسكتون عنه، أو يقبلون فيه، ومع هذا فإن يوجد بعض الشرار الذين ما خلا منهم عصر، وإن تمكن بعضهم يوماً إلا أنه لا يلبث أن يزال، ويذكر فيه ما يستحق.

ونذكر من فضائل بني أمية الفتوحات الواسعة التي تمت على ايديهم والتي امتدت ديار الاسلام نتيجة ذلك بين الصين في الشرق وبلاد الاندلس

= وتولى أمر الجزيرة لابن الزبير، ثم خراسان، وحارب الخوارج، وأخذ ولاية خراسان، وتوفي غازياً في مرو الروذ عام ٨٢هـ.

(١) السمح بن مالك الخولاني: استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس، كان تقياً ورعاً استشهد عام ١٠٢هـ غازياً في فرنسا، كانت قرطبة حاضرة حكمه، وقد بنى فيها قنطرتها المعروفة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي بن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وجنوبي فرنسا في الغرب ولم تكن الفتوحات هنا لتتم على ايدي قادة، والخلفاء وأبناؤهم يعيشون في القصور بل إن الخلفاء أنفسهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الجهاد ويشهدون القتال، فقد أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لحصار القسطنطينية، وأرسل عبد الملك ابنه الوليد مرات للغزو في بلاد الروم، وكان ابنه الثاني مسلمة قائد جبهة الروم، وغزواته اكثر من أن تعد، وحصاره لمدينة الروم القسطنطينية معروف ومشهور. وكان اخوه محمد بن مروان أمير الجزيرة يتولى امر الغزو في أغلب الأحيان. وأولاد الوليد بن عبد الملك وهم: العباس، وعبد العزيز، وعمر، ومروان يقودون الغزو في بلاد الروم ويساعدون عمهم مسلمة بن عبد الملك في ذلك. كما أن سليمان بن عبد الملك كان ابنه داود على رأس قواته المجاهدة في بلاد الروم.

اما هشام بن عبد الملك فقد كان يفرض الغزو على بني مروان جميعاً، ومن يتأخر عن الغزو يمنع عنه العطاء، وكان أولاده في مقدمة الغزاة ومنهم: معاوية، وسليمان، ومسلمة، وسعيد، وغيرهم.

أما مروان بن محمد فكان نفسه يقود الجيوش ويصبر في القتال صبراً شديداً حتى لقب بالحمار.

وربما تداعى لأذهان الكثير أن أمراء بني أمية كانوا أمثال غيرهم من القادة الذين يتولون أمر القتال فيجلسون في المدينة، ويرسلون نواباً عنهم، إلا أني قد أوضحت ذلك سابقاً وأعود لأقول إنهم كانوا يمارسون القتال بأنفسهم ويتعرضون بأنفسهم للقتل ويكونون أمام المجاهدين.

وربما خطر في بال بعض الناس ان بني أمية كانوا يسلمون القيادة لأمراء منهم خوفاً على أنفسهم من أن يتسلم القيادة غيرهم فيعمل ضدهم، فأقول إن هذا الخاطر انما يجول في أذهان الذين يعيشون هذه الأيام،

ويعرفون الانقلابات العسكرية ، وكان يتصرف الجند حيال الحكم المدني ، إن أمير الغزو يومذاك لم يكن ذا أثر على جنده إلا في الجهاد وقتال الأعداء أما بعد ذلك فليس له من أثر ، وتأثيره أيضاً إنما يكون على ترتيب الجند ، واعطاء الرايات ، وأوامر القتال وبعد انتهاء الجهاد يعود المجاهدون إلى ديارهم ، فليس هناك من قوة دائمة لحماية العاصمة يقودها أمراء أو غيرهم من أنصار السلطان كما يحدث في هذه العصور ، وتشكل خلفية عند أبناء هذه الأجيال .

ولعل من أهم ميزات بني أمية إحياؤهم للأرض ، وفتح الاقنية ، وشق الأنهار ، فقد كان خلفاء بني امية يخرجون إلى هامش المعمور ويبنون قصورهم هناك الأمر الذي يؤدي إلى أن تعمر الأرض حيث يأتي الناس الآخرون فيبنون بجانب قصر الخليفة ، ويجلبون المياه إليها ويزرعون فتحيا الأرض الموات . على حين كان بإمكانهم لو أرادوا فخامة القصور وجمال المناطق ، وكثرة المياه لوجدوا في الأراضي المزروعة والمشجرة ضالتهم بل لكانت اكثر جمالاً وأغزر مياهاً . ونعلم أن يزيد بن معاوية قد توفي في حُوّارين[1] حيث كان يقضي جزءاً من أوقاته .

وأحيى سليمان بن عبدالملك منطقة الرملة ، إذ عينه الوليد بن عبدالملك عليها فنزل باللد ثم انتقل إليها ومصّرها ، وكان أول ما بنى فيها قصره ، وداراً تعرف بدار الصبّاغين ، واختط المسجد وبناه ، واحتفر القناة التي تدعى البردة لري أراضي من أقام معه وبالقرب منه .

---

(١) حُوّارين : هي بلدة القريتين المعروفة الآن في بلاد الشام ، أو في ناحية من ضواحيها ، وقد مر عليها خالد بن الوليد اثناء انتقاله من العراق إلى الشام . وهي على مرحلتين من تدمر بينها وبين دمشق .

وكان عمر بن عبد العزيز ينزل إلى المرج ويحيي أرضه وقد توفي بدير سمعان في ضواحي دمشق في بداية أرض المرج.

وعمّر هشام بن عبد الملك الرصافة، وكان ينزل بها صيفاً، وفيها توفي، وشق الأقنية إليها، فأحييت أرضها، وزرعت، وكانت جنة ورياضاً.

ولا ننسى حفر الأنهار والمجاري والأقنية في دمشق وغوطتها ولا تزال قائمة إلى الآن وتدل على اهتمام كبير بالأرض، وعناية عظيمة بشؤون السكان ومصالحهم الحيوية.

هذه بعض أعمال بني أمية وخدماتهم التي قدموهم للمجتمع وللإسلام، وإذا كانت الصورة التي في أذهاننا عنهم والتي ورثناها مما قرأناه من الذين سجلوا ذلك عنهم من أعداء وخصوم ومن مستشرقين وغير منصفين قد جعلت الصورة عنهم باهتة إلا أننا نرجو أن تتغير بعد معرفة بعض الجوانب الخيرة.

الخلافة الأموية

٤١هـ - ١٣٢هـ

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدة بمقتل سيدنا علي بن أبي طالب يوم ١٧ رمضان عام ٤٠ هـ، ويُعدّ بدء الدولة الأموية من تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في (مسكن) يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هـ، واستمرت حتى معركة الزاب التي جرت بين جيوش العباسيين وبني أمية حيث هزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وذلك في ١١ جمادى الأولى عام ١٣٢ هـ. وبذا فقد دامت هذه الدولة ما ينوف على إحدى وتسعين سنة. وقد توالت عليها أسرتان، وكان خلفاؤهما اثني عشر خليفة.

١ ـ الأسرة السفيانية: وقد حكمت أربعة وعشرين عاماً ٤١ ـ ٦٤ هـ، وتوالى عليها خليفتان هما:

١ ـ معاوية بن أبي سفيان	٤١ ـ ٦٠ هـ
٢ ـ يزيد بن معاوية	٦٠ ـ ٦٤ هـ

ولا نعد معاوية بن يزيد خليفة ما دامت الأمة لم تجمع عليه، وإنما كانت البيعة لعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما. كما أن معاوية الثاني بن يزيد لم يبق في الحكم سوى عدة أشهر تنازل بعدها عن الخلافة، وترك الأمر للمسلمين.

٢ ـ الأسرة المروانية: وقد حكمت سبعة وستين عاماً ٦٤ ـ ١٣٢ هـ وتوالى عليها عشرة خلفاء هم:

١ ـ عبد الملك بن مروان ٧٣ ـ ٨٦ هـ.

٢ ـ الوليد بن عبد الملك ٨٦ ـ ٩٦ هـ.

٣ ـ سليمان بن عبد الملك ٩٦ ـ ٩٩ هـ.

٤ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان ٩٩ ـ ١٠١ هـ.

٥ ـ يزيد بن عبد الملك ١٠١ ـ ١٠٥ هـ

٦ ـ هشام بن عبد الملك ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ.

٧ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥ ـ ١٢٦ هـ.

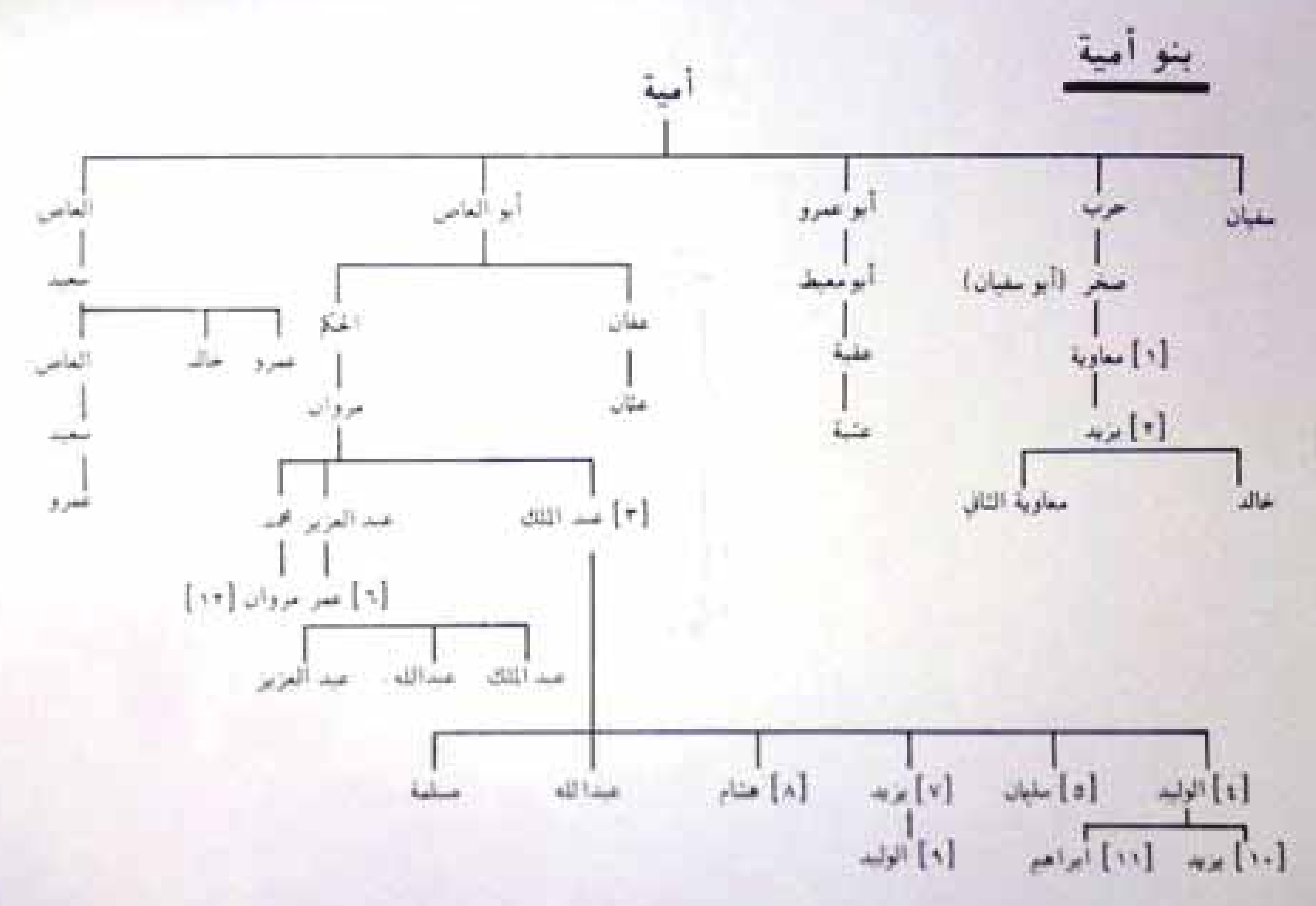
٨ ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ ـ ١٢٦ هـ.

٩ ـ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ ـ ١٢٧ هـ.

١٠ ـ مروان بن محمد بن مروان ١٢٧ ـ ١٣٢ هـ.

ويجب ألا ننسى أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قد بقي تسع سنوات خليفة في الحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان، ويعد هو الخليفة الشرعي من ٦٤ ـ ٧٣ أي من وفاة يزيد وحتى مقتله وفي هذه الأثناء لا يعد ملك معاوية الثاني ومروان بن الحكم وجزء من حكم عبد الملك خلافة وإنما استئثاراً واغتصاباً في جزء من أرض الاسلام.

بنو أمية



أمية
سفيان
حرب
أبو عمرو
أبو العاص
العاص
صخر (أبو سفيان)
[١] معاوية
[٢] يزيد
خالد
معاوية الثاني
أبو معيط
عقبة
عفان
عثمان
الحكم
مروان
سعيد
عمرو
العاص
سعيد
عمرو
[٣] عبد الملك
عبد العزيز
محمد
[٦] عمر
مروان [١٢]
عبد الملك
عبدالله
عبد العزيز
[٤] الوليد
[٥] سليمان
[٧] يزيد
[٨] هشام
عبدالله
مسلمة
[١٠] يزيد
[١١] ابراهيم
[٩] الوليد

الأسْـرَةُ السّفيـانيّة

معاويــة بن أبي سفيــان

رضي الله عنهما

٤١ - ٦٠ هـ.

نسبه

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. كان أبوه، أبو سفيان، أحد سادات قريش عند بدء الدعوة الاسلامية في مكة، وسيدها بعد غزوة بدر الكبرى التي هلك فيها عدد من السادات. وقف أبو سفيان في وجه الاسلام وصدّ عن سبيل الله، وقاد قريشاً في أحد، وحزّب الأحزاب، وقاد الجيوش يوم الخندق. أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف، وأعطي يوم تقسيم الغنائم مائة من الابل وأربعين أوقية من الفضة. وكان يومها من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وأرسله رسول الله ﷺ عاملاً على نجران، كما جعله ابو بكر الصديق رضي الله عنه على الصدقات في اليمن، وسار مع الفاتحين تحت راية ابنه يزيد، وخاض معركة اليرموك، وأبلى البلاء الحسن، وفقد عينه الثانية يومذاك، وكان قد فقد الأولى في الطائف، وعاش بعدها كفيفاً منصرفاً للعبادة حتى توفي عام ٣١ هـ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما أمه فهي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، فهي عبشمية كأبيه أي يلتقيان في النسب في عبد شمس.

كانت قد تزوجت قبل أبي سفيان، ولما افترقت عن زوجها الأول قالت لأبيها: إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوّجني رجلا حتى تعرضه عليّ. فقال لها: ذلك لك. وعرض عليها يوماً رجلين فاختارت أبا سفيان.

ووقفت مع زوجها وأهلها في وجه الدعوة، ويوم بدر قتل أبوها عتبة، وعمها شيبة، وأخوها الوليد، وابنها حنظلة مما زاد حقدها، وحرّضت يوم أحد على المسلمين، ومنّت وحشي غلام جبير بن مطعم بالأماني إن هو قتل الحمزة[1] عم رسول الله ﷺ، وقد فعل، وقد مثلت به، فبقرت بطنه، وأخذت كبده، فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، وكان معها عدد من النساء يمثّلن في القتلى، وقالت يومذاك مخاطبة المسلمين:

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعد الحرب ذات سُعْر
ما كان عن عتبة لي من صبر — ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي، وقضيتُ نذري — شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري — حتى ترمّ أعظمي في قبري

ولما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ونساء معها، وأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه، فتكلمت هند فقالت: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتنفعني رحمك، يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله. ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة. فقال رسول الله: مرحباً بك. فقالت والله ما كان على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أن يذلّوا من خبائك ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء

---

(١) الحمزة رضي الله عنه ابن عبد المطلب، ولد قبل رسول الله ﷺ بأربع سنوات، أسلم في السنة الخامسة لبدء الدعوة، كان أحد أبطال المسلمين، واستشهد يوم أحد، وهو سيد الشهداء، ودفن مع ابن أخته عبدالله بن جحش في قبر واحد.

أحبّ إلي من أن يعزّوا من خبائك فقال رسول الله : وزيادة . وقرأ عليهن القرآن ، وبايعهن ، فقالت هند من بينهن : يا رسول الله نماسحك؟ فقال : إني لا أصافح النساء ، إن قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة واحدة[1].

وروي أن نسوة أتين النبي ، ﷺ ، فيهن هند بنت عتبة بن ربيعة وهي أم معاوية يبايعنه ، فلما أن قال رسول الله : لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ، قالت هند : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيّك فهل عليّ حرج أن أصيب من طعامه من غير إذنه؟ قال فرخّص لها رسول الله في الرطب ولم يرخّص لها في اليابس . قال : ولا يزنين . قالت : وهل تزني الحرة؟ قال : ولا يقتلن أولادهن . قالت : وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟ قال : ولا يعصينك في معروف[2].

وروى أنه لما أسلمت هند جعلت تضرب صنماً في بيتها بالقدوم حتى فلّذته فلذةً فلذة ، وهي تقول : كنا منك في غرور[3].

إذن حسن إسلام أمه ، كما حسن إسلام أبيه .

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص ٢٣٦.
(2) المصدر السابق .
(3) المصدر نفسه .

إخوته

تزوج أبو سفيان صخر بن حرب عدة نساء ، أنجبن له ، فكان لمعاوية عدة إخوة وهم :

١ ـ يزيد بن أبي سفيان : وأمه زينب بنت نوفل الكنانية ، وقد أسلم يوم الفتح ، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف ، وأخذ من الغنائم مائة من الابل وأربعين أوقية من الفضة ، وكان أحد قادة الفتح ، وكانت جهته دمشق ، وتولى أمرها ، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ .

٢ ـ حنظلة بن ابي سفيان : وأمه هند بنت عتبة ، وقد قتل يوم بدر كافراً .

٣ ـ عمرو بن أبي سفيان : وأسر يوم بدر ، وافتداه أبوه .

٤ ـ عتبة بن أبي سفيان : وأمه هند بنت عتبة ، وكان سنداً لأخيه معاوية .

٥ ـ عنبسة بن أبي سفيان : وأمه ابنة أبي أزيهر الدوسي ، وكان يحج في الناس في أول خلافة أخيه معاوية

٦ ـ محمد بن أبي سفيان : وهو شقيق عنبسة ، وابنه عثمان ولي أمر المدينة .

اما اخواته البنات فهن :

١ ـ رملة أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، أسلمت مع زوجها عبدالله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ وهاجرت معه إلى الحبشة ، فلما تنصّر هناك فارقته ، وخطبها النجاشي لرسول الله ﷺ ، ودخلت في عداد أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، وقدمت إلى المدينة في السنة السابعة

للهجرة بعد غزو خيبر. وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، وتوفيت في عهد أخيها معاوية.

٢ ـ أمينة بنت أبي سفيان: وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، تزوج أمينة حويطب بن عبد العزى العامري، ثم خلف عليها صفوان بن أمية.

٣ ـ جويرية بنت ابي سفيان: وأمها هند بنت عتبة، وتزوجها السائب بن أبي حبيش الأسدي، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن الحارث.

٤ ـ أم الحكم بنت أبي سفيان: وأمها هند بنت عتبة، وتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله.

٥ ـ هند بنت أبي سفيان: وأمها صفية بنت أبي عمرو بن أمية، وتزوجها الحارث بن نوفل بن الحارث.

٦ ـ صخرة بنت أبي سفيان: وأمها صفية بنت أبي عمرو بن أمية، وتزوجها سعيد بن الأخنس الثقفي.

٧ ـ ميمونة بنت ابي سفيان: وأمها لبابة بنت أبي العاص بن أمية، تزوجها عروة بن مسعود الثقفي، ثم خلف عليها المغيرة بن شعبة الثقفي.

٨ ـ عزة بنت أبي سفيان: وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، وهي التي عرضتها أختها أم المؤمنين على رسول الله ﷺ، فأجابها، «إن هذا لا يحلّ لي».

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان؟ قال: أو تحبين ذلك؟ فقلت: نعم، لست لك بمُخليَه، وأحب من شاركني في خير، أختي، فقال النبي ﷺ: إن هذا لا يحلّ لي، قلت: فإنا نحدّث أنك تريد أن تنكح بنت

أبي سلمة؟ قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، قال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي، لأنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن»[1]

٩ ـ الفارعة بنت أبي سفيان: وتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(١) جامع الأصول: رقم الحديث ٩٠٣٦.

نسَاؤه وَأولاده

تزوج معاوية بن أبي سفيان خمس نسوة هن:

١ - ميسون بنت بحدل الكلبية: وقد أنجبت له يزيداً، وأمة ماتت صغيرة.

٢ - كنوة بنت قرظة: وكانت معه في غزوة قبرص، وقد ماتت هناك.

٣ - فاختة بنت قرظة: وهي أخت كنوة وقد أنجبت له عبد الرحمن، ومات صغيراً، وعبد الله وكان على شيء من الحمق.

٤ - نائلة بنت عمارة الكلبية: ولكن لم يلبث أن طلقها فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري، ثم خلف عليها النعمان بن بشير، وقتل وهي عنده.

٥ - قريبة بنت أبي أمية المخزومي: وأمها عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، فهي ابنة خالته، وكانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوجها في الجاهلية، ثم طلقها معاوية فتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهي أخت أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية.

ولم ينجب بعد أن ضربه البرك بن عبد الله الخارجي في إليته عام ٤٠ هـ إذ بعث بعدها معاوية إلى الساعدي - وكان طبيباً - فلما نظر إليه قال: اختر احدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني. فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد بعدها[1].

---

(١) تاريخ الطبري.

وكان معاوية رجلاً طويلا ، أبيض ، جميلاً مهيباً ، وكان عمر ينظر إليه فيقول : هذا كسرى العرب ، وعن علي قال : لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها ، وكان يضرب بحلمه المثل[1] .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

حَيَاتُه

ولد معاوية في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة، ولم يعرف من أحداث مكة قبل الهجرة إلا القليل، ولم يشهد بدراً على الرغم من بلوغه العشرين إذ حضرها أخواه حنظلة، وعمرو، وقتل الأول منهما، وأسر الثاني. وحضر معاوية مع أبيه مقتل خبيب بن عدي بعد حادثة الرجيع، فلما رفع المشركون خبيباً على خشبة، واوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً. فكان معاوية يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني على الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه.

وحضر معاوية الخندق مع المشركين، وأصابه ما أصاب القوم من الهلع يوم كانت الريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء. وكان رسول الله ﷺ قد دعا حذيفة بن اليمان فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون؟ ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا فذهب فدخل في القوم فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت قال: عمرو بن العاص.

أسلم معاوية عام الحديبية، وكان يكتم إسلامه من أبي سفيان، إلا أن أبا سفيان يبدو أنه قد لاحظ عليه ذلك، فكان يقول له: ابني خير منك - يقصد يزيد - فهو على دينى.

وجاء عام الفتح، ودخل رسول الله ﷺ مكة، وأسلمت قريش، وأظهر معاوية إسلامه، ولقي رسول الله ﷺ فرحب به.

شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف، وأعطاه رسول الله ﷺ، من الغنائم مائة بعير وأربعين أوقية من الفضة وزنها له سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه، وعُدّ يومذاك من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ.

روى عن رسول الله ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثا، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو الدرداء، وجرير بن عبد الله البجلي، والنعمان بن بشير. وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب، وحميد بن عبد الرحمن.

وكان أبو سفيان قد انتقل وأهله إلى المدينة بعد إسلامهم، وآخى رسول الله ﷺ بين معاوية بن أبي سفيان والحُتات بن يزيد المجاشعي[1].

وقال رسول الله ﷺ لمعاوية «اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهديه»[2].

وروى الترمذي عن أبي ادريس الخولاني رحمه الله قال: «لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية، قال الناس: عزل عميراً،

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) رواه الترمذي في باب المناقب رقم ٣٨٤١ باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ورواه أيضاً أحمد في مسنده ٢١٦/٤.

وولي معاوية ، فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اهد به »[1].

وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب »[2].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال : قال معاوية : ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ : « يا معاوية إذا ملكت فأحسن »[3].

وتوفي رسول الله ﷺ وهو عن معاوية راض .

وسيّر الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربعة جيوش إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وكان كل جيش منها يضم سبعة آلاف مقاتل تقريباً ، واجتمع إلى أبي بكر بعدها أناس فوجههم إلى الشام ، وأمّر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأمره باللحاق بيزيد ، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد . وكانت هذه أول مهمة قيادية يتولاها معاوية في الفتوح ، وشهد معاوية اليرموك ، وفتح دمشق تحت راية أخيه يزيد .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل يزيد بن أبي سفيان حملة بإمرة أخيه معاوية إلى سواحل بلاد الشام فافتتحها .

وبقي من بلاد الشام بيت المقدس وقيسارية ، وجاء عمر بن الخطاب إلى

---

(١) رواه الترمذي في باب المناقب رقم ٣٨٤٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي .

(٣) المصدر نفسه .

بيت المقدس فتحها صلحاً، وبعد الصلح انسحب عدد من أهلها إلى قيسارية التي كان يدعم الروم أهلها عن طريق البحر. فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان أن يسيّر أخاه معاوية إلى قيسارية، ووصل معاوية إلى البلدة، وعليها (ابنى) فهُزم الروم أمام معاوية، ودخلوا حصونهم، ولم يزل المسلمون يحاصرونها حتى فتحها الله لهم.

وفي عام ١٨ هـ حدث طاعون عمواس، وذهب بكثير من رجالات المسلمين منهم: ابو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وكان يزيد قد أقام أخاه معاوية مكانه في دمشق، فلما هلك يزيد أمرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية على دمشق ثم أضاف له الأردن، وفلسطين، وحمص، إذ توفي شرحبيل بن حسنة[١] بطاعون عمواس وهو على الأردن، وسار عمرو بن العاص لفتح مصر، وكان على فلسطين، ومات عمير بن سعد[٢] الذي كان والياً على حمص بعد وفاة عياض بن غنم. وهكذا أصبحت بلاد الشام كلها تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان.

وخرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في

---

(١) شرحبيل بن حسنة: وهو شرحبيل بن عبدالله بن المطاع بن عمرو من كندة حليف بني زهرة. ويكنى أبا عبدالله، أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان أحد الامراء القادة في عهد أبي بكر، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ. وحسنة هي أمه، وهي عدوية.

(٢) عمير بن سعد بن جذيم بن سلامان: أسلم قبل خيبر، وهاجر إلى المدينة، وشهد خيراً مع رسول الله ﷺ وما بعدها من المشاهد، وولي حمص بعد وفاة عياض بن غنم، وكانت تصيبه غشية فذكر ذلك لعمر بن الخطاب فسأله، فقال: كنت فيمن حضر خبيباً ـ رحمه الله ـ حين قتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس إلا غشي عليّ، توفي سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مثله ، ويبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً ، فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، أو خدعة رجل أريب ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مرني بما شئت أصر إليه ، قال : ويحك ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك .

ولاحظ معاوية وهو ينازل الروم باستمرار أن قوتهم في البحر هي العامل الأساسي في بقائهم ، وأن التهديدات البرية للروم لا قيمة لها إذ أن المدن الساحلية في الشام معرضة باستمرار للتهديد لذا فلا بدّ من إقامة قوة إسلامية بحرية توقف سلطان الروم البحري عند حده ، وأحب قبل القيام بهذا المشروع استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب له : « يا أمير المؤمنين! إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص فإن أذنت بركوب البحر » . فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ليصف له البحر ، فأجابه « إني رأيت خلقاً عظيماً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، إن مال غرق ، وإن نجا برق » فلما قرأ عمر هذا الوصف كتب إلى معاوية : « لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً . . . وتالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم ، فإياك أن تعرض لي ، وقد تقدمت إليك ، وقد علمت ما لقي العلاء[1] مني ولم أتقدم إليه في مثل ذلك .

---

(١) العلاء الحضرمي : وكان قد هاجم الفرس بحراً دون إذن الخليفة وقد تعرضت قواته للهلاك لولا أن وصلتهم قوة كبيرة انقذتهم من موقفهم الذي هم فيه .

وتوفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو عن معاوية راض ، وأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأقرّ معاوية على إمارته.

غزا معاوية أرض الروم ، وكان على رأس صائفة ، واستطاع أن يصل إلى عمورية في موقع أنقرة اليوم ، ومعه عدد من صحابة رسول الله ﷺ منهم عبادة بن الصامت[1] ، وأبو أيوب الأنصاري[2] ، وأبو ذر الغفاري[3] ، وشداد بن أوس[4] .

وأمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان أن يغزو حبيب بن مسلمة الفهري[5] أرمينيا ، وسار حبيب نحو أرمينيا فوجد جيش أعدائه يزيد على ثمانين ألفاً فكتب بذلك إلى معاوية ، وكتب معاوية إلى عثمان ، وكتب عثمان إلى واليه على الكوفة آنذاك سعيد بن العاص[6] يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة ، فأمده بسلمان بن ربيعة في سنة

---

(١) عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري ، ويكنى أبا الوليد ، وأمه قرة العين بن عبادة ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، خرج مجاهداً إلى الشام ، وبقي حتى توفي فيها ، في الرملة عام ٣٤ هـ .

(٢) أبو أيوب الأنصاري : خالد بن زيد شهد العقبة ، نزل رسول الله ﷺ في داره ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان محباً لعلي ، وتوفي أثناء غزو القسطنطينية عام ٥٢ هـ ، وعلى الجيش يزيد بن معاوية .

(٣) أبو ذر الغفاري ، جندب بن جنادة الغفاري ، أسلم قبل الهجرة ، وأقام في قومه ، ثم هاجر إلى المدينة بعد الخندق ، غزا بالشام ، وأقام بعدها هناك حتى أرسله معاوية إلى المدينة ، مات بالربذة أيام عثمان .

(٤) شداد بن أوس بن ثابت النجاري الخزرجي الأنصاري ، مات في فلسطين عام ٥٨ هـ .

(٥) حبيب بن مسلمة الفهري : هاجر إلى المدينة صغيراً ، وتوفي رسول الله ﷺ وعمره اثنتا عشرة سنة ، نزل الشام ، وكان مع معاوية ، عرف بغزو الروم ، ثم تولى أمر أرمينيا ، ومات بها سنة اثنتين وأربعين .

(٦) سعيد بن العاص بن سعيد العاص : ولد في السنة الثانية للهجرة ، وقتل أبوه يوم بدر =

آلاف ، وقد تمكنت قوة المسلمين من تدمير جيش أعدائها .

أعاد معاوية طلب بناء قوة بحرية للمسلمين من الخليفة الجديد ، ولم يزل به حتى عزم على ذلك بأخرة ، ولكن قال له : لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيّرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه . ففعل واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الحارثي[1] حليف بني فزارة . وأصبحت السفن تبنى في عكا ، وصور ، وطرابلس على سواحل بلاد الشام .

غزا معاوية جزيرة قبرص ، وصالح اهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين كل سنة وذلك في عام ٢٨ هـ ، وساعد أهل مصر في تلك الغزوة بإمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[2] ، وكان معاوية على الناس جميعاً .

= كافراً . وقال عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص مالي أراك معرضاً كأنك ترى أني قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكن قتله علي بن أبي طالب ولو قتلته ما اعتذرت من قتل مشرك ولكن قتلت خالي بيدي العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . فقال سعيد بن العاص : يا أمير المؤمنين لو قتلته كنت على حق وكان على باطل . فسرّ ذلك عمر منه . تولى لعثمان أمر الكوفة ، وأخرجه أهلها ، ورجع عن طلحة والزبير من الطريق يوم أراد البصرة ، تولى أمر المدينة مرتين لمعاوية ، وصلى على الحسن بن علي رضي الله عنهما عام ٥٩ هـ .

(١) عبدالله بن قيس الحارثي : أمير البحر ، وبقي على البحر ، غزا خمسين غزاة ، صيفاً شتاءً ، لم يغرق من جيشه أحد ، ولم ينكب ، قتله الروم عام ٥٣ هـ وهو يطوف في أحد المرافيء متخفياً ، دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة .

(٢) عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري : من أبطال الصحابة ، فارس بني عامر بن لؤي ، أسلم قبل فتح مكة ، وهو من أهلها ، وكان من كتاب الوحي ، ارتد عن الاسلام وعند فتح مكة شفع له سيدنا عثمان بن عفان فأمنه رسول الله ﷺ بعد أن أهدر دمه ، وحسن إسلامه ، وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر ، وتولى أمرها بعد عمرو بن العاص سنة ٢٥ هـ ، وبقي عليها مدة اثني عشرة سنة ، زحف خلالها على إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي ، وعبدالله بن عباس ، وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبدالله بن الزبير . غزا الروم بحراً وظفر بهم في معركة ذات الصواري عام ٣٤ هـ .

خرج إلى الشام عندما تولى أمر مصر قيس بن سعد بن عبادة من قبل علي بن أبي =

وكان بين الغزاة من صحابة رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو[1]، وشداد بن أوس، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وكانت معه زوجه أم حرام.

وفي أيام إمارته على الشام وقعت معركة ذات الصواري البحرية عام ٣١ هـ، وكان قائد المشاة بسر بن أرطأة، وانتصر المسلمون انتصاراً كبيراً.

ونقض أهل قبرص عهدهم فأرسل إليهم حملة كبيرة دخلت الجزيرة عنوة، ثم جهز معاوية حامية مؤلفة من اثني عشر ألفاً ونقلها إلى الجزيرة بمهمة حمايتها، فأقامت المساجد هناك. وبقيت الحامية هناك حتى أيام يزيد بن معاوية.

وغزا معاوية بلاد الروم على رأس صائفة فوصل إلى (حصن المرأة) قرب ثغر ملاطية. وبعدها شغل المسلمون بمشكلاتهم الداخلية، فتوقفت الفتوحات، وطمع فيهم أعداؤهم، وقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه مظلوماً.

بويع سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، فعزل الولاة جميعاً، وتمّ له ذلك إلا أن معاوية رأى أن بلاد الشام لا يمكن تركها أبداً إذ أن الروم لذلك بالمرصاد، فماطل في بيعته وتأخر حتى عُدّ خارجاً على

= طالب، واعتزل الحرب يوم صفين، ومات بعسقلان، وهو قائم يصلي. وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

(١) المقداد بن عمرو الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، وقيل أبو عمرو: صحابي، من الأبطال، من السابقين الأوائل، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. كان في الجاهلية من سكان حضرموت، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة، هرب المقداد إلى مكة بسبب خصام مع غيره وقع له في حضرموت فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له: المقداد بن الأسود حتى نزلت الآية «ادعوهم لآبائهم». شهد بدراً وغيرها، وسكن المدينة وتوفي على مقربة منها عام ٣٣ هـ.

الخليفة على الرغم من اجتهاده في التأخر متعللاً بعدم بيعة الصحابة كافة، وسيطرة البغاة على المدينة، وعدم إقامة الحدود عليهم. وجرت الحروب بين الخليفة ووالي الشام، وكان ينادى أثناءها لعلي بن أبي طالب بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ويدعى معاوية الأمير، وانتهت الحروب بمقتل سيدنا علي على يد أحد الخوارج على حين نجا من ذلك القتل كل من أمير الشام معاوية بن أبي سفيان، وأمير مصر عمرو بن العاص.

بايع المسلمون الحسن بن علي بعد مقتل أبيه، وبقي معاوية خارجاً على الحكم حتى تنازل الحسن له وأصبح بعدها خليفة بصورة شرعية، وسمّي بذلك عام (٤١ هـ) عام الجماعة حيث عاد المسلمون إلى وحدتهم بعد خلاف استمر خمس سنوات.

خلافة معاوية

تُعدُّ خلافة معاوية بدءاً من عام ٤١ هـ حيث تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنهما، حقناً لدماء المسلمين، وتوحيداً لكلمتهم، وتستمر حتى وفاته في رجب عام ٦٠ هـ وهي بذلك تزيد على تسعة عشر عاماً بحدود ثلاثة أشهر. أما ما قبل الخلافة فكان يعرف بالأمير.

وقد كانت هذه الخلافة خيراً للمسلمين، إذ انتهت مدة الفوضى والقتال، وطمع الأعداء باستعادة المراكز التي تخلّوا عنها، إذ وجّه المسلمون قوتهم إلى الخارج حيث عاد الجهاد وحدثت الفتوحات، وقطع الروم بخاصة أملهم في الرجوع إلى الأماكن التي فقدوها.

وسار معاوية بالناس سيرةً حسنةً فقرّب من كان بعيداً، واستمع من كان نائياً، وحرص على جمع الكلمة، إذ أعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما ما أراد، وأمّن عبد الله بن عباس ووصله، وكذلك فعل بالنسبة إلى قيس بن سعد[1] رضي الله عنهما إذ كان على رأس جيش قوامه أربعون ألفاً أرسله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقتال أهل أذربيجان، فلما قتل علي، وتنازل الحسن، أمّر هذا الجيش قيس بن سعد، وتعاهدوا على قتال

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة: صحابي، من أهل المكيدة في الحرب، ومن أهل الرأي، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، ويلي أموره، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي ﷺ بمنزلة الشرطي من الأمير. صحب علياً رضي الله عنه في خلافته، فاستعمله على مصر ٣٦ ـ ٣٧، وعزل بمحمد بن أبي بكر، وعاد الى علي في العراق، وكان على مقدمته يوم صفين، ثم كان مع الحسن حتى صالح معاوية، فرجع الى المدينة وتوفي فيها عام ٥٨، وقيل إنه سكن تفليس وتوفي فيها. وكان من اطول الناس ومن اجلهم.

معاوية حتى يشترط لهم ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ، ويقول : على طاعة من تقاتل ، وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له ، حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله ، فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت ، فهو لك . فقال عمرو لمعاوية : لا تعطه هذا ، وقاتله ، فقال معاوية : على رسلك! فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام ، فما خير العيش بعد ذلك! وإني والله لا أجد من قتاله بداً . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط فيه قيس له ولمن معه الأمان على ما أصابوا من الدماء والاموال ، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالاً ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته . وقرّب إليه زياد بن أبيه وقد كان من أنصار علي ووالي خرسان له فلما قتل علي ، وتنازل الحسن اعتصم زياد بخراسان فما زال معاوية به حتى أرضاه واستقدمه ، ثم ولاّه ، وجعله أخاً له .

وهكذا لم يبق في أيام معاوية معارض له ، بل كل دخل في طاعته ، وانخرط في صفوف المقاتلين ، فعادت الفتوحات إلى أيامها الأولى ، وكان الصحابة رضوان الله عنهم في طليعة المجاهدين أمثال عبادة بن الصامت ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن عمرو ، وشداد بن أوس وغيرهم ، كما تسلم بعض الصحابة الأعمال لمعاوية . وإذا كان قد بقي بعض أصحاب الآراء الخاصة إلا أن عددهم قليل ، وهم ليسوا على ذلك المستوى إضافة إلى أنه لا يكاد يخلو منهم مجتمع ، فقد بقي عدد من الخوارج يخفون آراءهم في الأحوال العادية ويظهرونها وقت الشغب والخروج على الدولة ، ولم يكن أثرهم كبيراً أيام معاوية . وبقي عدد من الشاغبين وأهل الفوضى والأهواء ، ومركزهم الرئيسي كان في الكوفة ثم في البصرة وهؤلاء يظهر شغبهم وقت اللين ،

ويختفون وقت الشدة ، لذا فقد اشتهر ولاة هاتين المنطقتين بالشدة التي اضطروا إلى اللجوء إليها اضطراراً حتى غدوا نموذجاً في القسوة ، وهذا السلوك هو الذي جعل الكثيرين يحملون عليهم ، وكان أهل العراق قد تقاعسوا عن سيدنا علي حتى قتل ، وتقاعسوا عن الحسن حتى تنازل ، ثم سلموا مسلم بن عقيل ، وقاتلوا الحسين بعد أن طلبوا منه الحضور ، وثاروا مع زيد بن علي بن الحسين ثم تخلّوا عنه وهكذا ، وهذا السلوك نفسه قتل حجر بن عدي رضي الله عنه ، وجُهل قاتله فاتهموا به الخليفة.

وقد كثر الحديث في بعض الموضوعات أيام معاوية رضي الله عنه ، ومنها مقتل حجر بن عدي رضي الله عنه ، وادعاء زياد بن أبيه ، وتصرف الخليفة أحياناً ببعض بيت المال ، أو تقديم أعطيات في سبيل المصلحة العامة رآها بعضهم تصرفاً ببيت المال ، ثم صار الحديث في النهاية عن أخذ البيعة لولده يزيد ، وقد عُدّت الأمور الأولى خاصة بمعاوية بينه وبين ربه يحاسب عليها وعلى اجتهاده فيها ، أما البيعة فقد وقف ضدها عدد من الصحابة وأبناء الصحابة لأنها إمامة المسلمين جميعاً. وما عدا ذلك فقد كانت مدة خلافة سيدنا معاوية نموذجاً لوحدة كلمة المسلمين وانتشار الفتوحات وسيادة الشرع ، وسعادة الناس.

الولايَات

كانت الدولة الاسلامية عدة ولايات رئيسية وبعضها كان يتألف من عدد من الامارات التي دون الولايات، وكان لبعض الولايات أهمية خاصة، وقد تزداد هذه الاهمية في مدة ما فيضاف لها عدد من الامارات وقد تضعف باقتطاع أجزاء منها، وقد تكون الأهمية قد جاءت لما فيها من ثغور أو بما تتولاه من أمر الجهاد والقتال، ومن أشهر الولايات ذات الشأن ايام خلافة معاوية هي:

١ ـ الشام: وقد تولى أمرها يزيد بن أبي سفيان منذ فتحها، فلما هلك بطاعون عمواس عام ١٨ هـ أوكل سيدنا عمر بن الخطاب أمرها إلى معاوية بن أبي سفيان حسبما عهد يزيد أخوه إليه، واستمر أميراً لها حتى آلت الخلافة إليه، وهي مركز ثقله، وأهلها شيعته، قاتل بهم، وأطاعوه في كل أموره. وتشمل الأرض الممتدة من شمال جزيرة العرب حتى ذرا جبال طوروس، وتمتد من البحر الأبيض المتوسط في الغرب حتى أطراف الفرات، كما تضم أجزاء من الجزيرة.

وتعود أهميتها الى انها مركز الأمويين جميعاً، وفيها ثغور المسلمين على بلاد الروم، وتتركز فيها الصوائف والشواتي، وعلى موانئها تبنى السفن وتتحرك الأساطيل لغزو البحر وقتال الروم أيضاً. وفيها عدد من الامارات منها حمص التي كان من أشهر أمرائها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومنها قنسرين، وانطاكية، وطرابلس، والجزيرة.

ولم يحدث في هذه الولاية ما ينغص على الخليفة أي أمر بل كانت سنده في كل موضوع.

٢ ـ الكوفة: وتعود أهميتها إلى أنها تتولى القتال في شمال العراق، والأكراد، واذربيجان، وبلاد اللان، ومنطقة الجبال. وفي الوقت نفسه هي مركز ثقل بالنسبة للذين يرفضون الحكم الأموي، كما يقيم فيها عدد من الخوارج الذين يعادون أيضاً العهد الأموي واعتاد أهلها الوثوب على الحكم ونقده كلما لان لهم الولاة فإذا اشتدوا عليهم خضعوا، ومن هذا التصرف فقد كان ولاة هذا المصر أعنف الولاة وأقساهم، وكان السكان يقبعون إلى بيوتهم ويتركون من تعهدوا نصرته كلما لاحت لهم شدة، وقد قتل حجر بن عدي رضي الله عنه أحد الذين سكنوا الكوفة، وكان لمقتله أثر كبير على الحكم.

خرج الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم من الكوفة ومعهما عبدالله بن جعفر ابن عمهما باتجاه المدينة، ودخل معاوية الكوفة في جمادى الأولى عام ٤١ هـ، وولى عبد الله بن عمرو بن العاص، ولكنه عاد فعزله قبل ان يصل إليها، وأعطى أمرها للمغيرة بن شعبة الذي بقي أميراً عليها حتى توفي عام ٥٠ هـ، وقد سار في الناس سيرة لين ودهاء.

وغدت الكوفة بعد وفاة المغيرة تتبع زياد بن أبيه الذي كان يقيم فيها ستة أشهر وفي البصرة مثلها، كما ضمت إليه اليمامة وفي أيامه قتل حجر بن عدي. وعندما توفي زياد عام ٥٣ هـ، تولى امر الكوفة عبدالله بن خالد بن أسيد مدة سنتين، ثم خلفه الضحاك بن قيس الفهري، واستمر عليها حتى عام ٥٨ هـ حيث عزل، وتولى أمرها عبد الرحمن بن أم الحكم ابن اخت معاوية، ثم تلاه النعمان بن بشير رضي الله عنهما وبقي عليها حتى وفاة معاوية.

٣ ـ البصرة: وهي من العراق، وعلى مقربة من الكوفة، ولكن

فتوحات الشرق تتبعها وهي : فارس ، وخراسان ، وسجستان ومن هنا تأتي أهميتها إذ تعدّ من أوسع الولايات ، وواليها هو الذي يرسل الأمراء منها الى الامارات التي تتبعها ، وإن كان الخليفة أحياناً يعينهم ، أو يأمر بإرسال أشخاص بأعينهم ، وأحياناً قليلة يكونون منفصلين عن البصرة .

بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما غلب على البصرة حُمران بن أبان ، فوجه إليه معاوية بسر بن أرطأة فأخذ المنطقة ، وفي نهاية العام عزل بسر بن أرطأة ، وولى أمرها عبدالله بن عامر[1] الذي بقي فيها حتى عام ٤٤ هـ حيث عزل عنها ، وتولى زياد بن أبيه أمرها ، وبعد وفاة المغيرة بن شعبة ضمت إليه الكوفة وكذلك البحرين ، واليمامة ، وعُمان ، وانتقل إلى الكوفة ، وولى على البصرة سمرة بن جندب الفزاري ، اما هو فكان يقيم بالكوفة ستة أشهر ، وأخرى مثلها بالبصرة .

وبعد موت زياد عام ٥٣ هـ أصبح سمرة بن جندب هو الوالي على البصرة ، ثم خلفه بعد ستة اشهر عبدالله بن عمرو بن غيلان ، ثم عزله على ٥٥ هـ ، وولى عبيدالله بن زياد البصرة وكان قبلها والياً على خراسان ، وبقي فيها حتى توفي معاوية .

٤ ـ خراسان : وكانت تتبع البصرة أغلب الأحيان ، وولاتها من قبل ولاة البصرة . وكانت مقراً للجهاد ، لما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية عن الخلافة كان زياد بن أبيه في خراسان فاعتصم فيها في القلعة المعروفة باسم (قلعة زياد) ، فلما استرضاه معاوية وقدم زياد إلى الشام كان

---

(١) عبدالله بن عامر : كان والياً على البصرة من قبل أيام عثمان بن عفان ، وقد عزله علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما تولى الخلافة ، وأرسل مكانه عثمان بن حنيف .

عبدالله بن عامر والي البصرة فأرسل إلى خراسان قيس بن الهيثم، ثم عبدالله بن خازم، ولما أصبح زياد أمير البصرة أرسل إلى خراسان عام ٤٤ هـ طفيل بن عمرو اليشكري، ثم أرسل الحكم بن عمرو الغفاري، وبقي فيها حتى مات عام ٥٠ هـ فأرسل زياد إلى خراسان الربيّع بن زياد الحارثي، وكان الحكم قد ولّى مكانه أنس بن أبي ناس، وكتب إلى زياد بذلك، فخلع زياد أنساً، وعين مكانه خليد بن عبدالله الحنفي فبقي فيها شهراً، ثم جاء الربيّع بن زياد الحارثي إليها كما توجه إلى خراسان بأمر زياد غالب بن فضالة الليثي ليساعد الحكم بن عمرو الغفاري. وتوفي الربيّع عام ٥٣ هـ وخلفه ابنه عبدالله بن الربيّع، ولم يلبث شهراً حتى توفي أيضاً فخلفه خليد بن عبدالله الحنفي.

وفي عام ٥٤ هـ تولى أمر خراسان عبيدالله بن زياد، ولما أخذ ولاية البصرة في العام التالي بعث إلى خراسان أسلم بن زرعة، وفي عام ٥٧ هـ كان سعيد بن عثمان بن عفان والي خراسان، ثم عزل وتولى مكانه عبد الرحمن بن زياد.

ومن الامارات التي كانت تتبع البصرة: إمارة سجستان، ومن أشهر أمرائها عبّاد بن زياد، وإمارة كرمان، ومن أشهر أمرائها شريك بن الأعور، وكان من قبل عبيدالله بن زياد.

٥ ـ المدينة المنورة: وهي أهم الولايات ومركز الثقل بالنسبة إلى الخلافة إذ فيها الصحابة وأبناؤهم من المهاجرين والأنصار ولا تكاد تنعقد البيعة إن لم يبايع أهل المدينة إذ فيها عدد من أهل الحل والعقد، ومن يطيعه الناس ويسيرون برأيهم.

تولى أمر المدينة أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قثم بن العباس،

ولكنه سيّره إلى مكة، وولى أمرها إلى سهل بن حنيف الذي كان قد أرسله إلى الشام إلا أن خيل معاوية قد أرجعته ولما تنازل الحسن لمعاوية وعاد إلى المدينة بايعت المدينة، وولى معاوية أمرها مروان بن الحكم، واستمر عليها حتى عزل عام ٤٩ هـ، حيث تولى عليها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص[1]، ثم أعيد إليها مروان بن الحكم مرة ثانية عام ٥٤ هـ، ولكنه عزل عام ٥٨ هـ، وتسلم ولايتها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وبقي فيها حتى توفي معاوية.

أما بقية ولايات الجزيرة فكانت ذات أهمية قليلة لأنها ليست على ثغور، إضافة إلى بعدها. فكانت ولايات شرقي الجزيرة مثل البحرين، وعُمان أو وسطها مثل اليمامة فكانت تتبع أحياناً البصرة، وتكون أحياناً ولايات خاصة يتسلمها ولاة لم يشتهر أمرهم كثيراً لعدم شهرة ولاياتهم، وكذا الأمر بالنسبة إلى اليمن.

وكانت هناك مكة المكرمة فقد تولى أمرها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، وهو الذي كان قد أرسله إليها سيدنا علي بن أبي طالب، ثم أعيد، وأخيراً أرسل إليها علي قثم بن العباس، فلما تم الأمر لمعاوية أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة. وهناك الطائف وقد يجمع وال واحد الطائف ومكة، وقد تكونان تبعاً للمدينة.

---

(١) كان سعيد بن العاص قد تولى أمر الكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم عزله بناء على رغبة أهل الشغب.

٦ ـ مصر: كان عمرو بن العاص أميراً على مصر منذ أن فتحها أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبقي أميراً عليها حتى عزله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وولى مكانه عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فلما تولى الخلافة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة فدخلها وخرج منها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وسار قيس بن سعد بن عبادة في مصر سيرة حسنة ورضي أهلها به وإن اعتزل بعضهم منهم: مسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطأة، ومعاوية بن خُديج، فتركهم وشأنهم إلا أن بعض أنصاره كانوا يطالبونه بقتالهم ويكتبون إلى الخليفة بذلك، وجاءه الأمر ولكنه استحسن رأيه فعزل، وولي مكانه محمد بن أبي بكر، وأراد قتال المعتزلين ولكنه هزم. فأرسل الخليفة علي والياً مكانه هو الأشتر النخعي إلا أنه مات في الطريق الأمر الذي اضطر معه أمير المؤمنين على الابقاء على محمد بن أبي بكر والياً على مصر، وعندما حارب المعتزلين لم يوافقه كثير من أهل مصر فهزم أمام عمرو بن العاص وقتل، ودخل عمرو ابن العاص مصر والياً عليها من قبل معاوية، وهكذا خرجت مصر من قبضة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بقي عمرو والياً على مصر حتى توفي عام ٤٣ هـ، فولي أمرها بعده عتبة بن أبي سفيان حتى عام ٤٤ هـ، ثم تولى أمرها عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني[1] حتى عام ٤٧ هـ، وخلفه في أمرها معاوية بن خُديج الذي ولّى أمر المغرب عقبة بن نافع الفهري الذي كان أمير برقة وبناء على أوامر الخليفة، وفي عام ٥٠ هـ عُزل معاوية بن خُديج عن مصر وإفريقية، وولّى أمرها

---

(١) عقبة بن عامر الجهني: كان قارئاً، عالماً بالفرائض والفقه فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، وهو آخر من جمع القرآن. شهد صفين مع معاوية، ومات عام ٥٨ هـ.

مسلمة بن مخلّد ، فعزل عقبة بن نافع عن إفريقية ، وأعطى أمرها إلى مولى له يقال له أبو المهاجر ، ولم يزل مسلمة بن مخلّد عاملاً على مصر وافريقية وأبو المهاجر في افريقية حتى هلك معاوية .

الولايات في عهد

سنة	الشام	الكوفة	البصرة		
				خراسان	سجستان
٤١		المغيرة بن شعبة	حمران بن أبان بسر بن أرطأة	زياد بن أبيه	
٤٢		المغيرة بن شعبة	عبدالله بن عامر	زياد بن أبيه قيس بن الهيثم	عبد الرحمن ابن سمرة
٤٣		المغيرة بن شعبة	عبدالله بن عامر	عبدالله بن خازم	عبد الرحمن بن سمرة
٤٤		المغيرة بن شعبة	عبدالله بن عامر زياد بن أبيه	عبدالله بن خازم طفيل بن عمرو اليشكري	عبد الرحمن ابن سمرة
٤٥		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري	
٤٦		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري	
٤٧		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري	
٤٨		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري	
٤٩		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري	

معاوية بن أبي سفيان

سنة	المدينة	مصر	إفريقية	برقة
٤١	سهل بن حنيف مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٢	مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٣	مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٤	مروان بن الحكم	عتبة بن أبي سفيان		عقبة بن نافع
٤٥	مروان بن الحكم	عقبة بن عامر		عقبة بن نافع
٤٦	مروان بن الحكم	عقبة بن عامر		عقبة بن نافع
٤٧	مروان بن الحكم	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	
٤٨	مروان بن الحكم	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	
٤٩	سعيد بن العاص	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	

سنة	الشام	الكوفة	البصرة	خراسان	سجستان
٥٠		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيع بن زياد الحارثي	
٥١		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيع بن زياد الحارثي	
٥٢		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيع بن زياد الحارثي	
٥٣		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	عبدالله بن الربيع	
٥٤		عبدالله بن خالد بن أسيد	سمرة بن جندب الفزاري عبدالله بن عمرو بن غيلان	عبيدالله بن زياد	
٥٥		عبدالله بن خالد بن أسيد	عبدالله بن عمرو بن غيلان عبيدالله بن زياد	اسلم بن زرعة	
٥٦		الضحاك بن قيس	عبيدالله بن زياد	اسلم بن زرعة	
٥٧		الضحاك بن قيس	عبيدالله بن زياد	سعيد بن عثمان بن عفان	

سنة	المدينة	مصر	إفريقية	برقة
٥٠	سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥١	سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٢	سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٣	سعيد بنم العاص	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٤	مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٥	مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٦	مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٧	مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	

تابع الولايات في عهد

سنة	الشام	الكوفة	البصرة		
				خراسان	سجستان
٥٨		الضحاك بن قيس	عبيدالله بن زياد	عبد الرحمن بن زياد	عباد بن زياد
٥٩		عبد الرحمن بن أم الحكم	عبيدالله بن زياد	عبد الرحمن بن زياد	عباد بن زياد
٦٠		النعمان بن بشير	عبيدالله بن زياد	عبد الرحمن بن زياد	عباد بن زياد

سنة	المدينة	مصر	إفريقية	برقة
٥٨	الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٥٩	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	
٦٠	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	مسلمة بن مخلد	أبو المهاجر	

الفتوحات

كان الغزو أيام سيدنا معاوية رضي الله عنه يشمل مناطق واسعة تمتد من المحيد الأطلسي في غربي افريقية إلى البحر الأبيض المتوسط كله وتساير ذرا جبال طوروس، وبلاد القفقاس، وبلاد ما وراء النهر وطخارستان، والأفغان، لتصل إلى بلاد السند فسواحل المحيط الهندي على بلاد الهند، وهي مع هذا الامتداد العظيم تشمل جبهتين رئيسيتين:

١ ـ الجبهة الغربية: التي تضم مناطق الروم. ٢ ـ الجبهة الشرقية التي تضم مجموعات وثنية تعيش في شمال وشرقي الدولة الاسلامية.

الجبهة الغربية: وتشمل بلاد الروم والمناطق التي يسيطرون عليها سواء أكانت في البر مثل إفريقية أم في البحر الذي كان آنذاك البحر الأبيض المتوسط والذي يسيطر عليه الروم، ويعرف وقتذاك ببحر الروم، ثم جاء المسلمون ينازلونهم فيه.

وقد لاحظنا أن الدولتين العظميتين اللتين كانتا في صراع دائم عند ظهور الاسلام قد وقفتا في وجه الدعوة الجديدة إلا أن دولة الفرس قد انتهت وزالت من الوجود أمام جهاد المسلمين وضرباتهم المتتالية، على حين بقيت دولة الرم لمناعة بلادها، واتساع الأجزاء التي تحتلها، وقوتها البحرية الكبيرة على حين لم يكن للمسلمين في بداية الأمر قوة بحرية، لذا فقد وجه معاوية قوة كبيرة في البر ومثلها في البحر، بعضها إلى قلب بلاد الروم وعاصمتهم ليركز الروم جيوشهم هناك، كي يستطيع المسلمون في الوقت نفسه فتح البلاد الأخرى التي تخضع للروم إذ تضعف قوة الأعداء وبالتالي مع الزمن يمكن أن يضعف الروم أساساً بزوال أملاكهم فيمكن فتح بلادهم. ومن هنا كانت الجبهة الغربية ثلاث جهات:

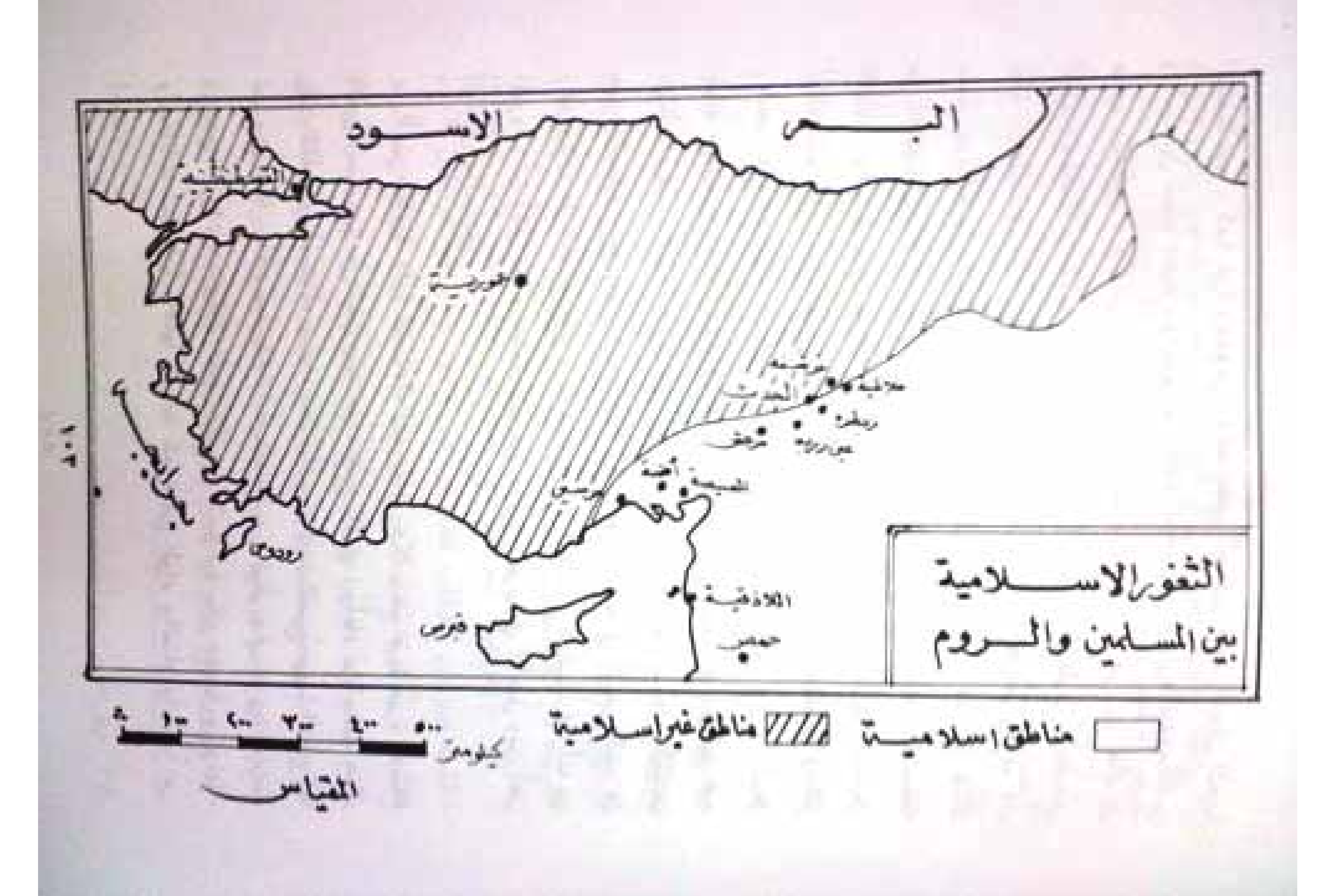
أ ـ بلاد الروم: وهي التي تعرف اليوم باسم بلاد الأناضول أو تركيا، وقد وصل المسلمون إلى تلك الجهات وتوقفوا عند أقدام جبال طوروس الممتدة من البحر الأبيض المتوسط عند (مرسين) نحو الشمال الشرقي حتى تصل إلى مناطق قريبة من البحر الأسود في هضبة أرمينيا، وقد أقيمت هناك ثغور وقلاع لكلا الجانبين ومن أشهرها مرسين، المصيصة، ومرعش، وملاطية، والحدث، وزبطرة، وخرشنة، وعين زربة وكانت الغارات لا تنقطع أبداً. وقد يحدث تقدم في بلاد الروم من قبل المسلمين إثر كثير من الغزوات لكن لا يلبث المجاهدون أن يعودوا إلى ثغورهم وقلاعهم وقد رتّب سيدنا معاوية في هذه الجهات الصوائف التي كانت تقوم بالغزو في فصل الصيف، والشواتي التي تقوم بالقتال في فصل الشتاء حتى تكون حروب دائمة تستنزف قوة العدو وتجعله في النهاية يخضع لحكم المسلمين وفي أثناء قتال مجموعة تكون المجموعة الثانية قد عادت إلى أماكن سكناها تجد الراحة وتتمتع بالنشاط مع أهليها حتى يحين موعد جهادها. وقد اشتهر من بين القادة في هذه المنطقة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبسر بن أرطأة الذي تقدم على رأس شاتية عام ٤٣ هـ حتى اقترب من القسطنطينية، ومالك بن هبيرة، وأبو عبد الرحمن القيني، وعبد الله بن قيس الفزاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وسفيان بن عوف الأزدي الذي توفي في أرض الروم، وعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، ومحمد بن عبد الله الثقفي، وجنادة بن أبي أمية الأزدي، ومعن بن يزيد السلمي، ومحمد بن مالك، ومالك بن عبد الله الخثعمي، وعبد الله بن كرز البجلي، وعمرو بن مرة الجهني.

وكان هدف الغزوات جميعها بالقسطنطينية وبعضهم كان يقترب منها، وبعضهم يصل إلى عمورية في موقع انقرة اليوم.

وفي عام ٥٠ هـ جهز معاوية حملة كبيرة من البر والبحر لتغزو القسطنطينية، وأعطى قيادة جيش البر لسفيان بن عوف الأزدي، وجعل ابنه يزيداً في قيادة الحملة إلا أن يزيداً لم يخرج مع الحملة، أما الأسطول فقد قاده بسر بن أرطأة، وحوصرت عاصمة الروم، وجرت اشتباكات بين الطرفين خسر فيها المسلمون خسائر كبيرة، فعمل معاوية على ارسال نجدة كبيرة كانت بقيادة ابنه يزيد ومعه أبو أيوب الأنصاري وعبدالله بن عمر ابن الخطاب، وعبدالله بن الزبير بن العوام، وعبدالله بن عباس بن عبد المطلب، وبوصول النجدة ارتفعت معنويات المجاهدين فاشتد الحصار وأصاب المسلمون من الروم وإن لم يستطيعوا فتح القسطنطينية، وقد استشهد في هذا القتال أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد رضي الله عنه، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وقد كانا على رأس الذين يثيرون حماس المقاتلين.

وفي عام ٥٣ هـ أعيد حصار القسطنطينية مرة ثانية، وكان القائد في هذه المرة فضالة بن عبيد الأنصاري، وعلى الاسطول عبدالله بن قيس الحارثي وجنادة بن أبي أمية، أما اسطول الشام فكان بإمرة يزيد بن شجرة الرهاوي، واستمر الحصار حتى عام ٥٧ هـ، ولم ينقذ القسطنطينية من الفتح إلا هبوب عاصفة هوجاء فرّقت الاسطول الاسلامي، وفي الوقت نفسه وصلت إمدادات إلى الروم من أوربا وخاصة من البلغار.

ب ـ البحر: منذ أن تسلم معاوية إمرة بلاد الشام وهو يطمح بمنازلة الروم بحرياً، وما أن سمح له الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بذلك حتى انطلق في ذلك ليحمي المدن الساحلية، ويصدّ عنها غارات الروم وأساطيلهم، ولاحظنا كيف انه فتح قبرص عام ٢٨ هـ، وأعاده عام ٣٣ هـ، وانتصر على الروم في معركة ذات الصواري، وغزا صقلية غزوة


الثغور الاسلامية
بين المسلمين والروم
البحر الاسود
القسطنطينية
عمورية
بحر ايجة
رودس
قبرص
اللاذقية
حمص
طرسوس
أذنة
المصيصة
مرعش
الحدث
ملطية
زبطرة
مناطق اسلامية
مناطق غير اسلامية
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠
كيلومتر
المقياس

استطلاعية ، كما غزا رودوس ، وقد نظم التعاون بين الجيوش البرية والاساطيل تنظيماً دقيقاً ، واشتهر من قادة البحر بسر بن أرطأة ، ومالك بن هبيرة السكوني ، والمنذر بن زهير ، وخالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وفضالة بن عبيد الأنصاري ، ويزيد بن شجرة الرهاوي ، وعقبة بن نافع ، وجنادة بن أبي أمية الأزدي ، وغيرهم ، ومن الملاحظ أن بعضهم كان يتسلم إمرة الجيوش البرية تارة وتارة أخرى قيادة الاساطيل فلم يكن هناك من اختصاص وانما الروح المعنوية العالية تدفع المؤمن لأن يجاهد بأية منطقة كانت . . . كما يجب ان نعرف أن غزو البحر لم يكن محصوراً بأهل الشام من أبناء السواحل وأهل مصر فقط بل أصبح جميع المسلمين مجاهدين في البر والبحر على حد سواء ، سواء أكانوا من أهل البادية الذين لم يروا البحر طيلة حياتهم أم أبناء السواحل الذين اعتادوا على العمل به ، وكلهم يجيد القتال . ويحسن التصرف ويضحي بكل شيء ففي عام ٤٨ هـ قاد مالك بن هبيرة السكوني أهل مصر في البحر ، وقاد أهل المدينة في البحر المنذر بن زهير وكان على الجميع خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، كما أنه من المعروف أن أكثر هؤلاء القادة كان من جزيرة العرب في الأصل ومن أهل الداخل والبوادي .

أسس معاوية داراً للصناعة البحرية في عكا وجمع فيها مهرة الصناع الذين استقدمهم من اليمن وسواحل الخليج العربي ، وأفاد من خشب جبال بلاد الشام ، ورمّم ميناء صور ، وطرابلس ، وكانت تصنع فيهما السفن كما تصنع في عكا . وأقام معاوية داراً لصناعة السفن البحرية في جزيرة الروضة في مصر عام ٥٤ هـ ، وتمتاز السفن الحربية الاسلامية بكبر حجمها ، وتنوعها ، وامكانات استيعابها وحملها كميات كبيرة من المواد والعتاد وأعداداً من الجند .

واتخذ معاوية خطة في نقل أعداد من العرب المسلمين إلى الجزر في البحر الأبيض المتوسط لحمايتها ونشر الاسلام على ربوعها.

ثم نزول المسلمين بصقلية عام ٤٨ هـ، واستطاع فضالة بن عبيد الأنصاري فتح جزيرة (جربا) عام ٤٩ هـ وقد سار إليها على رأس شاتية في ذلك العام.

وفي عام ٥٠ هـ تم حصار القسطنطينية، وقد روى البخاري عن أم حرام بنت ملحان أن رسول الله ﷺ قال: «أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم[1]». كما أعيد حصارها لمدة ٤ سنوات من عام ٥٣ - ٥٧ هـ.

وفي عام ٥٣ هـ فتح جنادة بن أبي أمية الأزدي جزيرة رودوس، ونقل معاوية جماعة إليها لحمايتها.

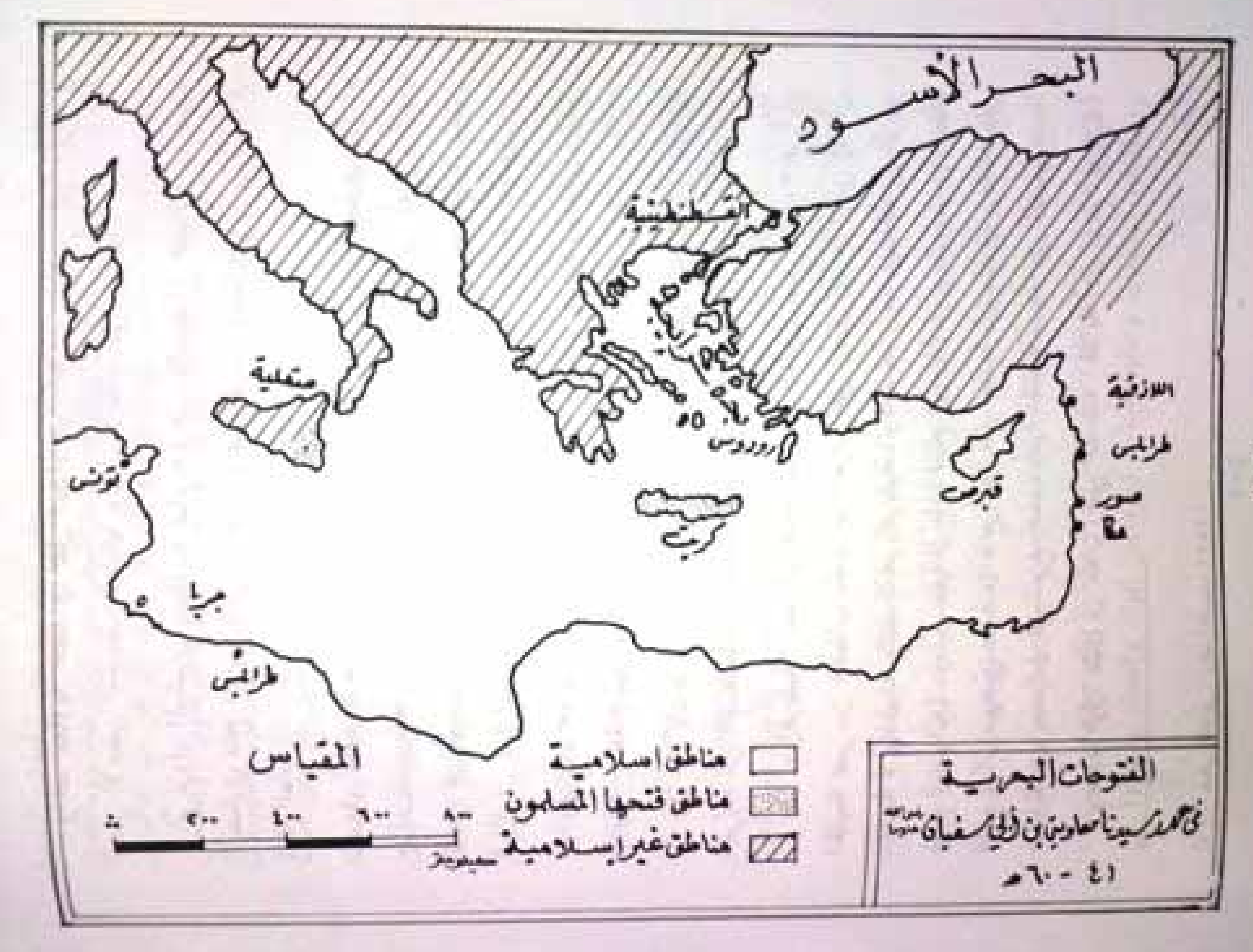
وفي عام ٥٥ هـ تم فتح جزيرة كريت. وبعد عامين فتحت جزر بحر ايجة القريبة من القسطنطينية مقدمة لحصارها من جديد.

هـ - إفريقية: بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ أيام الخليفة عمر بن الخطاب تقدم نحو الغرب حتى وصل إلى طرابلس إلا أن الخليفة لم يأذن له بالتقدم نحو افريقية، وكان قد وجّه عبدالله بن الزبير ففتح (مصراته)، وسيّر عقبة بن نافع ففتح (زويلة)، وأرسل بسر بن أرطأة ففتح ودّان، وعيّن عقبة بن نافع أميراً على حامية مرابطة في برقة، وعين عبدالله بن سعد بن أبي سرح حسب أمر الخليفة أميراً على الصعيد.

وعندما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة أذن بفتح افريقية،

---

(١) فيض القدير: رقم الحديث ٢٨١١.


الفتوحات البحرية
في عهد سيدنا معاوية بن أبي سفيان
٤١ - ٦٠ هـ
البحر الأسود
القسطنطينية
صقلية
تونس
جربا
طرابلس
رودوس
كريت
قبرص
اللاذقية
طرابلس
صور
عكا
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير إسلامية
المقياس

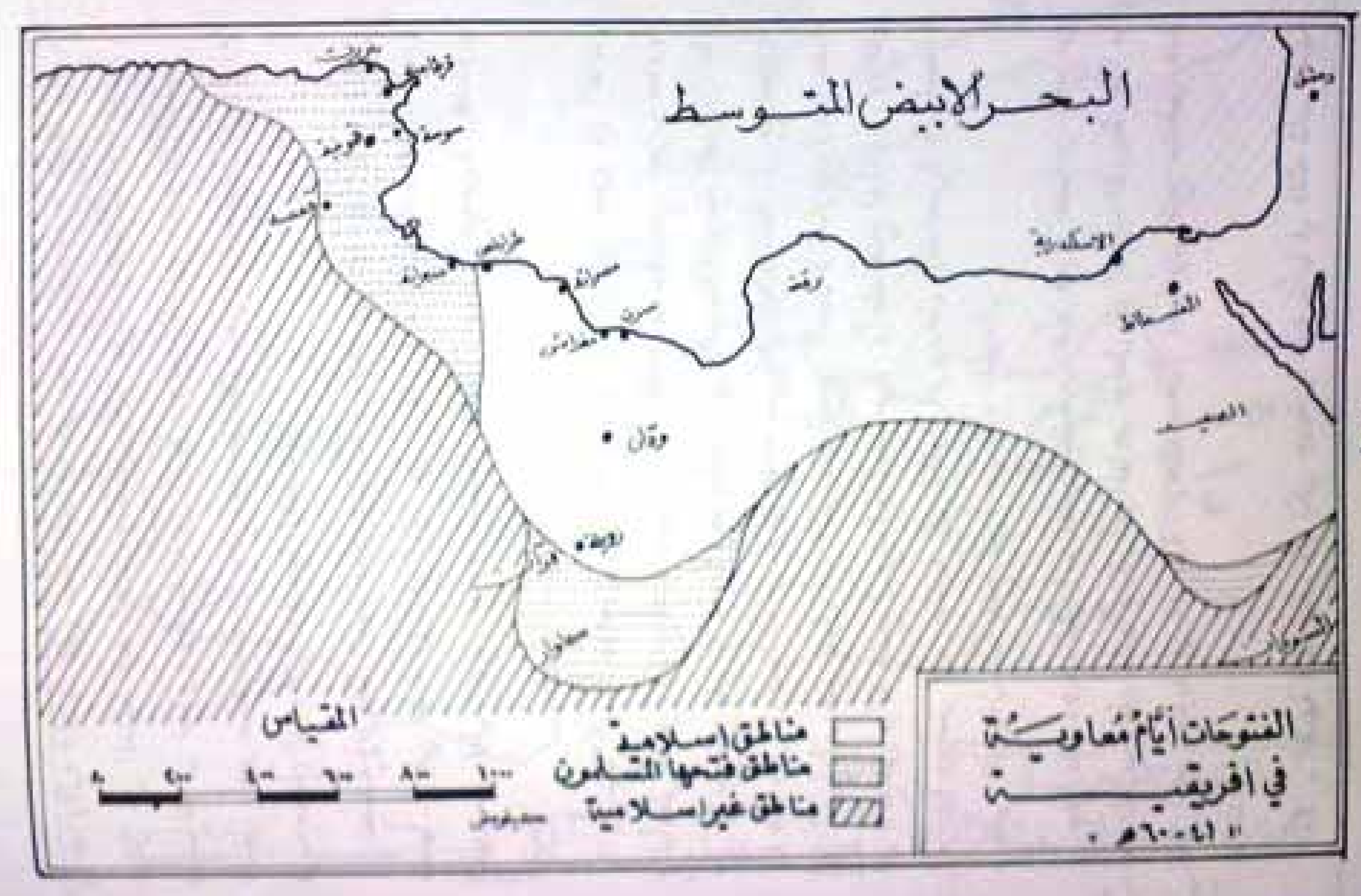
ووجه واليه الجديد على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح نحوها وأمده بجيش من المدينة فيه الحسن والحسين ابنا علي، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، فالتقوا بأمير برقة عقبة بن نافع، ودخلوا طرابلس، وانتصروا على الروم قرب موقع القيروان، وفتحوا (قفصة).

نقضت إفريقية العهد فعاد عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها وجدد فتحها. وبقي عقبة بن نافع أميراً على برقة، وكثيراً ما كان يحدث نقض العهد من قبل البربر فيقوم المسلمون بإعادة تسيير الجيوش، ويجددون الفتح.

وعندما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان عاد عمرو بن العاص والياً على مصر، وكان قد دخلها منذ عام ٣٨ هـ. وتولى أمر المغرب معاوية ابن حُديج فتح بنزرت عام ٤١ هـ. كما دخل (قمونية) موضع القيروان عام ٤٤ هـ، وأرسل عبدالله بن الزبير ففتح سوسة في العام نفسه، ورجع معاوية ابن حُديج إلى مصر فتولى أمر المغرب رويفع بن ثابت الأنصاري، وبقي عقبة ابن نافع على برقة ففتح (سرت) و (مغداس)، وأعاد فتح (ودّان)، ودخل (فزان) ووصل إلى جنوبها إلى (كاوار)، ودخل (غدامس) و (قفصة) وابتنى القيروان كما فتح كوراً من بلاد السودان.

وفي عام ٥٠ هـ تولى أمر مصر مسلمة بن مخلّد فعزل عقبة بن نافع عن أمر المغرب وولى عليها دينار أبو المهاجر فوصل إلى المغرب الأوسط هذا ما كان أيام معاوية في افريقية، وهكذا جدد المسلمون فتح مناطق عدة مرات.

٢ ـ الجبهة الشرقية: ولم تكن جبهة واحدة شأنها في ذلك شأن الجبهة


البحر الابيض المتوسط
الاسكندرية
الفسطاط
برقة
ودان
المقياس
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية
الفتوحات أيام معاوية
في افريقية

الغربية، فكانت عدة جبهات لأنها تقع على بلاد عدة أمم، ومعظمها وثنية بعكس الغربية التي يدين سكانها بالنصرانية، فترى في الشمال شعوب القفقاس المختلفة التي أشهرها اللان، وفي الشمال الشرقي نجد الاتراك في بلاد ما وراء النهر، وكانوا على الوثنية أيضاً، وفي الشرق نجد طخارستان، وسجستان، وسكانهما من الوثنيين، وفي الجنوب الشرقي بلاد السند.

غزا المسلمون بلاد اللان عام ٤١ هـ، وفتحوا الرُّخّج وغيرها من بلاد سجستان عام ٤٣ هـ، ودخل الحكم بن عمرو الغفاري منطقة القيقان في طخارستان، وغنم غنائم كثيرة عام ٤٥ هـ، كما فتح المسلمون قوهستان، وفي عام ٥٥ هـ قطع عبيدالله بن زياد النهر ووصل إلى تلال بخارى.

وغزا المسلمون عام ٤٤ هـ بلاد السند بإمرة المهلب بن أبي صفرة، كما غزوا جبال الغور عام ٤٧ هـ، وكان المهلب مع الحكم بن عمرو الغفاري.

وكان سكان المناطق الشرقية ينكثون بالعهد مرة بعد أخرى ويعود المسلمون لقتالهم ودخول أراضيهم لذلك نلاحظ ان مناطق تلك الجهات قد فتحت عدة مرات، واستمرت مدة من الزمن على هذه الحال حتى دانت نهائياً أيام الوليد بن عبد الملك.


بلاد اللان
خراسان
بلاد ما وراء النهر
دمشق
الكوفة
البصرة
الخليج العربي
مناطق اسلامية
مناطق غير إسلامية
المقياس
بحر العرب
كابل
غزنة
كرمان
سجستان
فيروزكوه
هراة

الخــوارج

وهم الذين أجبروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على وقف القتال في صفين، ثم رفضوا التحكيم، حتى دبّ الخلاف في جيش علي رضي الله عنه، ولما عاد الجيش الى الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً، ولحقوا بقرية من قرى الكوفة تعرف باسم (حروراء) ومن هنا جاءت تسميتهم الحرورية، وجعلوا عليهم شبيب بن ربعي التميمي، وعلى صلاتهم عبدالله بن الكواء اليشكري من بكر بن وائل، فناظرهم سيدنا علي، وعادوا فدخلوا جميعاً الكوفة، ولكنهم كانوا يرددون (لا حكم إلا الله) وهي الكلمة التي قالها عروة بن أديه أحد هؤلاء الخوارج للأشعث الكندي عندما كان يقرأ صحيفة التحكيم إثر صفين.

ولما حدث التحكيم ورفضه علي وأصحابه، طالب الخوارج علياً بقبوله، وقالوا: دعوت له فلما حكم عليك رفضته، فاجتمع أربعة آلاف منهم واتجهوا نحو المدائن، وقد أمّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي، وقتلوا عامل علي عليها، وهو عبدالله بن خباب، فاضطر علي إلى السير إليهم، وترك الحركة نحو الشام التي أزمع الاتجاه نحوها وقتال أهلها. وحاول علي أن يثنيهم عن مقالتهم ويردّهم إلى صفه فكانوا يقتلون رسله، ويتهمونه بالكفر الأمر الذي اضطره إلى قتالهم في (النهروان) فقتل عبدالله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير السعدي وغيرهما من القادة، ولم ينج من الخوارج يومذاك سوى عشرة وأبيد الباقون. ثم كان مقتل علي على يد أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم، وأصيب معاوية بجرح، ونجا عمرو بن العاص إذ لم يحضر صلاة فجر ذلك اليوم لمرض ألم به وأناب قاضيه خارجة ابن حذافة فكان مصرعه وذلك أن الخوارج قد تعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو حيث عدّوهم سبب ما نزل بالأمة.

واعتزل خمسمائة من الخوارج في شهر زور أيام علي، فلما قتل علي وتنازل الحسن لمعاوية خرجوا «قدم معاوية قبل ان يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهر زور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفّوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم! ما تبغون منا! أليس معاوية عدونا وعدوكم! دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصبنا كنتم قد كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة. وأخذت (أشجع) صاحبهم فروة بن نوفل - وكان سيد القوم - واستعملوا عليهم عبدالله بن أبي الحر - رجلاً من طيء - فقاتلوهم فقتلوا»[1].

وفي عام ٤٢ هـ خرج حيان بن ظبيان السلمي، وكان أحد قادة الخوارج الذين نجوا في النهروان، وبرئت جراحهم، فخرج بعد شهر من معركة النهروان واتجه إلى الري[2] مع من يرى رأيه، وكان علي قد عفا عنهم وعددهم أربعمائة رجل، ولم يزالوا هناك حتى بلغهم مقتل علي رضي الله عنه، فلما كان ذلك دعا حيان بن ظبيان أصحابه أولئك - وكانوا بضعة عشر رجلاً، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الاخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم أخا مراد قد قعد لقتل علي بن أبي طالب عند أغباش الصبح مقابل السدة التي في المسجد مسجد الجماعة،

---

(١) تاريخ الطبري ٥ ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) الري: موقع طهران اليوم أو على مقربة منها.

فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة،صلاة الصبح ، فشدّ عليه فضرب رأسه بالسيف ، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات فقال سالم بن ربيعة العبسي : لا يقطع الله يمناً علت قذاله بالسيف ، فأخذ القوم يحمدون الله على قتله عليه السلام ورضي الله عنه ولا رضي عنهم ولا رحمهم! ثم قال حيان لأصحابه : إنه والله ما يبقى على الدهر باق ، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تذيقه الموت ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العجزة ، ولم تزل ضارّة لمن كانت له هماً وشجناً ، فانصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرنا ، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذر لنا في القعود ، وولاتنا ظلمة ، وسنة الهدى متروكة ، وثأرنا من الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون ، فإن يظفرنا الله لهم نعمد بعد إلى التي هي اهدى وأرضى وأقوم ، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين ، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة . فقالوا : كلنا قائل ما ذكرت ، وحامد رأيك الذي رأيت ، فرد بنا المصر فإنا معك راضون بهداك وأمرك ، فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة .

وأقبلوا حتى نزلوا الكوفة ، فلم يزالوا بها حتى قدم معاوية ، وبعث المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة ، فأحب العافية ، وأحسن في الناس السيرة ، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم ، وكان يؤتى فيقال له : إن فلاناً يرى رأي الشيعة ، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج . وكان يقول : قضى الله ألا تزالون مختلفين ، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . فأمنه الناس ، وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً ، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان ، ويرون أن في الاقامة الغبن والوكف ، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر .

وفزع الخوارج إلى ثلاثة نفر، منهم المستورد بن عُلَّفة التيمي من تيم الرباب، وإلى حيان بن ظبيان السلمي، وإلى معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي - وهو ابن عم زيد بن حصين، وكان زيد ممن قتله علي عليه السلام يوم النهروان، وكان معاذ بن جوين هذا في الأربعمائة التي ارتُثّوا من قتل الخوارج، فعفا عنهم علي عليه السلام - فاجتمعوا في منزل حيان ابن ظبيان السلمي، فتشاوروا فيمن يولون عليهم. فقال لهم المستورد: يا أيها المسلمون والمؤمنون، أراكم الله ما تحبون، وعزل عنكم ما تكرهون، ولّوا عليكم من أحببتم، فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الوالي عليّ منكم! وما شرف الدنيا نريد، وما إلى البقاء فيها من سبيل، وما نريد إلا الخلود من دار الخلود. فقال حيان بن ظبيان: أما أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكل امرىء من إخواني راض، فانظروا من شئتم منكم فسمّوه، فأنا أول من يبايعه. فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين: إذا قلتما أنتما هذا وأنتما سيدا المسلمين وذوا أنسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما، فمن يرئس المسلمين، وليس كلكم يصلح لهذا الأمر! وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حُمّل، وأنتما بحمدالله ممن يرضى بهذا الأمر، فليتوله أحدكما. قالا: فتوله أنت، فقد رضيناك، فأنت والحمدلله الكامل في دينك ورأيك، فقال لهما: أنتما أسن مني، فليتوله أحدكما، فقال حينئذ جماعة ممن حضرها من الخوارج: قد رضينا بكم أيها الثلاثة، فولوا أيكم أحببتم، فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه: تولّها أنت، فإني بك راض، وإني فيها غير ذي رغبة. فلما كثر ذلك بينهم قال حيان بن ظبيان: فإن معاذ بن جوين قال: إني لا ألي عليكما وأنتما أسن مني، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك، لا ألي عليك وأنت أسن مني، ابسط يدك أبايعك،

فبسط يده فبايعه ثم بايعه معاذ بن جوين ، ثم بايعه القوم جميعاً ، وذلك في جمادى الآخرة . فاتعد القوم أن يتجهزوا ويتيسروا ويستعدوا ، ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال شعبان سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا في جهازهم وعدتهم .

وصل أمر الخوارج إلى المغيرة بن شعبة وأنهم قد اجتمعوا في منزل حيان ابن ظبيان استعداداً للخروج ، فأرسل إليهم شرطته فأتوا بهم إليه فقال لهم المغيرة : ما حملكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين؟ فقالوا : ما أردنا من ذلك شيئاً ، قال : بلى ، قد بلغني ذلك عنكم ، ثم قد صدق ذلك عند جماعتكم ، قالوا له : أما اجتماعنا في هذا المنزل فإن حيان بن ظبيان أقرأنا القرآن . فنحن نجتمع عنده في منزله فنقرأ القرآن عليه . فقال : اذهبوا بهم إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة ، وسمع إخوانهم بأخذهم فحذروا ، وخرج صاحبهم المستورد بن عُلّفة فنزل داراً بالحيرة ، وكان أصحابه يتخلفون عليه ويتهجرون ، فلما كثر اختلاف أصحابه عليه قال لهم صاحبهم المستورد بن عُلّفة التيمي : تحوّلوا بنا عن هذا المكان ، فإني لا آمن أن يُطّلع عليكم .

ووصل الخبر إلى المغيرة بن شعبة فتكلم فيهم ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد : فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحب لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وأني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم ، فأما الحلماء الأتقياء فلا ، وأيم الله لقد خشيت ألا أجد بُدّاً من أن يُعصَب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل ، فكفوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم . وقد ذكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف ، وأيم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم . فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم ، فقد قمت هذا المقام ارادة الحجة والاعتذار .

ثم بعث المغيرة بن شعبة إلى رؤساء الناس فدعاهم ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكفني كل امرئ من الرؤساء قومه، وإلا فالذي لا إله غيره لأتحوّلن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر. فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم فناشدوهم الله والاسلام إلا دلّوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة.

ووصل الخبر إلى رأس الخوارج المستورد بن عُلّفة، وكان قد نزل في منزل أحد رجال بني عبد قيس فارتحل عنه، وعلم المغيرة بما تم فأرسل إليهم معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف رجل، ولكنهم انطلقوا ليجدوا تعباً في اقتفاء أثرهم وعندها يقاتلهم الخوارج، وعرف معقل بن قيس خطة الخوارج هذه فأرسل طليعة له مؤلفة من ثلاثمائة فارس فلحقت بهم فاقتتلوا، فلم تثبت هذه الطليعة أمام الخوارج مع العلم ان كلا الفئتين يبلغ عددها ثلاثمائة فارس، وذلك في أرض المذار إلى الشمال الشرقي من البصرة وفي منطقتها، وهذا ما دعا واليها عبدالله بن عامر أن يرسل في أثرهم ثلاثة آلاف آخرين. فلما رأى الخوارج كثرة الطلب عليهم ولّوا وجههم شطر الكوفة ليقاتلوا معقل بن قيس ومن معه وحدهم بعيدين عن جند البصرة، فلحقهم أهل الكوفة حتى ادركوهم، وقاتلوهم فلم ينج منهم إلا خمسة أو ستة وقتل زعيمهم المستورد بن عُلّفة، كما قتل معقل بن قيس الرياحي، قتل كل صاحبه في المبارزة، وخفّ بعد ذلك أثر الخوارج.

ولما ولي زياد بن أبيه أمر البصرة خافه الخوارج فخرج أحدهم وهو سهم ابن غالب الهجيمي، وثار في الأهواز فأحدث فتنة، ثم رجع واختفى، وطلب الأمان فلم يؤمنه زياد، وإنما قتله وصلبه وذلك عام ٤٦ هـ، وفي الوقت نفسه خرج أيضاً الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي، فسيره زياد إلى

البحرين، ثم أذن له فقدم، وقال له: الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو: اضمنه، فأبى وقال: إن بات عن بيته اعلمتك. ثم اتاه مسلم فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته، فأمر به فقتل، وألقي في باهلة.

وفي سنة ٥٠ خرج اثنان أيضاً من الخوارج في البصرة وهما: زحاف الطائي، وقريب الايادي، ومعهما سبعون رجلاً، ولكنهما قتلا وأصحابهما، وكان زياد شديداً على الخوارج، وكان يولي البصرة سمرة بن جندب، ويأمره بالشدة عليهم أيضاً حتى قتل منهم عدداً كبيراً.

واشتد عبيدالله بن زياد والي البصرة على الخوارج فسجن منهم الكثير، وقتل أكثر، وكان ممن قتلهم عروة بن أدية، ومرداس بن أدية أخو عروة، فالأول كان قد زجره وحاول وعظه، أما الثاني وهو أبو بلال فقد خرج في الأهواز بعد أن كان سجيناً في سجن ابن زياد بالبصرة، ونجا هو على حين هلك أصحابه، واجتمع بالأهواز حول مرداس هذا أربعون رجلاً، فأرسل لهم ابن زياد جيشاً قوامه ألفا رجل عليهم ابن حصن التميمي، فانتصر الخوارج عليهم في معركة دارت بآسك فقال قائلهم:

أألفــــا مؤمن منــــكم زعمتم	ويقتلهم بـــآسك أربعونـــــا
كـــذبتم ليس ذاك مـــا زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونـــــــا
هي الفئـة القليلـة كمـا علمتم	على الفئة الكثيرة ينصرونا

كان الخوارج بدواً أجلافاً شديدي الايمان، لا يقتنعون إلا بما في رؤوسهم، ولا يمكن تغيير ذلك بسهولة، ويرون أن المسلمين قد أحدثوا الكثير، فيرمون عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب بالأخطاء بل بالكفر، ويرون أن الناس قسمان: مؤمن، وكافر وليس هناك غير ذلك، لذا عدّوا كل من لا يرى رأيهم كافراً عليه التوبة والتبرؤ مما قام به عثمان وعلي. وقد

لقي المسلمون منهم الويلات الكثيرة إذ كانوا يستبيحون دم المسلمين، ويقاتلون بضراوة وتضحية، ويعتقدون في ذلك استشهاداً لذلك فقد أبلوا في معاركهم البلاء الكثير. وكانت عبادتهم نموذجاً في الخشوع والإطالة، وتروى الروايات الكثيرة في ذلك، وشعرهم يطفح بالشجاعة والاقدام.

شعر معاوية بالضعف، وأحس بالتعب بعدما عانى في الامارة والخلافة الشيء الكثير، ورأى الموت يقترب منه، وهو غاية كل حي، ونظر إلى الدولة وقد توحدت أركانها، واتفق ساكنوها، بعد الذي بذله، وخشي أن تعود أشتاتاً بسبب الحكم والعمل على تسلم السلطة.

ورأى أن العهد بالخلافة أفضل من ترك الأمر على غاربه يختار المسلمون الذي يرونه ولربما يكون هذا هو الأفضل عندما يكون الناس كلهم كالصحابة ولكن أنى لهم في هذا الوقت الذي اختلف فيه أكثرهم، وتصادموا وتقاتلوا، ونظر فرأى أن أبا بكر قد عهد لعمر فسارت المياه في مجاريها بشكل طبيعي، ولكن عندما لم يُعهد حدثت فتن أو كادت أيام بيعة عثمان وعلي، لذا قرر أن يعهد بالخلافة.

ونظر إلى مقر الخلافة فوجد أن الشام أكثر الأماكن صلاحاً فيجب أن يبقى مركز الحكم فيها، إذ أن أهلها كلهم على رأي واحد، وهي أقرب البقاع إلى منطقة الثغور، وفيها بطانته، ومنها قوته فيستطيع ان ينفذ الخليفة الجديد أوامره بكل يسر وسهولة، أما العراق فهي مركز الفوضى، ويُحكم اهلها بالقوة والسلطان، وأما مصر فيمكن أن يسيطر عليها سيطرة تامة أي انسان يحمل لقب الحاكم أو الأمير، على حين أن أهل الشام لا يحكمهم إلا الدهاء وإظهار الكياسة والتقرب إليهم، أما المدينة فهي مركز الثقل وفيها بقية الصحابة وأبناؤهم، ومنها تؤخذ البيعة، ومنها يكتسب الخليفة السلطة الشرعية فمن ايدته دعم، ومن رفضته وجد العناء والتعب والمقاومة إلا أن اختلاف الصحابة وأبنائهم يؤثر على وحدة الأمة واجتماع كلمتها لذا فالأولى أن تؤخذ البيعة من المدينة، ولا يترك لأهلها الأمر فلربما

وقع الخلاف وحدث ما قد سبق أن حدث لذا قرر أن يكون الخليفة من الشام وبها.

ونظر إلى أهل الشام فغلبت عليه عاطفة الأبوة وبخاصة أن يزيداً وحيد إذ أن أخاه عبد الرحمن قد مات صغيراً، وأن أخاه عبدالله كان أحمق، ولربما زيّن له بعض الناس ذلك من قبل فسار هواه في هذا الاتجاه تحت تأثير عاطفة الأبوة، وهذا ما تشير إليه كتب التاريخ من تزيين المغيرة بن شعبة له بذلك على حين توفي المغيرة في سنة ٥٠ هـ، وعلى كل فقد وافق على ذلك، ويزيد شاب مدلل نشأ في بيت الإمارة والخلافة وحيداً، تنقصه الخبرة الاجتماعية وإن كانت رغبة والده في أن يزيده منها فسيّره كما رأينا على رأس الجيش الذي سار لغزو القسطنطينية ولكن لم يكتسب في ذلك الخبرة الكافية على الرغم من وجود بعض الصحابة في ذلك الجيش، وأبناء الصحابة، ولكن هذا التصميم من قبل الخليفة لا بدّ للحصول على البيعة من موافقة أهل المدينة وما عداهم فالأمر ميسور يكتفي بموافقة ولاة العراق ومصر، والشام أمرها مضمون.

وفي سنة ٥٠ هـ دعا معاوية لبيعة ابنه فبايعه أهل الشام، وكتب إلى مروان بن الحكم واليه على المدينة ليأخذ البيعة من أهل المدينة فوجد معارضة، وحج معاوية سنة ٥١، ودعا بكتابٍ فقرأه على الناس باستخلاف يزيد إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهده، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر هم: الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله ابن الزبير، وعبدالله بن عباس، فكلمهم معاوية جميعاً فكل يقول له: إن اجتمعت الأمة على أحد بعدك بايعت إن لم يبق غيري.

وفي عام ٦٠ هـ وفد عبيدالله بن زياد من البصرة إلى الشام ومعه وفد فأخذ معاوية البيعة ليزيد منهم، ولما مرض معاوية دعا ابنه يزيد فقال له: يا بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي أستتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

ولما حضرت معاوية الوفاة في منتصف رجب من سنة ستين ـ وكان يزيد غائباً، دعا بالضحاك بن قيس الفهري ـ وكان صاحب شرطته ـ ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيداً وصيتي، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير.

وتوفي معاوية، وصلى عليه الضحاك بن قيس، وكان يزيد بحوارين، فأقبل وقد دفن أبوه، فأتى قبره فصلى عليه، ودعا له، وقد دفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير.

توفي معاوية رضي الله عنه وكان صحابياً جليلا يكفي ما ذكرناه من أحاديث في فضله وإن كنا نرى أنه قد أخطأ في اجتهاده في خروجه على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي بيعته لابنه يزيد، ومع ذلك

يؤجر على اجتهاديه هذين.

ومعاوية أول من خطب الناس قاعداً، وأول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد، وأول من أحدث الأذان في العيد، وأول من نقص التكبير، وأول من قيل له السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله، وأول من وضع البريد في الاسلام، وأول من اتخذ ديوان الخاتم، وأول من اتخذ المقصورة بالجامع، واول من أذن في تجريد الكعبة، وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء، وأول من استخلف في البيعة.

ولما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه تلوح، فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان عود العرب، وحد العرب، قطع الله عز وجل به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد، إلا أنه قد مات، فهذه أكفانه، فنحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلوه بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى.

- ٢ -

يزيد بن معاوية

٦٠ - ٦٤ هـ.

حَيَاتُه

ولد يزيد سنة ست وعشرين للهجرة في خلافة سيدنا عثمان بن عفان ، وكان أبوه أميراً على الشام فنشأ في بيت الإمارة على شيء من الدلال وخاصة أنه كان - كما ذكرنا - الوحيد بين إخوانه إذ توفي أخوه عبد الرحمن صغيراً ، أما أخوه الثاني وهو عبدالله فكان على شيء من الحمق. وعندما شب يزيد انصرف إلى اللهو والصيد ، واستمر على ذلك ، أما ما ينعت به من غير ذلك فهو بعيد الوقوع . ولم يكن على صلة بالحياة الاجتماعية التي تجعله بين القادة والأمراء ورجال الحكم وانما كان منصرفاً إلى ما هو عليه ، ولما صار له من العمر أربع وعشرون سنة أحب أبوه أن يثنيه عما هو عليه فاختاره أميراً للجيش الذي يتجه إلى غزو القسطنطينية فسار مكرها ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى سيرته الأولى حتى كان عام ثلاث وخمسين إذ أراد معاوية أن يبايع له فكتب إلى زياد بن أبيه يستشيره في ذلك ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النمري يأخذ رأيه في الموضوع ، وقال له : إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، وهو يتخوف نفرة الناس ، ويرجو مطابقتهم ، ويستشيرني ، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ، ويزيد صاحب رَسْلَة وتهاون ، مع ما قد أولع به من الصيد ،

فالق أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فعلات يزيد، فقال له: رويدك بالأمر، فأقمن لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت. وقال عبيد له: أفلا غير هذا! قال: ما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيداً سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في بيعته، وانك تخوّف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وأنك ترى له ما تريد، فتكون نصحت يزيداً، وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش وأبعد بك إن شاء الله من الخطأ، قال: تقول بما ترى، ويقضي الله بغيب ما يعلم. فقدم على يزيد فذاكره ذلك، وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وألا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وكفّ يزيد عن كثير مما كان يصنع[1].

وكان مكانه المفضل بلدة حوارين من قرى حمص، إلى الشمال الشرقي من دمشق، وهي موقع بلدة القريتين اليوم.

---

(١) الطبري الجزء الخامس.

أسرته

تزوج يزيد أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأنجبت له:

١ ـ معاوية بن يزيد: ويكنى أبا عبد الرحمن كما يعرف باسم أبي ليلى، وقد بويع بعد أبيه.

٢ ـ خالد بن يزيد: ويكنى أبا هاشم وقد انصرف إلى عمل الكيمياء.

٣ ـ أبو سفيان بن يزيد:

وبعد وفاة يزيد تزوج أم هاشم مروان بن الحكم.

وتزوج أيضاً يزيد أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فأنجبت له عبد الله بن يزيد ويعرف بلقب «الأسوار».

وكان له عدد من الأولاد من أمهات أولاد كثيرة ومن ابنائه هؤلاء: عبد الله الأصغر، وابو بكر، وعمر، وعتبة، وعبد الرحمن، وحرب، والربيع، ومحمد، ويبدو أن لمحمد هذا الأخير عقب لا يزال موجوداً حتى الآن في شبه جزيرة العرب في المنطقة المعروفة باسم عسير، إذ فرّ أحد أحفاده إلى هذه البقعة عند قيام الدولة العباسية وملاحقة الأمويين، واستطاع بعد مدة تأسيس إمارة بسطت نفوذها على المنطقة، واستمرت في أمرها حتى العصر الحديث، وكان منها آل عائض بن مرعي الذي كان لهم حكم المنطقة قبل سيطرة عبد العزيز آل سعود على أكثر الجزيرة.

خلافتُه

رشح سيدنا معاوية ابنه يزيد للخلافة ، وعهد إليه ، وأخذ موافقة الأمصار على ذلك عدا رجالات بالمدينة ، ينظر إليهم لذاك المنصب ، ويحسب لهم حساباً كبيراً في الدولة الاسلامية كلها ، فقد رفضوا هذا الترشيح ، وأظهروا أن هذا لم يكن من الاسلام . وولاية العهد هي ترشيح لمنصب ، ولا يمكن أن تكون بيعة لاثنين في وقت واحد الخليفة وولي عهده ، فإذا مات الخليفة أخذت البيعة من جديد لمن رشحه الخليفة السابق أو رفضت تلك البيعة ورفض الترشيح معها ، وعهد لآخر ، وأخذت له البيعة ، فلا بدّ إذن من بيعة جديدة لأنه الترشيح الأول يكون قد حصل عليه بالاكراه والضغط بصفة المنصب الذي يحتله من أعطى الترشيح وجعله ولياً للعهد ، وهذا تقريباً ما تمّ أيام سيدنا معاوية . فلما مات الخليفة بايعت الأمصار من جديد يزيداً ، عدا النفر الأربعة الذين ذكرنا من أبناء الصحابة رضوان الله عنهم وهم : الحسين بن علي ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن عمر ، وتعدّ البيعة ليزيد قد انعقدت ما دامت الأمصار قد وافقت على ذلك وولاتها ، وان بقي عدد من الرجال لم يبايع ، فبيعة علي بن أبي طالب صحيحة على الرغم من عدم مبايعته من قبل سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وأسامة بن زيد وعدد آخر . وعلى هذا فقد أصبح يزيد بن معاوية خليفة للمسلمين .

وكان همّ يزيد ، وشغله الشاغل الحصول على البيعة من المدينة وخاصة من هؤلاء لما لهم من مكانة بين المسلمين ، ولو تركهم لكان خيراً ، فالبيعة صحيحة ، وتسير الأمور بشكل طبيعي ، ولكن سوّلت له نفسه متابعتهم وأخذها منهم بأية صورة من الصور ، ولربما كان ذلك ليقوّي مركزه بين

المسلمين، كما يتصور ذلك، أو خوفاً من منازعة أحدهم له، فكتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بعد موت معاوية وقبل وصول الخبر:

بسم الله الرحمن الرحيم. من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات براً تقياً والسلام.

وكتب إليه في صحيفة صغيرة ثانية:

اما بعد، فخذ حسيناً، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام.

دعا الوليد الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، فحضر الحسين وعندما جلس أقرأه الوليد كتاب يزيد، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين! إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله معاوية، وعظّم لك الأجر! أما ما سألتني عن البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزىء بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

أما عبدالله بن الزبير فقال: آتيكم ثم تأخر فكثرت عليه الرسل، فغادر المدينة إلى مكة، وبعد يوم تبعه الحسين، ولم ينصرم شهر رجب بعد، وكان خروج الحسين مع أكثر أهل بيته :بنيه، وإخوته، عدا محمد بن الحنفية فقد بقي ونصح أخاه. وأبناء إخوانه،

وبايع عبدالله بن عمر، وعبد الله بن عباس بعد ان بايعت الأمصار.

ثم عزل يزيد أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وجعل مكانه

والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، الأشدق فأرسل جيشاً بإمرة عمرو بن الزبير إلى مكة لقتال أخيه عبدالله بن الزبير ، ولكن الجيش هزم ، وقتل منه أنيس بن عمرو الأسلمي ، وأخذ عمرو بن الزبير أسيراً فسجن في سجن أخيه وهكذا فقد تمت خلافة يزيد ولم يخرج عنها سوى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، وكانت إقامتهما في مكة بصفتها حرماً آمناً .

الولايات

كانت ولايات الحجاز والعراق مسرح الأحداث التي وقعت في أيام يزيد ابن معاوية ، أما باقي الولايات فكانت عادية لم يحدث فيها ما يعكر الصفو ، وحدثت فتوحات في افريقية فقط . أما باقي الجبهات فقد هدأت حركة الجهاد فيها بسبب الأحداث الداخلية التي تمت .

المدينة: كان أهل المدينة غير راضين على بني أمية عامةً وعلى بيعة يزيد خاصة ، وما أعطوها إلا كرهاً وتجنباً للفتن ، وينتظرون الساعة التي ينقضّون فيها على الأمويين وقد تولى أمرها منذ أيام معاوية الأخيرة ابن اخيه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولما لم يستطع أخذ البيعة ليزيد من الحسين وابن الزبير فقد عُزل ، وأعطيت لوالي مكة عمرو بن سعيد بن العاص الذي جمع المنطقتين إليه . ثم عاد الوليد بن عتبة عام ٦١ هـ فتولى أمر مكة والمدينة ، ثم أخذت منه المدينة ، وأعطيت لابن عمه عثمان بن محمد ابن أبي سفيان عام ٦٢ هـ ، وهو الذي ثار عليه أهل المدينة ، وولّوا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل حتى جاء مسلم بن عقبة المري ، وعندما خرج إلى مكة ولّى عليها روح بن زنباع ، وتوفي يزيد وجيش الشام في مكة .

مكة: كان أهل مكة مثل أهل المدينة لا يرغبون في يزيد ، وينظرون إلى أحد ابناء الصحابة ليكون على أمر المسلمين ، وخاصة الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عباس ، ولكنهم قد سكتوا بعد بيعة ابن عمر ، وابن عباس ، ولكون مدينتهم بلداً حرماً آمناً لا يريدون أن يحدثوا فيه فتنة ، ولأنه لم يدعهم إلى البيعة أحد هؤلاء الأقطاب الذين لهم مكانتهم في أمصار الدولة كافة ، وكان على مكة عمرو ابن سعيد بن العاص ، ثم أعقبه الوليد بن عتبة مدة عهد يزيد بن معاوية . ولما رفض ابن الزبير البيعة ليزيد جاء جند من المدينة بإمرة أخيه عمرو بن

الزبير إلا أنهم هزموا ، وسجن عمرو بن الزبير في سجن أخيه . ثم جاء جيش الشام بإمرة الحصين بن نمير بعد موت مسلم بن عقبة المري ، وحاصر مكة إلا أن وفاة يزيد جعلته يفك الحصار عنها ، ويعود إلى الشام.

الكوفة : وكان أهل الكوفة غير راضين أيضاً على بني أمية ، وهواهم مع أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولكنهم يخضعون بالشدة ويخنعون ، ويحبون الفتنة ويسعون لها فإذا جاءتهم تفرقوا ، وخذلوا من كانوا يدعون له ويدعونه ، وبذا تختلف عن المدينتين السابقتين ، كما تختلف عنهما في أنها تضم أشتاتاً من البشر ، ومعظمهم من الجند الذين انطلقوا إليها للفتوحات ثم استقروا ، وبذا فهي تضم معظم القبائل العربية وخاصة اليمنية والطائية والتميمية وعبد قيس وغيرها .

وكان عليها النعمان بن بشير رضي الله عنهما عندما توفي معاوية ، واستمر فيها أيام يزيد ، فلما نزلها مسلم بن عقيل من قبل الحسين بن علي ، وبدأ الناس يبايعونه ، ووصل الخبر إلى يزيد عزل النعمان بن بشير عن الكوفة لسكوته عن ذلك ، وأسند أمرها إلى عبيدالله بن زياد لقسوته وبطشه ، وقد احتاج إليه ، وقبل ذلك كان يزيد أن يعزله عن البصرة ، أما وقد احتاج إلى شدته فقد أضاف إليه الكوفة مع البصرة . وبقي عليهما حتى وفاة يزيد .

البصرة : وتشبه الكوفة إلى حدٍ ما ، وإن كانت أقل رغبة في الفتنة ، وفي مناطقها للخوارج دور ، أما خراسان التي كانت تتبعها في الجهاد فقد كان عليها مسلم بن زياد . وتولى أمر البصرة عبيدالله بن زياد منذ عام ٥٥ هـ أيام معاوية بن أبي سفيان وحتى وفاة يزيد بن معاوية .

مصر : وهي هادئة تخضع لكل أمير ، وكان عليها منذ عام ٥٥ هـ مسلمة

بن مخلد، وقد أعطى أمر افريقية إلى أبي المهاجر، وعزل عقبة بن نافع[1]، واستمر ذلك حتى توفي مسلمة بن مخلد عام ٦٢ هـ، فقدم عقبة بن نافع بعشرة آلاف جندي من الشام والياً على افريقية. أما مصر فقط أعطى أمرها إلى سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي.

إفريقية: سار عقبة بن نافع نحو الغرب ففتح بلاد المغرب كلها، ووصل إلى ساحل المحيط الأطلسي، ففتح بلاد السوس الأدنى والمعروفة اليوم باسم سهول نهر سبو، ثم انطلق على سواحل المحيط الأطلسي جنوباً حتى وصل إلى بلاد السوس الأقصى، وقرر العودة عن طريق الأطلس الصحراوي إلى القيروان حيث الطريق أقصر وقد أمن العدو بعد انتصاراته الواسعة، وأثناء عودته وجد كميناً عند (تهوده) كان البربر قد نصبوا له كميناً هناك فاستشهد ومن معه، وقد أراد أن يبني هناك قاعدة تكون مثل القيروان، ويعرف اليوم ذلك المكان باسم سيدي عقبة بالقرب من بسكرة جنوب مدينة قسطنطينية.

---

(١) عقبة بن نافع بن عبد القيس: الفهري القرشي: ولد في العام الأول للهجرة، شهد فتح مصر مع ابن خالته عمرو بن العاص، وقد أرسله عمرو إلى برقة قائداً مستقلاً، فغزا غزوتين في البحر، وفتح مدينة زويلة من أعمال فزان، وكذلك عمل في بلاد النوبة. ثم أصبح والياً على إفريقية عام ٤٩ هـ، واستشهد عام ٦٤ هـ.

الاحداث

بدأت الأحداث مع بدء خلافة يزيد الذي حرص على أخذ بيعة الحسين وابن الزبير، ولم يمهلهما، فاضطر ابن الزبير إلى السير إلى مكة ثم تبعه الحسين، وبدأت كتب أهل الكوفة تصل إلى الحسين، ورسلهم تتابع، وكلها تقول: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا، وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة. فبعث الحسين مسلم ابن عقيل بن أبي طالب، ابن عمه، إلى الكوفة وقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم، فخرج مسلم ماراً على المدينة وقد اصطحب معه دليلين، فمرّا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة. فقدمها ونزل على أحد أهلها، وبايعه أكثر من اثني عشر ألفاً، وشاع الخبر، وعُزل النعمان بن بشير عن الكوفة، وأسند أمرها إلى والي البصرة عبيدالله بن زياد، وتحول مسلم من مكانه إلى دار هانيء بن عروة المرادي، وكتب إلى الحسين يدعوه إلى السير إلى الكوفة.

علم عبيدالله بن زياد بمكان مسلم فأرسل إلى هانيء بن عروة يستقدمه فجاء، فسأله عن مسلم فأنكر، ثم اعترف بعد أن حضر من رآهما معاً في منزله، وقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء وطرح نفسه عليّ، قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه، فضربه عبيدالله وشجه، وسجنه في جانب القصر، وظنت مذحج أنه قتل هانيء فجاءت، فأخبروا أنه سجين فعادت. ووصل الخبر إلى مسلم فخرج، ونادى بشعاره، فتجمع عليه أربعة آلاف من أهل الكوفة فسار بهم وقصد عبيدالله، وجمع عبيدالله إليه وجوه أهل الكوفة فكلموا عشائرهم المجتمعة حول مسلم، والمحيطة بالقصر، فبدأ أصحاب مسلم يتفرقون عنه

حتى بقي في خمسمائة فلما أرخى الليل سدله ذهب الباقون وبقي وحده، فبدأ يتردد في الطرق حتى دخل منزلاً، ولكن لم يلبث أن اكتشف أمره، فأرسل إليه عبيدالله صاحب شرطته مع سبعين رجلاً، ولما رأى مسلم انه قد أحيط به خرج إلى طلبه، وقاتلهم بسيفه فأعطي الأمان، وساروا به إلى القصر، فأمر به فأصعد إلى القصر، فضربت عنقه، وألقيت جثته إلى الناس، كما قتل هانيء بن عروة المرادي، وأرسل رأساهما إلى يزيد.

وكان خروج مسلم في الكوفة يوم ٦ ذي الحجة سنة ستين للهجرة، بعد أن خرج الحسين من مكة إلى الكوفة بيوم واحد.

خرج الحسين من مكة باتجاه الكوفة، وقد نصحه كثير ممن يحبه في عدم الخروج مما يدل على أن ذاك الخروج كان فيه سرعة، ولكن الحسين مجتهد، وأمر الله لا بدّ آت. وهذه السرعة تبدو من عدة جوانب سواء من حيث أصل الخروج أم من ناحية أخذ الاستعداد اللازم، ثم من ناحية الاطمئنان إلى أهل الكوفة وقد عرفهم مع أخيه ومع ابيه من قبل، ثم من ناحية الخروج على الحاكم، وكل هذا يبدو في كلام الناصحين له، ولنستمع إلى بعض هذه النصائح وقد كانت كثيرة فقد قال له أخوه محمد بن الحنفية يوم خرج من المدينة إلى مكة: «يا أخي أنت أحب الناس إليّ، وأعزهم عليّ، ولست أدخر النصحية لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإن خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها

أهلاً ، فقال له الحسين : فإني ذاهب يا أخي ، قال ، فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن نبت بك لحقت بالرمال ، وشعف الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأي ، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ، ولا تكون عليك الأمور أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً ، قال : يا أخي ، قد نصحت فأشفقت ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً[1].

وعندما همّ الحسين رضي الله عنه بالرحيل إلى العراق جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له بعد أن حمدالله وأثنى عليه : «أما بعد ، فإني أتيتك يا ابن عم لحاجة ذكرها لك نصيحة ، فإن كنت ترى أنك تستنصحني وإلا كففت عما أريد أن أقول ، فقال : قل ، فوالله ما أظنك بسيء الرأي ، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل ، قال : قلت له : إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق ، وإني مشفق عليك من مسيرك ، إنك تأتي بلداً فيه عماله وامراؤه ، ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد علمت والله أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يقض من أمر يكن ، أخذت برأيك او تركته ، فأنت عندي أحمد مشير ، وأنصح ناصح »[2].

وجاءه عبدالله بن عباس فقال له : « يا ابن عم ، إنك قد أرجف الناس

---

(١) تاريخ الطبري.
(٢) المصدر نفسه.

أنك سائر إلى العراق فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله! أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك للحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك، ويخالفوك، ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك؛ فقال له الحسين: وإني أستخير الله وانظر ما يكون»[1].

فلما كان من العشي أو من الغد، أتى الحسين عبدالله بن العباس فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال؛ إن أهل العراق قوم غُدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز؛ فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة وطويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية؛ فقال له الحسين: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير؛ فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه[2].

وهؤلاء الناصحون هم من أصحاب الرأي والمعرفة، وقد كانوا صادقين

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر السابق.

في نصحهم وعلى صواب في رأيهم ، قد أجتهد الحسين واجتهدوا ، ويبدو لنا بعد أن اجتهادهم قد أصابوا فيه ، وقد أخطأ رضي الله عنه في اجتهاده.

وأثناء خروجه من مكة لقي رجلاً من العراق ، فقال له : أخبرني عن الناس خلفك؟ قال : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية ، والقضاء بيد الله .

وكتب عبدالله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين مع ابنيه عون ومحمد (ابني عبدالله) أما بعد : فإني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي ، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طفىء نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب والسلام .

وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه . وقال : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنيه فيه البر والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع ، . فقال عمرو بن سعيد : اكتب ما شئت وائتني به حتى أختمه ، فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب ، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له : اختمه : وابعث به مع أخيك يحي بن سعيد ، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ، ويعلم أنه الجد منك ، ففعل ؛ وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة ؛ قال : فلحقه يحي وعبدالله بن جعفر ، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب ، فقالا : اقرأناه الكتاب ، وجهدنا به ، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال : رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ ، وأمرت فيها بأمر أنا ماض له ، عليّ كان أولي ؛ فقالا له : فما تلك الرؤيا؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي .

قال : وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي : بسم الله الرحمن

الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك، الله بذلك عليّ شهيد وكفيل، ومراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد: فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمّن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام.

أما عبدالله بن الزبير فقد أتاه، وتحدث معه ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، وقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، واستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله»[1].

هذه أقوال رجال زمانه، ومن يُنظر إليهم، ومن هم ثقة عند الأمة جميعها قد نصحوا له، وبينوا مغبة مسيره إلى العراق، ولكنه كان سائراً إلى

---

(١) المصدر نفسه.

أمر الله الذي لا بدّ له ، فذهابه غلط ، لما كان عليه العراق ، ولما يحدث من فتنة ولم يتضح الأمر بعد ، ولخروجه مع نسائه وأهل بيته وهو يعلم أنه قادم على قتال ، ولخروجه على الحاكم . إلا أن حبنا له حيث كان آنذاك أفضل من على الأرض وحبنا لآل البيت جميعاً ، ولبشاعة النكبة التي حلّت به وبمن معه جعلنا كل ذلك ننظر إلى النتائج دون النظر إلى الأسباب ، هذا بالإضافة إلى ما كتبه قتلته الذين يدعون أنهم شيعة له ، وصوروا المأساة وغالوا ، فأدموا القلوب ، ولم يبق من كتاباتٍ وصورٍ غيرها ، وشاعت بين الناس ، وأكثر الكتاب من ذكرها ، مع أنه قد قتل أبوه وهو مبشر بالجنة وأفضل منه ، ولم يذكر عن مقتله مثل هذا ، ومن قبل قتل عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

سار الحسين رضي الله عنه نحو الكوفة حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي ، فقال له : أين تريد؟ قال : أريد هذا المصر ، قال له : ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ أن يرجع ، كما نصحه عبدالله بن مطيع عندما التقى به في الطريق على ماء من مياه العرب ، فلما رأى عبدالله الحسين قام إليه ، فقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! ما أقدمك! واحتمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك ، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم ، فقال له عبدالله بن مطيع : اذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ! انشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً . والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرّض لبني أمية ، قال : فأبى إلا أن يمضي ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب

بأثرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيدالله بن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، وكان على رأس جند عبيدالله بن زياد عمر ابن سعد بن أبي وقاص، ولم يكن التفاهم بين الطرفين إذ أن أصحاب المصالح في جيش ابن زياد والغوغائيين قد نشبوا القتال فقاتل الحسين ومن معه قتالاً مستميتاً وقتال الأبطال الذين يندر أن يكونوا مثله، ولكن الكثرة غلبت الشجاعة، فقتل الحسين وأصحابه كلهم، وفيهم بضعة عشر رجلاً من أهل بيته، وكان الذي تولى قتل الحسين رضي الله عنه شمر بن ذي الجوشن، وحُمل رأس الحسين إلى ابن زياد، وكذلك حرمه ونساؤه. فلما وضع الرأس بين يدي ابن زياد، جعل ينكت بقضيبه، ويقول: إن أبا عبدالله قد كان شمط، وأمر لنساء الحسين بمنزل في مكان منعزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبدالله ابن جعفر - أو ابن ابن جعفر - فأتيا رجلاً من طيء، فلجأ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهمّ بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت[1]. وكان مقتل الحسين رضي الله عنه في عاشوراء (العاشر من محرم) سنة ٦١ هـ. وحمل رأس الحسين، وسرحت نساؤه إلى يزيد بالشام، فلما وضع بين يديه بكى، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا[2]. وقد أكرم أهل الحسين ثم سرحهم إلى المدينة مع رفقة لهم حتى بلغوها.

ولما وصل خبر مقتل الحسين بن علي إلى الحجاز أعلن عبدالله بن الزبير

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٩٣.
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٩٣.

خلع يزيد ، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس ، وكان ذلك سبباً في عزل عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز ، وتولية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مكانه ، ثم لم يلبث أن عزله ، وأمّر عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وكثر الحديث في المدينة عن يزيد ، فأرسل إليهم النعمان بن بشير يحذرهم الفتنة ويذكرهم الطاعة ، فأبوا عليه ، ثم أعلنوا خلع يزيد ، وبايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل ، ووثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، والي يزيد ، ثم حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم ، وكان عددهم حوالي الألف شخص .

أخبر يزيد بالخبر فأرسل إليهم جيشاً عليه مسلم بن عقبة المري ، وإن حدث عليه حدث فالأمير حصين بن نمير السكوني ، وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش ، والتقى ببني أمية بوادي القرى وقد أخرجهم أهل المدينة .

وصل مسلم بن عقبة المري إلى المدينة فأمهل أهلها ثلاثة أيام فأبوا إلا القتال ، وكان عليهم : عبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبدالله بن مطيع ، ومعقل بن سنان ، وعبد الرحمن بن زهير بن عوف الزهري ابن أخ عبد الرحمن بن عوف . وكان مجيء مسلم عن طريق الحرة الشرقية ، ووقعت الوقعة وكانت في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وستين للهجرة ، وقتل اكثر سادة أهل المدينة في هذه الوقعة .

ولما انتهى مسلم بن عقبة المري من المدينة اتجه بجنده نحو مكة يريد عبدالله بن الزبير ، وخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي ، ولم يقطع مسلم مسافة حتى نزل به الموت ، فتولى أمر الجند بعده الحصين بن نمير السكوني حسب وصية يزيد بن معاوية فسار إلى مكة وقد بايع أهلها والحجاز كله عبدالله بن الزبير ، فقاومه ابن الزبير وقُتل من أصحابه المسور ابن مخرمة ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وأخوه المنذر بن الزبير ،

واستمر القتال بقية المحرم وصفر من سنة أربع وستين، وفي أوائل ربيع الأول قُذف البيت بالمنجنيق، وأحرق بالنار. ثم جاءهم نعي يزيد في مطلع ربيع الآخر، وقد توفي في ١٤ ربيع الأول.

توفي يزيد وأهل الشام يحاصرون أهل مكة وابن الزبير، ووصل الخبر إلى ابن الزبير قبل ان يصل إلى أهل الشام، فناداهم أهل مكة لماذا تقاتلون؟ لقد هلك يزيد، فلم يصدقوا منهم، واستمروا في قتالهم، فلما تأكدوا من النبأ توقفوا عن القتال.

بعث الحصين بن نمير إلى عبدالله بن الزبير، والتقى معه، وقال له: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. ولكن ابن الزبير خشي من الذهاب إلى الشام، ولم يرغب في مغادرة مكة التي احتمى بها، وكان رأي الحصين أن هناك بالشام من يطالب بالخلافة فماذا يكون موقفه؟ أما إذا ذهب عبدالله بن الزبير فإنه لن يطالب فيها أحد لمكانة ابن الزبير أولاً ولعدم وجود أبناء كبار ليزيد أو أحد من أسرته يفكر في هذا الأمر.

ولما لم يتفق ابن الزبير والحصين بن نمير سار جيش الشام إلى بلدهم تاركين الحجاز مبايعاً لابن الزبير.

الخوارج

بعد أن هزم الخوارج جيش عبيدالله بن زياد بآسك أرسل لهم عباد بن الأخضر التميمي على رأس ثلاثة آلاف مقاتل فاستطاع أن يبيد الخوارج الذين كانوا بإمرة أبي بلال مرداس بن أدية، وذلك عام ٦١ هـ.

وبعد مقتل الحسين ثار أبو طالوت نجدة بن عامر الحنفي، وكان قد سار إلى البصرة مع نافع بن الأزرق، ثم خالفه، ورجع إلى نجد فاستولى عليها، واستقل بها. وأصبح وسط جزيرة العرب وشرقيها مسرح نشاط الخوارج.

عبد الله بن الزبير

رضي الله عنهما

٦٤ - ٧٣ هـ

حَيَاتُه

هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . كان أبوه الزبير أحد السابقين في الاسلام ، أسلم ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ ، صفية بنت عبد المطلب ، هاجر الهجرتين إلى الحبشة ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، ثبت يوم أحد ، وبايعه على الموت ، وكانت مع الزبير إحدى رايات المهاجرين الثلاث في غزوة الفتح ، واشترك في الفتوحات ، واخترق جيوش الروم يوم اليرموك ثلاث مرات ، وذهب على رأس مدد لعمرو بن العاص اثناء فتح مصر ، وخرج يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، ولحق به ابن جرموز إثر المعركة ، وقتله غدراً بوادي السباع .

أما أمه فهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أسلمت قديماً بمكة وبايعت رسول الله ﷺ ، وهي ذات النطاقين ، أخذت نطاقها فشقته اثنين فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقربته ليلة خرج رسول الله وأبو بكر إلى الغار ، فسميت ذات النطاقين ، وماتت عام ثلاثة وسبعين بعد مقتل ابنها عبدالله بمدة وجيزة ، وهي آخر من مات من المهاجرات .

ولد عبدالله بن الزبير في قباء أول مقدمهم المدينة مهاجرين، وقد هاجرت أمه أسماء وهي حامل به فنزلت بقباء فولدته، ثم أتت به إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنّكه ودعا له وتبرك عليه، وسماه عبدالله، وكناه بأبي بكر، فكان أول مولود ولد في الاسلام. وفرح المسلمون بولادته لأن يهود زعمت أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة، فلما ولد ابن الزبير كبّر المسلمون، وأذّن الصديق في أذنه حين ولد رضي الله عنهما، وطاف به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت يهود. وعندما ترعرع كلم رسول الله ﷺ في غلمة منهم عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير، وعمر بن أبي سلمة، فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك، ويكون لهم ذكر، فأتي بهم إليه فكأنهم تكعكعوا واقتحم عبدالله بن الزبير فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إنه ابن أبيه» وبايعه. وهو صحابي جليل، روى عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثين حديثاً، وروى عن أبيه وعمر وعثمان.

شهد اليرموك مع أبيه وهو صغير، وحضر خطبة عمر بالجابية. دافع عن سيدنا عثمان يوم الدار، وجرح يومئذٍ بضع عشرة جراحة، وكان على الراجلة يوم الجمل، ومشى إلى الأشتر النخعي يومئذٍ فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبدالله الأشتر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وخرّا إلى الأرض يعتركان، فقال: اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي، وجرح يومذاك تسع عشرة جراحة، ووجد بين القتلى وبه رمق، وقد أعطت عائشة رضي الله عنها لمن بشّرها بأنه لم يقتل عشرة آلاف درهم، وسجدت لله شكراً، فكانت تحبه حباً شديداً فهو ابن أختها، وكان عزيزاً عليها.

وقاتل الزبير مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقتل القائد البيزنطي (جرجير) في موقعة (سبيطلة) عام ٢٧ هـ. وقدم إلى دمشق لغزو القسطنطينية أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

كان عارضا عبدالله بن الزبير خفيفين، وما اكتملت لحيته حتى بلغ الستين، وكان نحيفاً ذا أنفة. كثير السجود ولا ينازع في ثلاث: في العبادة والشجاعة والفصاحة. قال حماد بن زيد عن ثابت البناني قال: كنت أمر بعبدالله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك. وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب: كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذم حائط. وقال غيره: كان ابن الزبير يقوم ليلة حتى يصبح، ويركع ليلة حتى يصبح، ويسجد ليلة حتى يصبح. وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال: كان قارئاً لكتاب الله، متبعاً لسنة رسول الله، قانتاً لله، صائماً في الهواجر من مخافة الله، ابن حواري رسول الله، وأمه بنت الصديق، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله، زوجة رسول الله فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله(١). وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قبيس وزرورا، وكان آدم نحيفاً ليس بالطويل، وكان بين عينيه أثر السجود، كثير العبادة، مجتهداً، شهماً، فصيحاً، صوّاماً، قوّاماً، شديد البأس ذا أنفة، له نفس شريفة وهمة عالية، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً.

بعث عبدالله بن سعد بن أبي سرح بالبشارة بانتصار المسلمين على البربر وقتل ملكهم وأخذ غنائم كثيرة مع ابن الزبير إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقص على عثمان الخبر وكيف جرى، فقال له عثمان: إن

---

(١) البداية والنهاية - الجزء الثامن.

استطعت أن تؤدي هذا للناس فوق المنبر، قال: نعم! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى، قال عبدالله: فالتفت فاذا أبي الزبير في جملة من حضر، فلما تبيّنت وجهه كاد أن يرتج عليّ في الكلام من هيبته في قلبي، فرمزني بعينه وأشار إليّ ليحضني، فمضيت في الخطبة كما كنت فلما نزلت قال: والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني.

وكان رضي الله عنه فارس الخلفاء لا يوازيه أحد، وقد روى الطبراني عن اسحاق بن أبي اسحاق قال: أنا حاضر مقتل عبدالله بن الزبير في المسجد الحرام، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد، وكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد، فوقعت على رأسه فصرعته، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

أسماء أسماء لا تبكيني لم يبق إلا حسبي وديني
وصارم لانت به يميني

وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يميناً وشمالاً، ولا يثبت له أحد.

وكانت أبواب الحرم قد قلّ من يحرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الاردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد، وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرّقهم وبدّد شملهم..

وبويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، وبقي حتى قتل سنة ثلاث وسبعين، وحج بالناس كل هذه المدة، وبنى الكعبة أيام خلافته، وكساها الحرير، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح.

واتهم بالبخل وعدم معرفته بتدبير الأمور والنظر بعيداً، فرغم ان معظم الأمصار الاسلامية قد بايعته بالخلافة، ولم يبق مع مروان بن الحكم سوى جزء صغير من بلاد الشام، ومع هذا فقد بدأ بتوسيع ملك مروان وتنكمش خلافة ابن الزبير حتى قضي عليه لأنه لم يدر كيف يسوس الأمور.

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الرابعة، ص ١٢٢.

أولاده

كان لعبدالله بن الزبير ثلاثة عشر ولداً ، بعضهم كان له عقب ، وبعضهم لم يعقب ، وله ابنة واحدة معروفة هي : أم الحسن ، وأمها نفيسة بنت الحسن بن علي امير المؤمنين رضي الله عنهما ، أما الأولاد فهم :

١ ـ خبيب : وبه يكنى ، وهو أسن من عمه عروة ، وليس له عقب .

٢ ـ حمزة : وله عقب .

٣ ـ عبّاد : وله عقب .

٤ ـ ثابت : وله عقب .

٥ ـ عامر : وله عقب

٦ ـ موسى : وله عقب .

٧ ـ بكر : وأمه عائشة بنت امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وليس له عقب . ويكنى به أيضاً ، وبهذه الكنية كناه رسول الله ﷺ .

٨ ـ هاشم : ولا عقب له .

٩ ـ قيس : ولا عقب له .

١٠ ـ عروة : ولا عقب له .

١١ ـ الزبير : ولا عقب له .

١٢ ـ أبو بكر : ولا عقب له .

١٣ ـ عبيدالله : ولا عقب له .

إخوته

يقول الزبير رضي الله عنه: «بلغني أن طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبي بعد محمد، وإني أسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا».

تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فولدت له:

١ ـ عبدالله: وقد سماه باسم ابن خالته عبدالله بن جحش الذي استشهد يوم أحد، وإن كانت ولادته قبل استشهاد ابن جحش بثلاثة أعوام، وأن رسول الله ﷺ هو الذي سماه عبدالله، ويكون الزبير قد عدّ هذا بعد استشهاد ابن جحش.

٢ ـ عروة: وقد سماه باسم عروة بن مسعود، الذي استشهد بالطائف، وكان يدعو قومه فقتلوه.

٣ ـ المنذر: وقد سماه باسم المنذر بن عمرو، الذي استشهد يوم بئر معونة، ويكنى المنذر أبا عثمان، وقد استشهد مع أخيه عبدالله.

٤ ـ عاصم: وقد سماه باسم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، الذي استشهد يوم الرجيع.

٥ ـ المهاجر: وقد سماه باسم المهاجر بن زياد، الذي استشهد يوم تستر. كما أنجبت أسماء رضي الله عنها من البنات.

١ ـ خديجة الكبرى.
٢ ـ أم الحسن.

٣ ـ عائشة.

وتزوج الزبير بن العوام رضي الله عنه أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، فأنجبت له:

١ ـ خالد: وقد سماه باسم خالد بن سعيد، الذي استشهد يوم مرج الصُّفَّر، وقد تولى خالد اليمن لأخيه عبدالله.

٢ ـ عمرو: وقد سماه باسم عمرو بن سعيد بن العاص الذي استشهد يوم أجنادين، وقتله أخوه عبدالله قوداً حيث كان مع بني أمية ضد أخيه كما أنجبت أمه من الاناث:

١ ـ حبيبة.

٢ ـ سودة.

٣ ـ هند.

وتزوج الزبير رضي الله عنه الرباب بنت أنيف فأنجبت له:

١ ـ مصعب: وقد سماه باسم مصعب بن عمير الذي استشهد يوم أحد، ويكنى مصعب أبا عيسى، وتولى لأخيه العراقين.

٢ ـ حمزة: وقد سماه باسم خاله حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، الذي استشهد يوم أحد.

كما أنجبت له الرباب من البنات ابنة واحدة هي:

١ ـ رملة.

وتزوج الزبير رضي الله عنه زينب، وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمرو، وأنجبت له:

١ ـ عبيدة: وقد سماه باسم عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر.

٢ ـ جعفر: وقد سماه باسم جعفر بن أبي طالب الذي استشهد يوم مؤتة

وتولى لأخيه أمر المدينة.

وتزوج الزبير رضي الله عنه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف من قبل فولدت للزبير زينب، وتزوج الحلال بنت قيس بن نوفل فولدت له خديجة الصغرى.

وبذا يكون للزبير أحد عشر ولداً هم: عبدالله، عروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخالد، وعمرو، ومصعب، وحمزة، وعبيدة، وجعفر، وله تسع بنات هن: خديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة، وحبيبة، وسودة، وهند، ورملة، وزينب، وخديجة الصغرى.

كما تزوج الزبير رضي الله عنه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت تحت عبدالله بن أبي بكر، ثم تحت عمر بن الخطاب.

بيعته

بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما أعلن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة خلع بيعة يزيد، وبدأ بعض الناس يبايعون ابن الزبير سراً، ونحّى ابن الزبير عن الصلاة في مكة الحارث بن خالد[1] الوالي من قبل يزيد وقدّم مصعب بن عبدالرحمن[2]، وكان مصعب، والمسور بن مخرمة[3]، وجبير بن شيبة[4]، وعبدالله بن صفوان ابن أمية[5] رجال شورى عبدالله ابن الزبير. وفي المدينة ثار الناس على والي يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وطردوه، وولوا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل[6]، وحاصروا بني أمية

---

(١) الحارث بن خالد بن هشام بن المغيرة: أسلم خالد بن هشام يوم الفتح، وولي أمر مكة، وكذا كان ابنه الحارث الذي كان شاعراً.

(٢) مصعب بن عبدالرحمن بن عوف: أبو زرارة، تولى قضاء المدينة والشرطة لمروان بن الحكم عندما كان والياً على المدينة للمرة الثانية. لحق بابن الزبير بمكة، وتوجه على رأس قوة ضد عمرو بن الزبير عندما أرسله بنو أمية من المدينة ضد أخيه عبدالله، وأسره، وكان من مستشاري ابن الزبير، وتوفي أثناء حصار مكة من قبل الحصين بن نمير عام ٦٤ هـ.

(٣) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبدالرحمن: صحابي، ولد في السنة الثانية للهجرة، خاله عبدالرحمن بن عوف، شهد فتح إفريقية مع عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، وهو الذي حرّض سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين على غزوها، كان مع ابن الزبير، أصابه حجر أثناء حصار الحصين بن نمير فمات يومذاك سنة ٦٤ هـ.

(٤) جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أسلم أبوه شيبة يوم هوازن.

(٥) عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف: ولد في حياة رسول الله ﷺ، وكان من أنصار ابن الزبير، قتل معه أثناء حصار الحجاج عام ٧٣ هـ، وحمل رأسه مع رأس عبدالله بن الزبير إلى الشام إلى عبدالملك بن مروان.

(٦) عبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الراهب: ولد في السنة الرابعة للهجرة، حملت به أمه جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول يوم أحد، وقد خرج حنظلة للجهاد جنباً واستشهد فغسلته الملائكة فقال له الغسيل، وقد رأى عبدالله بن حنظلة رسول الله وأبا بكر وعمر، وروى عن عمر، وكان عابداً صادقاً، قاد الناس يوم الحرة واستشهد يومذاك عام ٦٤ هـ.

في دار مروان بن الحكم ثم طردوهم من المدينة، ولما وصل الخبر إلى يزيد أرسل إليهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري[1] فالتقى مع بني أمية بوادي القرى، ووصل الجيش إلى المدينة وحدثت وقعة الحرة - كما ذكرنا - وبعد اخضاع المدينة سار الجيش إلى مكة، وتوفي قائده مسلم بن عقبة المري في الطريق فتولى أمره بناءً على أوامر يزيد الحصين بن نمير السكوني الكندي[2]، وأثناء حصار مكة توفي يزيد، فلما علم الحصين بن نمير بالخبر، دعا ابن الزبير والتقى معه بالأبطح، ودعا الحصين ابن الزبير إلى أن يبايعه، وقال له: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة[3]. إلا أن ابن الزبير رفض ذلك لأنه لم يكن ليركن إلى الحصين أو إلى أهل الشام، ولم يكن يرغب في مغادرة مكة المكرمة. وسار الحصين بن نمير مع جيشه نحو الشام، وأجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز عليهم، فكان جند الحصين لا يسيرون إلى مجتمعين، ثم ساروا وقد أخذوا معهم بني أمية.

---

(1) مسلم بن عقبة المري، أبو عقبة: قائد من الدهاة القساة في العهد الأموي، أدرك رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة، وقلعت بها عينه، أسرف في القتل لأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة. مات في طريقه إلى مكة عام ٦٣ هـ بمكان يسمى «المشلل»، ثم نبش قبره، وصلب في مكان دفنه.

(2) الحصين بن نمير بن نائل، أبو عبدالرحمن: أقام بحمص، وحاصر مكة أيام ابن الزبير، وضربها بالمنجنيق، كان في آخر أمره على ميمنة عبيدالله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، وقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل.

(3) تاريخ الطبري.

ويبدو أن ابن الزبير ندم على ما كان منه مع الحصين فأرسل إليه: أما أن أسير الى الشام فلست فاعلاً، وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم فقال له الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانع[1].

دعا ابن الزبير بعد موت يزيد لنفسه فبايعه أهل الحجاز، فأرسل إلى المدينة أخاه عبيدالله والياً عليها من قبله، وطلب منه إجلاء بني أمية، فأجلاهم فرحلوا إلى الشام ومنهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك.

وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه، واستناب عليها عبد الرحمن بن جحدر.

وأطاعت له الجزيرة.

وأما أهل البصرة فقد بايعوا عبيدالله بن زياد، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل عبيدالله رسولاً إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة، فأبوا عليه، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم، وهو عمرو بن حريث[2] وولوا عليهم عامر بن مسعود بن خلف، فمكث ثلاثة أشهر، ثم قدم عليهم عبيدالله ابن يزيد الأنصاري، ثم الخطمي، وكان ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله على الخراج، ثم خالف أهل البصرة عبيدالله أيضاً، فهاجت بالبصرة فتنة، فرّ إثرها عبيدالله بن زياد إلى الشام. واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام،

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أبو سعيد، ولد عام الهجرة النبوية أو قبلها بعام، نزل الكوفة، وابتنى بها داراً قرب المسجد، وهي كبيرة مشهورة، وكان زياد بن أبيه إذا انتقل إلى البصرة استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، توفي عمرو عام ٨٥ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

فجعلوا عبد الملك بن عبدالله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا عبدالله بن الحارث ابن نوفل فصلى بهم شهرين ، ثم قدم عليهم عمرو بن عبيدالله بن معمر من قبل ابن الزبير ، فمكث شهراً ، ثم أرسل ابن الزبير الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة. وهكذا اجتمع أهل البصرة وأهل الكوفة على ابن الزبير.

وأرسل إلى أهل اليمن فبايعوه.

وبعث إلى خراسان فأعلنوا بيعته.

وأما الشام فقد بايعه فيها الضحاك بن قيس الفهري(١)، وهو على دمشق ، والنعمان بن بشير(٢) وهو على حمص ، وزفر بن عبدالله الكلابي(٣) وهو على قنسرين(٤) ، ودخل ناتل بن قيس(٥) فلسطين وأخرج

---

(١) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري: قبض رسول الله ﷺ ولم يبلغ الضحاك بن قيس الحلم ، ويقال أنه أدرك النبي ﷺ ، وسمع منها ، بايع ابن الزبير ، والتقى مع مروان بن الحكم بمرج راهط ، وقتل يومذاك عام ٦٤ هـ.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ، أبو عبدالله: أمير ، خطيب ، شاعر ، صحابي ، من الأنصار ، روى ١٢٤ حديثاً . ذهب بقميص عثمان إلى الشام فنزل هناك ، وشهد صفين مع معاوية ، ولي القضاء بدمشق عام ٥٣ هـ ، وتولى أمر اليمن لمعاوية ، ثم الكوفة تسعة أشهر ، ثم حمص واستمر فيها حتى مات يزيد بن معاوية فبايع ابن الزبير فتمرد أهل حمص عليه فخرج هارباً فاتبعه خالد بن خليّ الكلاعي فقتله عام ٦٤ هـ ، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة.

(٣) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي ، أبو الهذيل: أمير ، من التابعين من أهل الجزيرة ، كان كبير قيس في زمانه ، شهد صفين مع معاوية أميراً ، وشهد مرج راهط مع الضحاك فلما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسيا عند مصب نهر الخابور على الفرات ، وبقي متحصناً فيها حتى مات عام ٧٥ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان..

(٤) قنسرين: حاضرة جنوب حلب كانت مركزاً للجند.

(٥) ناتل بن قيس الجذامي: وال ، شجاع ، من التابعين ، كان سيد جذام بالشام ، شهد صفين مع معاوية ، بعد موت يزيد بن معاوية دعا لابن الزبير وطرد روح بن زنباع والي يزيد السابق ، فأمّره ابن الزبير على فلسطين ، وبقي فيها حتى خلافة عبدالملك فبعث إليه عمرو ابن سعيد فقتله.

منها عاملها روح بن زنباع الجذامي[1]، ولم يبق من الشام إلا بعض جهات الأردن وبعض رجالات الشام الذين تجمعوا في دمشق منهم الحصين بن نمير، وعبيدالله بن زياد، وبعض بني أمية ورجال من اليمن وخاصة بنو كلب أرحام يزيد بن معاوية وأخوال أولاده. كما أتاه وجوه الخوارج مثل: نافع بن الأزرق[2] وعبدالله بن اباض[3]. وهكذا انعقدت البيعة لعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ببيعة أكثر الأمصار له، وأهل الحل والعقد فيها، والصحابة وأبنائهم وكبار التابعين، وهذا الاجماع يجعل معاوية الثاني، ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان في مدته الأولى خارجين على الإمام، وليسوا خلفاء.

---

(١) روح بن زنباع الجذامي، أبو زرعة: سيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، تولى شرطة عبدالملك، وكان له فقه.

(٢) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبدالله بن عباس، ثار مع أصحابه على أمير المؤمنين عثمان، ثم والى أمير المؤمنين علي، وخرجوا عليه بعد التحكيم، واشتد عليهم الأمويون، وقتلوا منهم كثيراً، توجهوا إلى ابن الزبير عندما ثار على الأمويين، ثم اختلفوا معه على عثمان فتركوه واتجهوا إلى البصرة، وقاتلهم المهلب، وقد تخلف عبدالله بن أباض منهم، وقتل نافع قرب الأهواز عام ٦٥ هـ.

(٣) عبدالله بن أباض المري التميمي: رأس الأباضية وإليه نسبتهم، وتوفي سنة ٨٦ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

الولايات

كانت مدة خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما مدة عدم استقرار وحركات مستمرة، وإن كانت تختلف كل ولاية عن الأخرى، فأوضاع الحجاز كانت مستقرة لابن الزبير، على حين كانت الشام منطقة ساخنة حتى ثبت الأمر فيها لبني أمية. أما العراق فقد تعاقب عليها الولاة المتباينة اتجاهاتهم، وكانت مصر وافريقية مع ابن الزبير ثم انتقل فيها الأمر للأمويين بهدوء، وبقيت الحالة فيها هادئة وكذا خراسان واليمن.

١ ـ الشام: لما مات يزيداً أوصى من بعده لابنه معاوية الثاني، ولكنه لم يلبث سوى ثلاثة أشهر حتى مات، وكان بعد ولايته بمدة قد أمر فنودي بالشام الصلاة جامعة! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني نظرت في أمركم فضعفت فيه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيّب حتى مات، ولم يتجاوز العشرين سنة، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، وكان في مدة ولايته مريضاً، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس، ويسدّ الأمور. ودفن معاوية بن يزيد بمقابر باب الصغير بدمشق، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض، كثير الشعر، كبير العينين، جعد الشعر، أقنى الأنف، مدور الرأس، جميل الوجه، كثير شعر الوجه دقيقه، حسن الجسم، ويكنى أبا ليلى، وأمه أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة.

عندما عاد الحصين بن نمير من الحجاز أخذ معه بنو أمية، وقد أدركوا وفاة معاوية الثاني، واختلف الناس من بعده، فالضحاك بن قيس أمير

دمشق ، وزفر بن الحارث امير قنسرين ، والنعمان بن بشير أمير حمص ، وناتل بن قيس أمير فلسطين يريدون عبدالله بن الزبير ، أما أمير الأردن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي فكان يريد خالد بن يزيد بن معاوية حيث كان أبوه يزيد بن أخت حسان وهي ميسون ، ولم يكن هذا رأي بني أمية جميعهم حيث فكر مروان بن الحكم بعدما رأى من بيعة ابن الزبير أن يسير إليه ويبايع ما بايع عليه الناس ، إلا أن عبيدالله بن زياد كان قد وصل من العراق ، ويخشى على نفسه إن آل الأمر إلى غير بني أمية بسبب ما فعله في كربلاء من قتل للحسين ، وكان الحصين بن نمير أيضاً يخشى على نفسه لما فعل في حصار مكة من ضرب الكعبة بالمنجنيق ، وما اقترفت يداه في معركة الحرة لذا كان يرى ان يبايع أحد بني أمية .

وبينما كان مروان يفكر في البيعة لابن الزبير التقى بعبيدالله بن زياد فقال له : « استحييت لك ما تريد ، أنت كبير قريش وسيدها وتصنع ما تصنعه » فدبّ الأمل في نفس مروان وأجاب : ما فات شيء . وكفل عبيدالله خديعة الضحاك في دمشق فنزل عنده ، على حين كان بنو أمية ينزلون تدمر وأبدى عبيدالله مناصحة الضحاك ، وزيّن له أن يدعو لنفسه ، ثم أشار إليه أن يترك دمشق وينزل في أطرافها ففعل ، فخلت دمشق من راعيها والواقع أن الناس في دمشق قد اختلفوا فالقيسية مع الضحاك تدعو لابن الزبير ، واليمانية تدعو لبني أمية ، ووقعت فتنة في المسجد كادت أن تستفحل لولا أن الضحاك تدارك الأمر ، ورأى أن يدرس الموضوع ، واتفق مع بني أمية على أن يلتقوا بالجابية مع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي .
وسار بنو أمية نحو الجابية ، وسار الضحاك مع قومه فجاءه ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي فقال له : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك . وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد

ابن يزيد. فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نسر وندعو إلى طاعة ابن الزبير، ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط[1]. وكتب الضحاك إلى أنصاره على المناطق يستمدهم فأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذي الكلاع، وسار زفر بأهل قنسرين، وأمده ناتل بأهل فلسطين، فاجتمع الجند بمرج راهط إلى جانب الضحاك.

واجتمع بنو أمية بالجابية من أرض حوران ولا تزال أطلالا بالقرب من بلدة نوى. وكانت أهواؤهم مختلفة فحسان بن مالك بن بحدل الكلبي يريد خالد بن يزيد، وكذا مالك بن هبيرة السكوني، أما الحصين بن نمير السكوني فكان يرى ان تكون الخلافة لمروان بن الحكم وقال لهم: لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، ثم اتفقت كلمة بني أمية ومن والاهم من بني كلب وجذام واليمانية عامة على أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، ثم تكون من بعده لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. وبويع مروان وسار بالناس من الجابية إلى مرج راهط وعمرو بن سعيد بن العاص على ميمنته، وعبيد الله بن زياد على ميسرته ومعه السكاسك، وغسان، والسكون، وأهل الأردن.

أما دمشق فقد سار فيها يزيد بن أبي النمس الغساني الذي لم يشهد الجابية فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وبايع لمروان بن الحكم، وغلب على بيت المال وأمد مروان بالرجال والأموال والسلاح.

والتحم الفريقان واستمرت المعركة عشرين يوماً، وانتصر مروان،

---

(١) مرج راهط: شمال شرقي دمشق بعشرة كيلومترات بين السفوح الجبلية الجنوبية وبلدتي حرستا ودوما.

وقتل الضحاك بن قيس، وعاد أهل حمص ففر النعمان بن بشير منها، فلاحقوه وقتلوه، وسار زفر بن الحارث الكلابي إلى قرقيسيا فتحصن بها وثابت إليه القيسية، وفر نائل بن قيس ولحق بابن الزبير وهكذا أضحى مروان بن الحكم سيد بلاد الشام وذلك في مطلع عام ٦٥ هـ.

وبعث عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً ليفتح بلاد الشام فأرسل له مروان جيشاً بإمرة عمرو بن سعيد فالتقيا بفلسطين فهرب مصعب وثبت حكم مروان في الشام.

وجهز مروان جيشين أحدهما بإمرة عبيدالله بن زياد ليأخذ العراق من نواب ابن الزبير، والآخر بإمرة حبيش بن دلجة القيني، ووجه جيشاً إلى الجزيرة الفراتية بإمرة ابنه محمد، ولم تمض فترة حتى توفي مروان بن الحكم، ولم تطل مدة حكمه للشام سوى تسعة اشهر إذ توفي في الثالث من شهر رمضان عام ٦٥ هـ، وقد أوصى بالحكم من بعده لولديه عبد الملك ثم عبد العزيز وضرب بمقررات مؤتمر الجابية عرض الحائط.

وكان الحكم أبو مروان من أعداء الاسلام، أسلم يوم الفتح، وانتقل إلى المدينة فأرسله رسول الله ﷺ إلى الطائف.

ومروان من كبار التابعين إن لم نقل أنه صحابي إذ ولد في حياة النبي ﷺ وكان عمره ثمان سنوات عندما قبض رسول الله ﷺ. وقد روى البخاري عنه في صحيحه وعن المسور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة حديث صلح الحديبية. وروى هو عن عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وروى عنه ابنه عبد الملك، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم. وكان كاتب عثمان، ودافع عنه يوم الدار دفاعاً كبيراً، وشهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها

وكان على الميسرة . ثم بايع علياً ، وتقرب منه معاوية حين آل الأمر له فولاه المدينة عدة مرات ، حتى حدث ما حدث ، وكان له من الأولاد عبد الملك ، ومعاوية وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وقد تزوج معاوية بن مروان رملة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد العزيز وأمه كلبية ، وهي : ليلى بنت زبّان ، وبشر وأمه كلابية وهي قطّية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة ، ومحمد وأمه أم ولد ، وعبدالله ، وعبيدالله ، وأمهما أم ولد ، وعثمان أيوب وداود وأمهم أم أبان بنت عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وعمر ، وأمه بنت عمر بن أبي سلمة .

وبعد وفاة مروان جددت البيعة لابنه عبد الملك في الشام ومصر . وسار بالناس يتابع ما سار عليه أبوه في الحكم ، ويحاول أن يوطد له الملك في الأمصار جميعها .

وفي مطلع عام ٦٩ هـ ركب عبد الملك في جيش ، وقصد قرقيسيا ليقاتل زفر بن الحارث الكلابي الذي كان سيد قيس ، والذي تحصّن في قرقيسيا منذ فرّ من معركة مرج راهط ، والذي أعان سليمان بن صرد زعيم التوابين حين قاتلهم جيش مروان بعين وردة ، وكان ينوي أن يتابع سيره إلى مصعب ابن الزبير بعد فراغه من زفر ، ولكن لم يكد يغادر دمشق ـ وقد أناب عليها عبد الرحمن بن أم الحكم ـ إلا ووثب عليها عمرو بن سعيد وتحصن فيها فرجع عبد الملك إليها وحاصرها ، وجرى قتال بين الطرفين مدة ستة عشر يوماً ثم اتفقا على ان يكون عمرو بن سعيد ولي عهد عبد الملك ، وأن يكون لكل واحد منهما من العمال بقدر ما للآخر إلا أن عبد الملك بعد ذلك دعا عمرو بن سعيد إليه وقتله غيلة .

وفي عام ٧٠ هـ شعر الروم بضعف المسلمين نتيجة الخلاف الذي وقع بين

ابن الزبير وبني مروان فصالحهم عبد الملك على أن يدفع لهم كل جمعة ألف دينار خوفاً منهم على الشام.

وصفا الجو لعبد الملك بالشام تماماً بعد الانتهاء من عمرو بن سعيد، وكان قبل ذلك كل عام يريد ان يخرج إلى العراق، ويريد مصعب ان يخرج إلى الشام، ويحول الشتاء بين لقاء الطرفين حتى كان عام ٧١ هـ فخرج عبد الملك إلى مصعب، وكان على ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان، ولا شك فإن خروج الخليفة يعطي للجيش شجاعة وحماساً، ويضعف معنويات العدو. والتقى الطرفان بمسكن فراسل عبد الملك أمراء مصعب، ومنّاهم بالولايات، ووعدهم بالأعطيات، وقد جاء مما جاء من كتبه إلى ابراهيم بن الأشتر وفيه تمنية بولاية العراق، فجاء ابن الأشتر بالكتاب إلى مصعب وقال له: أيها الأمير! انه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا، فإن أطعتني ضربت أعناقهم (ويعني بكلامه أنه ما دام قد جاء كتاب من عبد الملك إلى ابن الأشتر، فلا يمكن إلا أن يكون قد جاء الجميع ولكن لم يطلعوك على ذلك وهذا دليل عدم طاعتهم لك والأولى قتلهم وإلاّ خذلوك أثناء المعركة). فأجاب مصعب إني لو فعلت ذلك لم تنصحنا عشائرهم بعدهم (أي اقتنع بكلام ابراهيم بن الأشتر)، فقال ابن الأشتر: فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه، فإن كانت لك النصرة ضربت اعناقهم، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك، فقال له مصعب: يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن هذا، ثم قال مصعب: رحم الله أبا بحر - يعني الأحنف بن قيس - أن كان ليحذرني غدر أهل العراق، وكأنه ينظر إلى ما نحن فيه الآن.

وتقدم ابن الأشتر وكان على المقدمة فأزال مقدمة عبد الملك عن مواضعها فانجدت ميمنة عبد الملك المقدمة فقتل ابن الأشتر، وتخاذل قادة

مصعب ، وصعب الموقف ، وأعطى عبد الملك الأمان لمصعب فرفضه وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً ونادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال: يا ابن أخي لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب: قد أمنك عمك فامض إليه ، قال: لا يتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل ، فقال له: يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فإني مقتول ها هنا ، فقال له: والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أخبر نساء قريش مصرعك ، ولا أقتل إلا معك ، ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فإنهم على الجماعة ، فقال: والله لا تتحدث قريش بأني فررت من القتال.

وتقدم عيسى بن مصعب فقاتل حتى قتل بين يدي أبيه ، وأثخن مصعب بالجراح وهو يكر على الجموع حتى قتل ، ومال الناس إلى عبد الملك ، وقُدّم له رأس مصعب. وكان لمصعب سبعة أولاد وابنتان ، ومن زوجاته سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة التي أمها أم كلثوم بنت أبي بكر.

ونزل عبد الملك النخيلة فبايعه أهل العراق.

وهكذا توسع ملك عبد الملك فشمل مصر والشام والعراق ، ولم يبق مع ابن الزبير سوى الحجاز.

ولما انتهى أمر العراق وأراد عبد الملك الرجوع إلى الشام ندب الناس إلى قتال عبدالله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج بن يوسف الثقفي وقال: أنا له يا أمير المؤمنين ، فابعث بي إليه فإني قاتله فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام. وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه فخرج في جمادى الأولى من عام ٧٢ هـ ، ولم يعرض إلى المدينة بل سار حتى نزل بالطائف ، وصار يرسل السرايا إلى عرفة ، ويلتقي الفرسان

بعضهم مع بعض فيحدث قتال ثم يعود كل طرف إلى مكانه. ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ليحاصر ابن الزبير فإن جنده قد قلّ، وخذله الناس، كما سأله المدد، فأرسل إليه مدداً بإمرة طارق بن عمرو المكي وهو مولى عثمان بن عفان وأذن له. وجاء موسم الحج فحج بالناس ولم يتمكن من الطواف، كما لم يتمكن ابن الزبير من الحج لأنه محصور، وبقي محصوراً من غرة ذي الحجة عام ٧٢ هـ حتى ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ حيث قتل رضي الله عنه فكان حصاره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً وقد ضربت مكة بالمنجنيق، ومنعت عنها المواد الغذائية والمياه. وكان ابن الزبير رضي الله عنه يشد على أهل الشام فيخرجهم من أي باب دخلوا منه، إلا أن الناس قد خذلوه وصاروا يخرجون إلى أهل الشام ومنهم حمزة وخبيب ولدا ابن الزبير، حتى شكا ذلك لأمه فقال لها: خذلني الناس حتى أهلي وولدي ولم يبق معي إلا اليسير من جندي والناس يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكّن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن قدنا فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، ثم قال: والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك، وسلّمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته، ولم يكن

عندي آثر من رضى ربي عز وجل ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي ، اللهم أنت أعلم به مني ومن غيري ، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففي نفسي أخرج يا بني حتى انظر ما يصير إليه أمرك ، فقال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل أو بعد . فقالت : لا أدعه أبداً لن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبي ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبدالله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها ـ وكانت قد أضرت في آخر عمرها ـ فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت : يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة!! فقال : يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يا بني ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجعلت تذكره بأبيه الزبير ، وجده أبي بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيداً ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن أبيه وأبيها .

وهكذا غدت الأمصار الاسلامية كلها في قبضة عبد الملك بن مروان ، وبايعته جميعها فأصبح بعدئذٍ الخليفة الشرعي وكان قبلها خارجاً على أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما .

٢ ـ مصر : أرسل عبدالله بن الزبير عبد الرحمن بن جحدر والياً على مصر من قبله ، فاستولى عليها ، واعتزل الوالي السابق سعيد بن يزيد بن

علقمة الأزدي، ولكن لم يلبث أن سار مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد إلى مصر فخرج إليهما والي ابن الزبير عليها وهو عبد الرحمن بن جحدر فشاغله مروان، وخلص عمرو بن سعيد بقسم من الجيش من وراء عبد الرحمن إلى مصر.

أقام مروان شهراً بمصر، ثم أبقى ابنه عبد العزيز والياً عليها وأبقى معه أخاه بشر بن مروان، وموسى بن نصير وزيراً له، ورجع هو إلى الشام.

وقد سار عبد العزيز بمصر سيرة حسنة، فبنى مقياس النيل، وأقام قنطرة على خليج أمير المؤمنين (الترعة التي تصل بين خليج السويس والنيل شمال الفسطاط)، وعني بمدينة حلوان، وحاول أن ينقل مركزه إليها، وكان كريماً.

٣ - **إفريقية**: عندما سار عقبة بن نافع نحو المغرب خلف على القيروان زهير ابن قيس البلوي فلما استشهد عقبة أضحى زهير أمير إفريقية، وقد تابع الجهاد حتى استشهد عام ٦٩ هـ، وتبلبل وضع إفريقية حتى أرسل إليها عبد العزيز مروان والي مصر آنذاك حسان بن النعمان الغساني فعاد الفتح، واستطاع فتح مدينة قرطاجة (مكان مدينة تونس اليوم).

٤ - **العراق**: اجتمع جماعة من الشيعة بالكوفة على سليمان بن صرد، وتواعدوا بالنخيلة ليأخذوا بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان رؤوس القائمين في ذلك خمسة هم: سليمان بن صرد الصحابي[1]، والمسيب بن

(١) سليمان بن صرد الخزرجي: صحابي جليل، عابد زاهد، روى أحاديث عن رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع علي، وكانت داره مقر اجتماع الذين دعوا الحسين بن علي للقدوم إلى الكوفة، وكان بين الداعين له، ثم خذلوه، ثم ندموا على ما فعلوا، واجتمعوا بجيش أطلقوا على أنفسهم اسم التوابين وقتل عام ٦٥ هـ وكان عمره ثلاثاً وتسعين سنة، وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم بالشام مع رأس المسيب بن نجبة.

نجية الفزاري[1]، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي[2]، وعبد الله بن وال التيمي[3]، ورفاعة بن شداد البجلي[4]، واتفقوا على تأمير سليمان بن صرد، وتواعدوا النخيلة[5]، وقد خطب فيهم المسيب بن نجية فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فقد ابتلينا بطول العمر وكثرة الفتن، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ، بعد أن كتبنا إليه وراسلناه، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه، فخذلناه وأخلفناه، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده وذريته وقراباته الأخيار، فما نصرناهم بأيدينا، ولا خذلنا عنهم بألسنتنا، ولا قويناهم بأموالنا، فالويل لنا جميعاً ويلاً متصلاً أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتله والممالئين عليه أو نقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد، وتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم.

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن.

---

(١) المسيب بن نجية بن ربيعة بن رياح الفزاري: تابعي، كان رأس قومه، شهد القادسية وفتوح العراق، ثم شهد مع علي أمير المؤمنين رضي الله عنه مشاهده كلها، أقام بالكوفة وقتل في عين وردة عام ٦٥ هـ، كان متعبداً ناسكاً.

(٢) عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، من أزدشنوءة: أحد رؤساء الكوفة وشجعانها، حضر مع سيدنا علي مشاهده كلها وقتل في عين وردة عام ٦٥ هـ.

(٣) عبد الله بن وال التيمي: أحد رؤوس التوابين، قتل في عين وردة عام ٦٥ هـ.

(٤) رفاعة بن شداد البجلي: قارئ من الشجعان المقدمين، من أهل الكوفة، كان من أنصار علي ومن رؤوس التوابين، آلت إليه قيادتهم، بعد مقتل أربعة قواد قبله، ثم انحاز بالتوابين وعاد إلى الكوفة، وسار مع المختار، ثم عمل ضده، ثم عاد إليه وقاتل معه حتى قتل عام ٦٦ هـ.

(٥) النخيلة: موقع على مقربة من الكوفة على طريق الشام.

وبعد موت يزيد بن معاوية ظن هؤلاء أن أمر بني أمية قد ضعف فأرادوا السرعة في السير إلى الشام لقتل قتلة الحسين حيث كان هناك عبيد الله بن زياد إلا أن سليمان بن صرد قد منعهم في الاسراع قبل الموعد المحدد الذي ضرب لبقية من وافقهم، ولكنهم زادوا في الاعداد لذلك الموعد وأخرجوا نائب عبيد الله بن زياد وهو عمرو بن حريث من القصر، وقدموا عامر بن مسعود الذي بايع ابن الزبير. وفي ٢٢ رمضان عام ٦٤ هـ جاء عبد الله بن يزيد الخطمي من قبل ابن الزبير وهو على الحرب والثغر، ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج.

وكان قد وصل إلى الكوفة في منتصف شهر رمضان المختار بن أبي عبيد الثقفي[1]، فلما وجد أمر الكوفة على ما هو عليه أخذ يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية فسارت وراءه جماعة من أتباع سليمان بن صرد، وفارقت سليمان هذا، ولم يكن ابن الحنفية ليرضى عن هذا الأمر ولا يعلم به أصلاً.

---

(١) المختار بن أبي عبيد: ولد في السنة الأولى للهجرة في الطائف، انتقل مع أبيه أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة، استشهد أبوه يوم الجسر. وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالعراق، وسكن البصرة بعد علي، وسجنه عبيدالله بن زياد أيام مشكلة مسلم بن عقيل، وضربه على عينه، ثم اخرج من السجن بعد أن طلب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من يزيد ذلك، وكانت أخت المختار صفية تحت عبدالله بن عمر، فذهب المختار إلى الحجاز وأقام بالطائف فكان يقول: والله لأقطعن أنامل عبيدالله، فلما قوي أمر عبدالله بن الزبير بايعه المختار وكان من قادته، ودافع عنه يوم حصار الحصين بن نمير، فلما مات يزيد بن معاوية واضطرب أمر العراق استأذن ابن الزبير بالذهاب إلى العراق للدعوة له فانتقل إلى الكوفة. وبدأ يدعو بإمامة المهدي فسجن تاركاً الدعوة لابن الزبير، ولما قوي أمره خرج فأخذ الكوفة من عبدالله بن مطيع والي عبدالله بن الزبير، واستولى على الموصل، وتتبع قتلة الحسين، وقتل أمير جيش عبدالملك بن مروان وهو عبيدالله بن زياد، ثم قتله مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ.

وسار سليمان بن صرد بجماعته نحو الجزيرة، وقد تجمع إليه نحو سبعة عشر ألفاً، ولكن عند المسير لم يبق منهم سوى أربعة آلاف، وكانوا كلما ساروا مرحلة تخلف عنهم عدد، ووصلوا إلى قرقيسيا فتحصّن منهم زفر بن الحارث، ثم اتفقوا ونصحهم، فانطلقوا إلى عين وردة[1]، وسار جيش مروان إليهم والتقى الطرفان في الثاني والعشرين من جمادي الأولى عام ٦٥ هـ، وكان على الجيش المرواني عبيد الله بن زياد، ومعه الحصين بن نمير، فاقتتل الطرفان قتالاً شديداً ثبت فيه التوابون جماعة سليمان بن صرد ثباتاً قوياً، حسبما أطلقوا على أنفسهم، وانتصروا في بداية الأمر على جيش الحصين بن نمير، ثم جاء مدد للمروانيين بإمرة شرحبيل بن ذي الكلاع فدارت الدائرة على التوابين، وقتل قائدهم الأول سليمان بن صرد ثم المسيب ابن نجبة، ثم عبد الله بن سعد بن نفيل، ثم عبد الله بن وال، ولما أخذ الراية رفاعة بن شداد انتظر حتى جاء الظلام فانشمر راجعاً إلى بلاده فلما وصلوا إلى (هيت) إذ بسعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن قاصدين نصرتهم فلما أخبروه الخبر عاد كل إلى بلده فلما وصل أهل الكوفة إلى بلدهم كان المختار بن أبي عبيد الثقفي في السجن، فتدخل ختنة عبد الله بن عمر ثانية لدى أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وابراهيم بن محمد بن طلحة فأخرجاه بعد أخذ العهود عليه إلا أن جماعته قد اجتمعت حوله ومن عاد من التوابين وبايعوه سراً، ولما قوي أمرهم وتمكنوا من اجتذاب ابراهيم بن الأشتر النخعي إليهم خرجوا على الوالي عبد الله بن مطيع فجهز لهم جيشاً بإمرة شبث بن ربعي فانتصر جماعة المختار الذين

---

(١) عين وردة: موقع بين الرقة وقرقيسيا في الجزيرة الفراتية على الطريق الواصل بين الشام والعراق ومن المعروف أن هذا الطريق كان عن طريق وادي الفرات، ولعلها رأس العين الآن عند منابع نهر الخابور.

اتخذوا من المناداة بثارات الحسين شعاراً لهم حتى التف حولهم الكثير من أهل الكوفة وخرج ابن مطيع من الكوفة إلى البصرة، وتمكن المختار من المصر وجعل يتتبع قتلة الحسين.

وأرسل المختار جيشاً لملاقاة جيش عبيدالله بن زياد الذي بلغهم أنه سار إلى الجزيرة بعد الانتهاء من جيش التوابين فاتجه جيش المختار نحو الموصل لقتال قيس عيلان أنصار ابن الزبير والذين قاتلوا في معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس، فانتصر جيش المختار ورجع إلى الكوفة عندما بلغهم أن عبيد الله بن زياد قد جاء بجيش من الشام قوامه ثمانون ألفاً. وجهز المختار جيشاً بإمرة ابراهيم بن الأشتر، ولكن لم يلبث ان سار حتى خرج أهل الكوفة على المختار وعلموا أنه كذاب فأرسل في طلب ابن الأشتر فعاد فاقتتل الناس وانتصرت جماعة المختار، وفرّ وجهاء الكوفة إلى البصرة حيث كان فيها مصعب بن الزبير. وقتل المختار شمر ذي الجوشن الذي شارك في قتل الحسين رضي الله عنه، وعمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين. وأرسل رسلاً تدعو له في البصرة، ولكنهم منعوا وغُلب على أمرهم.

عاد المختار يصانع ابن الزبير ليتقي جيش الشام قبلاً. وأرسل كتاباً إلى ابن الزبير يعلن فيه الطاعة فأرسل ابن الزبير والياً على الكوفة من قبل ليرى صدق المختار من كذبه، وكان الوالي عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فلقيه على الطريق زائدة بن قدامة من جهة المختار فاعترض سبيله فسار عمر بن عبد الرحمن إلى البصرة واجتمع مع عبد الله بن مطيع.

أرسل عبد الملك بن مروان جيشاً إلى المدينة ليأخذها من ابن الزبير بإمرة ابن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم، وقد وصل إلى وادي القرى فكتب المختار لابن الزبير إن كنت تريد مدداً أمددتك فأجابه إن كنت على

طاعتنا فلا بأس من ارسال المدد. فأرسل المختار مدداً قوامه ثلاثة آلاف بإمرة شرحبيل بن ورس الهمداني وقال له: ادخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ حتى يأتيك أمري. وكان يريد أخذ المدينة من ابن الزبير، ثم يركب هو إلى مكة بعد ذلك. إلا أن ابن الزبير كان يعرف خديعة المختار فأرسل لذلك قوة بإمرة العباس بن سهل بن سعد الساعدي فالتقى بقائد المختار فعرف منه مهمته فقضى على أكثر جنده في ليل.

ثم أرسل المختار ابراهيم بن الأشتر في جيش لملاقاة عبيدالله بن زياد فالتقى به قريباً من الموصل فجرت معركة عظيمة بين الطرفين في مطلع عام ٦٧ هـ، قتل فيها من جند الشام عبيدالله بن زياد، والحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وامتلك ابن الأشتر المنطقة فولى الولاة على نصيبين والموصل، ودارا (دير الزور)، وسنجار. وأرسل إلى المختار رأس ابن زياد.

أرسل ابن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة ليكون كفئاً للمختار، وكان ابن الأشتر قد استولى على أكثر الجزيرة بعد أن قتل ابن زياد، واستهان بالمختار فطمع مصعب بن الزبير بابن الأشتر وأرسل مصعب محمد ابن الأشعث بن قيس إلى خراسان واستقدم نائبه هناك المهلب بن أبي صفرة.

سار مصعب بن الزبير من البصرة نحو الكوفة ومعه الأحنف بن قيس والمهلب بن أبي صفرة، وخرج المختار والتقى الطرفان، وهزم جيش المختار، وتراجع إلى الكوفة وقتل فيها سنة ٦٧ هـ في ١٤ رمضان. فكان المختار كذاباً يظهر أنه من آل البيت ويدعو لمحمد بن الحنفية ويبطن الدعوة لنفسه، ويدعو لابن الزبير أحياناً على رؤوس الأشهاد ويظهر الكهانة في

الباطن فكان كذاباً وكانت تحته أم ثابت بنت سمرة بن جندب، وعمرة بنت النعمان بن بشير.

ودعا مصعب ابراهيم بن الأشتر فجاءه وأكرمه، وأرسل المهلب بن أبي صفرة إلى الجزيرة. وكان قد ولي على البصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر، واستقر هو بالكوفة، ثم إن عبد الله بن الزبير ولى على البصرة ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير مدة ثم أعادها مع الكوفة إلى أخيه مصعب.

وخرج مصعب لملاقاة عبدالملك القادم من الشام فهزم أمامه وقتل مصعب، ودخل عبد الملك العراق وبايعه أهلها عندما نزل بالنخيلة قرب الكوفة. وولى على الكوفة قطن بن عبد الله الحري مدة أربعين يوماً ثم عزله وولى على العراق أخاه بشر بن مروان.

وتولى أمر البصرة أبان بن عثمان بن عفان ثم أرسل عبد الملك والياً عليها خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأناب عليها عبيد الله بن أبي بكرة.

٥ ـ الحجاز

أ ـ المدينة: أرسل مروان بن الحكم سنة ٦٥ جيشاً بإمرة حبيش بن دلجة العتبي إلى المدينة المنورة لينتزعها من ابن الزبير فلما وصل إليها هرب منها واليها جابر بن الأسود بن عوف، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة جيشاً من البصرة إلى ابن دلجة بالمدينة، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم، وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً إلى المدينة، وأمره أن يسير في طلب حبيش، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالربذة. فقتل حبيش بسهم، وهزم بقية الجيش، وتحصن خمسمائة منهم في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس فقتلهم صبراً.

وأعطى ابن أخاه الزبير عبيدالله إمرة المدينة ثم عزله وولى مكانه أخاه مصعباً، ثم نقل إلى البصرة، وتولى أمر المدينة عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٦٦ هـ، ثم جاء جابر بن أسود بن عوف وبقي فيها من سنة ٦٧ هـ حتى عام ٧١ هـ حيث تولى له أمرها طلحة بن عبد الله بن عوف، ثم إن المدينة خضعت للملك عبد الملك فولى عليها طارق بن عمرو الذي أرسله مدداً للحجاج.

ب ـ **مكة المكرمة**: أكمل عبد الله بن الزبير بناء الكعبة وكان قد مال جدارها بسبب رمي المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس سيدنا ابراهيم وأدخل فيها الحجر (حجر اسماعيل)، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر. وأعاد بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد ان يبنيها عليه من الشكل، وذلك كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن عن طريق عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر، فإن قومك قصرت بهم النفقة، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر، ولألصقت بابها بالأرض فإن قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا». فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ فجزاه الله خيراً.

واستمر أمر مكة بيد عبد الله بن الزبير حتى وصل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الطائف في أواخر عام ٧٢ هـ ثم نزل إلى الحرم وحاصر ابن الزبير مع مطلع هلال ذي الحجة، واستمر الحصار حتى ١٧ جمادى الأولى حيث قتل ابن الزبير رضي الله عنه، وتولى الحجاج أمر مكة وخطب الناس فقال: أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه من عذابه الأليم، وإن

آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير، وكان في الجنة وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله، [وقيل أنه قال: يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير] ثم ضمت له المدينة وعزل عنها طارق بن عمرو الذي تولى أمرها بعد أن جاء مدداً من قبل عبد الملك إلى الحجاج.

٦ ـ خراسان: بايع أهل خراسان بعد موت يزيد بن معاوية سلم بن زياد ابن أبيه حتى يبايع المسلمون لهم خليفة ثم اختلفوا فتركهم وأبقى عليهم المهلب بن أبي صفرة.

جرت حروب بين عبدالله بن خازم وبين الحرشي بن هلال القريعي، وطالت حروب ابن خازم حتى تم له أمر خراسان، واستمر فيها حتى قتل سنة ٧٢ هـ. وكانت طاعته لابن الزبير. وكان عبد الملك قد كتب له بطاعته على أن تكون له خراسان مدة عشر سنوات فأبى، فراسل عبد الملك نائب ابن خازم على مرو وهو بكير بن وشاح ومناه بولاية خراسان فوافق، وثار على ابن خازم وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها ابن خازم. فأعطى عبد الملك ولاية خراسان لبكير بن وشاح.

الخوارج

اشتد أمر الخوارج في البصرة إلا أن نافع بن الأزرق قد قتل في معركة مع أهل البصرة. فولى الخوارج عليهم عبيدالله بن ماجور، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا من أهلها كثيرا، ثم غلبوا على الأهواز، وجبوا الأموال، وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين. ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتّاب بن ورقاء الرياحي فهزمهم، وقتل أميرهم عبيدالله بن ماجور فتولى أمر الخوارج قطري بن الفجاءة الشاعر المشهور.

وجرت معركة بين أهل البصرة والخوارج انتصر فيها الخوارج فخافهم أهل البصرة فعزل ابن الزبير عامله على البصرة عبدالله بن الحارث وولى مكانه الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وأرسل المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان، فلما وصل إلى البصرة طلب أهل البصرة منه قتال الخوارج فقال: إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان، فكتبوا له كتاباً على لسان ابن الزبير للقيام بهذه المهمة فوافق، وأخبر ابن الزبير بذلك، فأمضى لهم ذلك. واشترط المهلب على أهل البصرة أن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج، وأن يمدوا جيشه من بيت مالهم فوافقوا، فتولى المهلب قتال الخوارج، فانتصروا عليه ثم ثبت لهم، بعد أن جمع إليه المنهزمون وخطب فيهم فقال: أما بعد أيها الناس، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فينهزمون، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر، وما أحب أن أحداً من انهزموا معكم الآن (ولو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) ثم قال: عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيولهم في طلب اخوانكم، فوالله إني لأرجو أن لا

ترجع خيولهم إلا وقد استبحتم عسكرهم ، وقتلتم أميرهم ، ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على معسكر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً[1] ، وهرب الخوارج إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلب بالأهواز .

ولما نقل مصعب المهلب بن أبي صفرة من خراسان إلى الجزيرة قوي أمر الخوارج ، وقاموا بحركات في فارس في نواحي اصطخر وأصبهان والأهواز وكان واليها عمر بن عبيد الله بن معمر ، فحاربهم مصعب وابن معمر ، وكانوا كلما هزموا في ناحية انتقلوا إلى أخرى ، وقتلوا ما شاء لهم هواهم ، فكتب مصعب إلى المهلب وهو على الموصل أن يسير لقتال الخوارج فسار إلى الأهواز وقاتلهم مدة ، وكان أبصر الناس بقتالهم . وأرسل مكان المهلب على الموصل ابراهيم بن الأشتر .

وعندما آل أمر العراق إلى عبد الملك أمّر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز فقتل منهم مقتلة عظيمة وطاردهم في كل مكان ، وكان بشر بن مروان يمده بالجند والأموال حسب أوامر عبد الملك .

وخرج أبو فديك الحارثي[1] بالبحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحنفي[2]

---

(١) البداية والنهاية - ابن كثير

(١) أبو فديك : عبدالله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب . كان من أتباع نافع بن الأزرق ثم فارقه ، قتل نجدة بن عامر الحنفي ، وسيطر على البحرين واستقل بها حتى قتل عام ٧٣ هـ .

(٢) نجدة بن عامر الحروري الحنفي ، من بني حنيفة ، من بكر بن وائل ، وكان رأس الفرقة (النجدات) ، انفرد عن سائر الخوارج بآراء ، ففارق نافع بن الأزرق ، استقل باليمامة ، وأتى البحرين واستقر بها ، وانتصر عدة مرات على الجيوش التي كان يبعثها إليه مصعب بن الزبير ، وسيطر على اليمامة والبحرين وعمان .

الذي كان قد ثار باليمامة واستولى عليها منذ مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما عام ٦١ هـ . وبعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والي البصرة من قبل عبد الملك إليه أخاه أمية بن عبد الله في جند كثيف ، فهزمه أبو فديك . ثم وجه عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك ، وسار معه من الكوفة عشرة آلاف ومن البصرة مثلها واستطاعوا قتل أبي فديك . وهكذا ضعف أمر الخوارج في اليمامة والبحرين . وبقيت للأزارقة قوة في الأهواز .

نظـرة عـامّة

وعلى الرغم من هذه الخلافات الكبيرة التي حدثت بين آل الزبير وبني أمية إلا أنها كانت خلافات في الاجتهاد والرأي فكل طرف يشعر أن خدمة المسلمين إنما تكون على الطريقة التي يراها والخط الذي ينهجه ، ويعيب على الآخر سلوكه ، فإن مروان يرى في تخلي ابن الزبير ما ينفر ، وابن الزبير يرى في تمسك بني أمية بالسلطة وحبهم للحكم والارث في ذلك ما يخالف الشرع ، وتعصّب كل لرأيه حتى أدى الأمر إلى القتال وسفك الدماء ، ولكن لم يطعن أحدهما بدين الآخر ، ولم ينكر كل منهما فضل الثاني ، ولننظر إلى مروان بن الحكم كيف بكى بعد معركة مرج راهط التي انتصر جيشه فيها ، وجيء له برأس خصمه الضحاك بن قيس الفهري ، وقال : أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك؟ وقول روح بن زنباع الجذامي في خطبته أثناء العمل على مبايعة مروان بن الحكم إذ قال : (... وأما ابن الزبير فإنه ابن حواري رسول الله ﷺ ، ولا ينكر أحد فضله ولكنه خلع بيعة خليفتين ...) . وحتى الحجاج بن يوسف الثقفي قد خطب أهل مكة بعد قتل ابن الزبير فقال : أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع أهلها ..... .

وكان عبد الملك يحب مصعب بن الزبير حباً شديداً ، وكان خليلاً له قبل الخلافة ولما قُدِّم إليه رأس مصعب بكى وقال : (والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم ، ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تلد النساء مثل مصعب؟ ثم أمر بدفنه وموارته هو وابنه وابراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن قرب الكوفة .

ولم تكن جماعة تطعن في دين الأخرى أو تتهمها ، وإنما كان الناس

يقاتلون مع أمرائهم . ومن غلب على مصر أصبح عليه أميراً وأطاعه أهله . وعلى كل كانت فتنة أضعفت شأن المسلمين فقتلت الأعداد منهم . وأطمعت فيهم أعداءهم وخاصة الروم حتى صالحهم عبد الملك ودفع لهم أتاوة ، وتوقفت الفتوحات أو بالأحرى توقف انتشار الاسلام ، ولم يتوسع إلا على رقعة صغيرة في افريقية ، إذ ولّى عبد العزيز بن مروان وهو والي مصر على افريقية حسان بن النعمان ففتح قرطاجنة (موقع مدينة تونس اليوم) .

والمجتمع متماسك رغم تباين الآراء وملتزم بحدود الشرع ، لا يبيح أحد حرمة أحد ، ولا يقاتل إلا بأمر أو حين يرى معصية ، اللهم إلا الخوارج الذين كانوا يستبيحون قتال المسلمين ، فيمعنون في القتل ، ويعتدون على الآمنين ، وقد يصل تعديهم إلى قتل النساء ، وذلك لأنهم يرون الناس قسمين مسلم أو كافر ، فالمسلم من يرى رأيهم ، وما عدا ذلك فهم على غير الجادة .

جدول الولايات
في عهد ابن الزبير

م	المدينة	الكوفة	البصرة	مصر
٦٤	عبيد الله بن الزبير جابر بن أسود ابن عوف	عامر بن مسعود عبدالله بن يزيد الخطمي	عبد الملك بن عبدالله بن عامر عبدالله بن الحارث عمرو بن عبيدالله	عبدالرحمن بن جحدر
٦٥	مصعب بن الزبير	عبدالله بن مطيع	الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة	عبد العزيز بن مروان
٦٦	عبد الرحمن بن الأشعث	المختار الثقفي	مصعب بن الزبير	عبد العزيز مروان
٦٧	جابر بن أسود بن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز بن مروان
٦٨	جابر بن أسود بن عوف	مصعب ابن الزبير	حمزة بن عبدالله بن الزبير مصعب بن الزبير	عبد العزيز بن مروان
٦٩	جابر بن أسود بن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز بن مروان
٧٠	جابر بن أسود بن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز بن مروان
٧١	طلحة بن عبدالله بن عوف	قطن بن عبدالله الحرثي	أبان بن عثمان بن عفان	عبد العزيز بن مروان
٧٢	طارق بن عمرو	بشر بن مروان	خالد بن عبدالله	عبدالعزيز بن مروان
٧٣	الحجاج	بشر بن مروان	بشر بن مروان	عبدالعزيز بن مروان

الأسرة المروانيّة

عَبد الملك بن مَروَان

٧٣ - ٨٦ هـ.

حياته

ولد سنة ٢٦ للهجرة في المدينة، وأبوه مروان بن الحكم، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، فهو أموي من جهة الأب والأم. سمع من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وشهد يوم الدار (حصار عثمان) مع أبيه وعمره عشر سنوات، ولاه معاوية المدينة وعمره ست عشرة سنة، وكان قبل أن يلي الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن، وقال الأعمش عن أبي الزناد كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذويب، وعبد الملك ابن مروان قبل أن يدخل في الامارة.

وغزا إفريقية تحت لواء معاوية بن حُديج السكوني سنة إحدى وأربعين، وسار مع المجاهدين مرة أخرى تحت لواء ابن حديج سنة خمس وأربعين، وقد سار على رأس ألف رجل إلى (جلولاء)[1] ففتحها بعد حصار، كما سار على بعث أهل المدينة مع معاوية بن حديج وذلك سنة

(١) جلولاء: مدينة كانت عامرة على مقربة من القيروان تبعد عنها ٤٠ كيلومتراً، وهي الآن أطلال يعرف مكانها عين جلولاء.

خمسين للهجرة، وعاد بعدئذ إلى المدينة فأقام بها.

وبقي مروان في المدينة حتى وقعة الحرة حيث أخرج أهل المدينة بني أمية فسار إلى الشام. وملك أبوه الشام، ثم حاز على مصر، ولم يلبث أن توفي، فآل ملك مصر والشام إليه، وكانت بقية الأمصار لأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير، ثم انتزع العراق، وظفر بالحجاز بعد مقتل ابن الزبير، فبايعته بعد ذلك اليمن وخراسان وغدا خليفة للمسلمين منذ عام ٧٣هـ.

وكان أخوه عبد العزيز والياً على مصر منذ دخلها مع أبيه مروان سنة ٦٤هـ، وكان ولي عهده فكتب إليه عبد الملك يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده، فإنه أعز الخلق عليه، فكتب إليه عبد العزيز يقول: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد. فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر، وكان من قبل لا يحمل إليه شيئاً من ذلك، فكتب إليه عبد العزيز يقول: إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سناً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً فإن رأيت ألا تعتب عليَّ بقية عمري فافعل، فرق له عبد الملك وكتب إليه: لا أعتب عليك بقية عمرك. ومات عبد العزيز قبل عبد الملك سنة ٨٥هـ، ومات عبد الملك بعده بعام.

ووصى بالخلافة من بعده لابنه الوليد، وبه كان يكنى، ثم لابنه الآخر سليمان بعد أخيه الوليد.

كان عبد الملك رحمه الله ربعة من الرجال أقرب إلى القصر، مفتوح الفم (أفوه)، أبيض، ليس بالنحيف ولا البادن، مقرون الحاجبين، كبير العينين، دقيق الأنف.

تزوج عبدالملك ولاَّدة بنت العباس بن جَزء بن الحارث فولدت له:

١ - الوليد: الذي تولى الخلافة بعد أبيه.

٢ - سليمان: الذي تولى الخلافة بعد أخيه.

٣ - مروان الأكبر: مات صغيراً.

٤ - عائشة:

وتزوج عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فأنجبت:

٥ - يزيد: الذي تولى الخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز.

٦ - مروان.

٧ - معاوية: مات صغيراً.

٨ - أم كلثوم.

وتزوج عائشة أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فولدت له:

٩ - هشام: الذي تولى الخلافة بعد أخيه يزيد.

وتزوج عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله فولدت له:

١٠ - أبا بكر، واسمه بكار.

وتزوج أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له:

١١ - الحكم: مات صغيراً.

وتزوج أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فأنجبت له:

١٢ - فاطمة التي تزوجها عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي.

وله من أمهات الأولاد:

١٣ - عبدالله.

١٤ ـ مسلمة: القائد الذي حاصر القسطنطينية.

١٥ ـ المنذر.

١٦ ـ عنبسة.

١٧ ـ محمد.

١٨ ـ سعيد الخير.

١٩ ـ الحجاج.

وهكذا كان لعبد الملك من الأولاد ستة عشر، ومن البنات ثلاث.

بويع عبد الملك بعد وفاة أبيه في مصر والشام، وبويع بالعراق بعد مقتل مصعب بن الزبير، وبالحجاز واليمن وخراسان بعد مقتل عبد الله بن الزبير وغدا أميراً للمؤمنين منذ ذلك الوقت عام ٧٣ هـ وقد استقر له الوضع تماماً الأمر الذي جعله يمكن من أن يعود لمنازلة الروم الذين طمعوا في ضعف المسلمين نتيجة اختلافاتهم، فأعاد فتح المغرب، وردّ الروم في الأناضول وأرمينيا واستعاد بعض الأجزاء، أما الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر فقد حاربهم وانتصر عليهم، إلا أنه لم تحدث فتوحات واسعة هناك بسبب أن الشرق كانت فيه بعض القلاقل إذ عاث الخوارج من الأزارقة في الأهواز وبلاد فارس كثيراً من الفساد، وكذلك الصفرية منهم في الجزيرة وبلاد العراق وانفق الخليفة عبد الملك وواليه الحجاج على المشرق كثيراً من الوقت لمحاربة هؤلاء الخارجين على الحكم، وكذلك شغلت حركة عبد الرحمن ابن الأشعث الدولة وقتاً من الزمن كل هذا جعل بلاد المشرق تبقى على وضعها من حيث التوسع وإن جرى فيها قتال، وكثيراً ما كان لمصلحة المسلمين، وقد برز اسم الملك رتبيل بين أعداء المسلمين من الترك آنذاك.

وبهذا الاستقرار الذي امتاز به عهد عبد الملك عدّ مقدمة للفتوحات الكبرى التي حدثت في عهد ابنه الوليد من بعده، ومقدمة لأعمال كبيرة

حدثت في عهده هو بالذات والعهد الذي تلاه ، ولعل منها النقش على الدراهم والدنانير عام ٧٦ هـ ، وتعريب الدواوين إذ بقي أهم هذه الدواوين وهو ديوان الخراج يستعمل اللغات الأجنبية ، هي ذلك الوقت كما كانت حالها فيها قبل الاسلام ، فكان يكتب في الشام باليونانية ، وفي العراق بالفارسية ، وفي مصر بالقبطية واليونانية ويشرف هذا الديوان على الشؤون المالية للدولة ، وكان موجوداً في عواصم الأقاليم وله فروع في عدد من المدن. وكان معنى استعمال اللغة الأجنبية لغة لهذا الديوان المحافظة على موظفيه من الأجانب أو من أهل الكتاب الذميين . كما أن لذلك معنى آخر ، وهو استمرار وجود هذه اللغات ضمن أقاليم الدولة الاسلامية الأمر الذي يجعل بعض الناس يفكرون في تعلم هذه اللغات ، وهذا يتناقض مع شخصية الدولة الاسلامية المتميزة هذا إضافة إلى الجانب السياسي إذ أن هؤلاء الغرباء يعرفون أهم شؤون الدولة ، ويتعرفون على شيء من أسرارها . وهذا لا يصح أبداً إذ من المحتمل أن تنقل هذه الأسرار إلى الأعداء ما داموا يلتقون مع هؤلاء الغرباء في عقيدة واحدة ، لذا أصدر عبد الملك أوامره بتعريب هذه الدواوين ، وكان ذلك عام ٨١ هـ في الشام ، و ٨٢ في العراق ، و ٨٦ هـ في مصر .

وتوفي عبد الملك عام ٨٦ هـ بعد أن بايع لولديه من بعده الوليد ثم سليمان .

الولايات

كانت أكثر الولايات هادئة باستثناء العراق التي شغلت بأمر الخوارج وابن الأشعث.

١ - الشام: استقر الوضع لبني أمية فيها تماماً.

٢ - الحجاز: تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر الحجاز بعد القضاء على ابن الزبير كما أضيفت له اليمامة واليمن ثم نقل الحجاج إلى العراق، وأعطيت المدينة ليحيى بن أبي العاص عام ٧٥ هـ ثم عزل عنها، وتولى أمرها أبان بن عثمان بن عفان مدة سبع سنوات، ثم خلفه عليها هشام بن اسماعيل المخزومي بقية أيام عبد الملك.

٣ - العراق: ولي أمر البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد عام ٧٤ هـ، وبعدها نقل الحجاج إليها، وأضيفت له الكوفة أيضاً وبقية المشرق، فكان هو الذي يرسل النواب عنه إلى خراسان وسجستان أو بأمر من الخليفة، واستمر هذا الوضع مدة أيام عبد الملك وإلى ما بعد ذلك. وقد بنى الحجاج مدينة واسط عام ٨٤ هـ فأضحت قاعدة العراق.

وكان على خراسان بكير بن وشاح، ثم أرسل إليها أمية بن عبد الله، ولكنه قتل عام ٧٦ هـ، إذ ثار عليه بكير بن وشاح وقتله، ولكن عبد الملك ابن أمية تولى أمر خراسان مكان أبيه. ثم تولى عبد الله بن أبي بكرة أمر خراسان عام ٧٨ هـ، وفي هذا العام أضحت سجستان إمارة خاصة أعطيت للمهلب بن أبي صفرة ولكن لم يلبث الحجاج ان نقل المهلب إلى خراسان وعبد الله بن أبي بكرة إلى سجستان.

وتوفي المهلب بن أبي صفرة عام ٨٢ هـ فتولى ابنه يزيد أمر خراسان حتى عام ٨٥ هـ حيث استبدله الحجاج بأخيه الفضل بن المهلب، وبعد عام

إلى قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان، وتوفي عبد الملك وهو عليها والٍ.

أما سجستان فقد استشهد أميرها عبد الله بن أبي بكرة عام ٧٩ هـ أثناء قتاله الترك، فجهز الحجاج جيشاً وأعطى إمرته لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وولاه سجستان، ثم لم يلبث أن قام بحركته عام ٨١ هـ، وقد دامت عامين.

وكانت حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ذات جذور نفسية وشخصية واجتماعية. إذ كان عبد الرحمن ذا همة عالية ويتطلع إلى أعلى، ويرغب في السيطرة وكان بينه وبين الحجاج كراهية حتى نظر كل منهما إلى الغدر بالآخر، وقد وجد الحجاج أن من باب السياسة والمصلحة والتمكين لنفسه والتخلص منه إبعاده عن العراق والبيئة التي يعيش فيها وبقي ينتظر الفرصة المناسبة ليقوم بهذا الأمر. فلما استشهد عبيد الله بن أبي بكرة والي سجستان أثناء قتاله للترك عام ٧٩ هـ وجد الحجاج الفرصة مناسبة فاستغلها بأن أرسله عام ٨٠ هـ على رأس جيش قوامه أربعون ألفاً من أهل البصرة والكوفة لقتال ملك الترك (رتبيل)، وقد وجد ابن الأشعث في هذا ما كان يحلم به، إلا أن عمه اسماعيل بن الأشعث قد نصح الحجاج وقال له: إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الصراة، فقال: ليس هو هنالك هو لي حبيب، ومني أرهب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي. وكأن الحجاج يعرف ذلك، وهذا مجال للتنكيل به. هذا إلى جانب أن عبد الرحمن بن الأشعث كان يعرف نقمة الناس وأهل العلم خاصة على الحجاج لقسوته وشدته فيظن أنه إن قام بحركة تبعه الناس عامة وأيده العلماء.

سار عبد الرحمن بن الأشعث بالجيش إلى بلاد الترك، ولما علم رتبيل

بسيره حاول أن يعتذر عما وقع منه في العام المنصرم بالنسبة إلى المسلمين وأنهم هم الذين أجبروه على قتالهم، وأنه مستعد لدفع الخراج للمسلمين إلا أن ابن الأشعث لم يأبه بهذا الكلام ودخل بلاد الترك غازياً، وتوغل فيها مسافة كبيرة، واقترب الشتاء ورأى ابن الأشعث أن يتوقف ليصلح المسلمون ما استولوا عليه، فينظمونه ويتمكنون فيه، ويكون الشتاء ببرده القارس في تلك المناطق الجبلية قد انتهى فيعاود الغزو وفي هذا حكمة وسياسة.وأخبر بذلك الحجاج، إلا أن الحجاج لم يوافقه، بل طلب منه التوغل، وألحّ عليه في ذلك، واتهمه بالجبن، وقسا عليه بالكلام، فتضايق ابن الأشعث، وأخبر بذلك جنده، وأعلمهم أنه مصرّ على رأيه وهم الذين يقاسون المشقة في تلك الأصقاع، وأنبأهم بكلام الحجاج الذي فيه غلظة، وأعلمهم أنه قد خلع الحجاج فوافقوه، واتجه نحو الحجاج، وأخبر الحجاج عبدالملك فأمده بالجند، وتقدم نحو ابن الأشعث حتى نزل (تستر) في الأهواز، فهزمت مقدمة الحجاج، وفرّ الحجاج إلى البصرة وتبعهم ابن الأشعث وتمكن من دخول البصرة وخطب الناس فبايعوه على خلع الحجاج وابن مروان، ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة من فقهاء وقرّاء وشيوخ وشباب لما يقاسون. والتقى الطرفان في معركة الزاوية عام ٨٢ هـ فانتصر ابن الأشعث في اليوم الأول ولكنه هزم في اليوم التالي، وانحاز إلى الكوفة فدخلها وبايعه أهلها على خلع الحجاج وابن مروان.

إستشار عبدالملك رجاله بالأمر فأشاروا عليه بخلع الحجاج عن العراق ليرضي أهله فوافق على ذلك وأرسل ابنه عبدالله بن عبدالملك وأخاه محمد ابن مروان ومعهما جنود كثيرة، وقال لهما: اذهبا الى أهل العراق وقولا لهم: إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عزلته عنكم، وبعثت لكم أعطياتكم مثل أهل الشام، وليختر ابن الاشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش

وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال لهما : فإن لم يجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج هو ما عليه ، وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان ، وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتبه عبد الملك لأهل العراق شق عليه ذلك ، وكتب إلى عبد الملك يقول : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعي عنهم لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان؟ فلما سألهم ما تريدون؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ، وإن الحديد بالحديد يفلح ، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك . ولكن عبد الملك أبى إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق .

وعندما عرض محمد بن مروان ، وعبد الله بن عبد الملك هذه الأمور على أهل العراق ردّوا بأن ننظر في أمرنا غداً ، ونرد عليكم الخبر عشية ، واجتمع الأمراء مع ابن الأشعث فنديهم بالموافقة حتى أمن عزل خصمه الحجاج ، والإمرة لنفسه وهذا ما يعمل له ، إلا أن الناس قد نفروا من كل جانب ، وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعُدداً ، وهم في ضيق من الحال ، وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيبهم إلى ذلك أبداً ، ثم جددوا خلع عبد الملك والحجاج واتفقوا على ذلك ، فلما وصل الخبر إلى محمد ابن مروان وعبد الله بن عبد الملك قالا للحجاج شأنك بهم إذن فنحن على طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين .

وبرز كل من الفريقين للقتال في موقع قرب الكوفة يقال له دير الجماجم ، وكانت الحرب يومياً ، فأهل العراق يأتيهم الطعام والعلف من

الأقاليم، وأهل الشام في ضيق، واستمر ذلك حتى انتهى عام ٨٢ هـ وكانت الدائرة في معظم الأيام تدور على أهل الشام.

وفي نهاية القتال انتصر الحجاج بعد صبر مرير، وهرب ابن الأشعث، ودخل بلاد الترك فأكرمه(رتبيل)، وتبع ابن الأشعث جيش من أنصاره فأخذوا اقليم سجستان وطلبوا منه العودة إليهم والسير بهم إلى خراسان، فأتاهم وبعد أن قطعوا شوطاً اختلف معهم فعاد إلى(رتبيل)،وسار بقية الجيش بإمرة عبد الرحمن بن عباش بن ابي ربيعة إلى خراسان وعليها يزيد ابن المهلب فأراد ابعادهم دون قتال فأبوا فقاتلهم، وقتل منهم كثيراً، وأسر كثيراً، وأرسلهم إلى الحجاج فقتل منهم عدداً كبيراً وعفا عن بعض.

أما ابن الأشعث فقد استقر عند رتبيل ثم إن الحجاج قد أرسل تهديداً لملك الترك بارسال ابن الأشعث إليه فوافق فقتله وأرسل إليه رأسه مقابل تخفيف ما عليه من الخراج وذلك عام ٨٥ هـ.

وقتل الحجاج من العلماء الكثير ومنهم سعيد بن جبير رحمه الله، وعفا عن الشعبي إذ كان قد سار إلى مسلم بن قتيبة وكان الحجاج يوم ظهر قد نادى في الناس: من رجع فهو آمن، ومن لحق بمسلم بن قتيبة فهو آمن، فلحق بمسلم عدد كبير ممن كان مع ابن الأشعث.

٤ ـ الجزيرة: وقد ولي أمر الجزيرة وارمينية محمد بن مروان أخو عبد الملك، فكان جهاده هناك.

٥ ـ مصر: كان والي مصر عبد العزيز بن مروان واستمر عليها حتى توفي عام ٨٥ هـ، فأعقبه عبد الله بن عبد الملك، وكانت افريقية في بادىء الأمر تتبع مصر، ويسير إليها الأمير من قبل الوالي في مصر وكان في

القيروان زهير بن قيس البلوي[1] يوم استشهاد عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار سنة ٦٣ فعهد إليه أمرها . ثم أضحت ولاية خاصة منذ عام ٧٤ هـ وتولى أمرها حسان بن النعمان الغساني[2] ، ثم عزل ، وتولى أمرها موسى بن نصير[3] عام ٧٨ هـ .

---

(١) زهير بن قيس البلوي ، أبو شداد : شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وعمره آنذاك عشرون سنة ، ثم أصبح في جيش عقبة بن نافع واستخلفه على مغداش قرب سرت في ليبيا قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط سنة ٤٦ هـ ثم استخلفه عقبة بن نافع على القيروان حين سار إلى المغرب سنة ٦٢ هـ ، وبعد استشهاد عقبة انتقل زهير إلى برقة تحت ضغط أعدائه من الروم والبربر ، ورجع إلى مصر ، وكان من بايع ابن الزبير ، وسار لرد مروان بن الحكم عن مصر ، ولكنه هزم ، وعفا عنه عبد العزيز بن مروان وأرسله إلى برقة وفي عام ٦٩ هـ كلف بغزو افريقية واستشهد عام ٧١ هـ .

(٢) حسان بن النعمان الغساني : أهله من الغساسنة الذين كانوا ملوك الشام وقد أسلم عدد منهم بعد الفتح وبقي آخرون على ديانتهم النصرانية ، اختير والياً على افريقية عام ٧٤ هـ فجاهد ، واستقر له أمر افريقية ، وبنى تونس ثم عزل عام ٨٥ هـ بعد أن ولى على المغرب من قبله رجلاً من جنده يسمى أبو صالح ، ورفض بعدها تولي منصب لبني أمية . وخرج غازياً إلى أرض الروم تحت لواء مسلمة بن عبدالملك فمات هناك سنة ٨٧ هـ .

(٣) موسى بن نصير ، أبو عبد الرحمن : من لخم ، ولد سنة ١٩ هـ ، وكان أبوه من سبايا عين التمر الذين سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ ، واعتق بنو أمية نصيراً ، فأقام بالشام ، وأصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان ، ثم عليهم ، ثم على جيوشه وكان ابنه موسى من بعده بإذ تولى البحر ، وغزا قبرص وكان نائب معاوية عليها . وفي عام ٦٤ هـ كان موسى مع الضحاك بن قيس في مرج راهط فلما هزم الضحاك لجأ موسى إلى عبدالعزيز بن مروان فحماه وسار معه إلى مصر .

وفي عام ٧٣ هـ كان موسى وزير بشر بن مروان في العراق ، وبعد وفاة بشر بن مروان خشي الحجاج فانتقل إلى عبدالعزيز بن مروان في مصر الذي عزل حسان بن النعمان الغساني عن افريقية عام ٨٥ هـ ، وولى موسى بن نصير مكانه ، فأخضع المغرب ، وتقدم في الأندلس ففتحها ، ثم سار إلى الشام وولى مكانه ابنه عبدالعزيز على الأندلس . في أثناء عودته وابقى ابنه عبدالله على القيروان ، ووصل الى دمشق وذهب للحج مع الخليفة سليمان ابن عبدالملك فمات بالمدينة سنة ٩٧ هـ .

استغل الأعداء حروب المسلمين فيما بينهم فقاموا بحركات على كل جبهات القتال، وهدد الروم بلاد الشام، واضطر عبد الملك إلى أن يدفع لهم أتاوة سنوية ريثما ينتهي من تدبير أمره، ووصلوا في عام ٧٩ هـ إلى أنطاكية، وتمكنوا في افريقية من قتل عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار عام ٦٣ هـ، ثم قتل زهير بن قيس البلوي عام ٧١ هـ، وحتى تراجع المسلمون إلى برقة وتركوا القيروان قاعدتهم الأولى وراءهم.

ونقض أهل أرمينيا العهد، وكذا الترك على الجبهة الشرقية، وهاجموا المسلمين عدة مرات، فلما اجتمع أمر المسلمين على خليفة واحد، وتوحد أمرهم قاموا برد الضربة وعاد للجهاد أثرها وحدثت فتوحات على الجبهات الاسلامية كلها.

١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ بلاد الروم: لم يحدث تغيير يذكر على هذه الجبهة، وكانت الثغور تُحصّن باستمرار، وتتوالى عليها الصوائف والشواتي، والغزو لا ينقطع أبداً، وكان محمد بن مروان أمير الجزيرة هو الذي يتولى أمر الغزو في أغلب الأحيان فقد غزا الروم عام ٧٣ هـ، وهزمهم في العام نفسه عثمان بن الوليد في جهات أرمينيا، وكان في أربعة آلاف مقاتل والروم في ستين ألفاً. وخرج الروم من جهات مرعش متجهين نحو بلاد الشام عام ٧٥ هـ فوقف في وجههم محمد بن مروان وردهم على أعقابهم مدحورين. وتوقف غزو أهل الشام عام ٧٩ هـ بسبب مرض الطاعون الذي انتشر بينهم في ذلك العام إلا أن الروم قد وصلوا إلى جهات انطاكية وظنوا أن هناك مانعاً سياسياً خطيراً حال دون غزو المسلمين فتقدموا نحوهم يريدون استغلال الفرصة، ودخل

عبد الملك بن مروان بنفسه المصيصة عام ٨٤ هـ على رأس صائفة قادها بنفسه. ثم غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم عام ٨٦ هـ.

ب ـ في البحر: غزا عطاء بن رافع جزيرة صقلية عام ٨٤ هـ.

حـ ـ في افريقية: بعد أن وصل عقبة بن نافع[1] إلى ساحل المحيط الأطلسي وقام بفتوحاته هناك عاد إلى قاعدته القيروان، وفي طريق عودته فاجأه الروم وهو في عدد من جنده لا يزيد على ثلاثمائة فارس، وكلموا كسيلة الذي كان في عسكر عقبة فأظهر غدره وجمع اقرباءه وهاجموا عقبة فاستشهد ومعه أبو المهاجر دينار وذلك عام ٦٣ هـ. وكان نائبه على القيروان زهير بن قيس البلوي فقصده كسيلة، واضطر زهير إلى العودة إلى برقة، وانتزع كسيلة القيروان من أيدي المسلمين، وقد كثر الروم في افريقية إذ توقفت هجمات المسلمين عليهم عن طريق بلاد الشام بسبب الأحداث التي وقعت في بلاد المسلمين كما أن البربر قد قويت شوكتهم، وعز أمرهم بمجيء الروم إليهم، وكتب زهير إلى عبد الملك يخبره بذلك فأرسل إليه قوة كبيرة من بلاد الشام سار بهم إلى إفريقية واقترب من القيروان عام ٦٩ هـ، ونازل كسيلة في (ممس) إلى الغرب من القيروان فانتصر عليه وقتله، ولاحق المسلمون الروم والبربر حتى المغرب الأقصى، وكانت معركة (ممس) معركة حاسمة ذل بعدها الروم تماماً، وضعفت مقاومة البربر. وجاءت مراكب كثيرة من الروم من القسطنطينية وجزيرة صقلية فأغارت

---

(1) عقبة بن نافع الفهري: ولد قبل الهجرة بسنة، شهد فتح مصر مع ابن خالته عمرو بن العاص الذي وجهه عام ٤٢ هـ إلى افريقية، وفتح كثيراً من المناطق، وبنى القيروان عام ٥٠ هـ، عزله مسلمة بن مخلد والي مصر، وأعطى افريقية لمولاه أبي المهاجر دينار، ثم عاد عقبة والياً عام ٦٢ هـ على افريقية، فوصل إلى المحيط الأطلسي واستشهد في بلاد الزاب عام ٦٣ هـ، وله ضريح هناك.

على برقة فسلبت ونهبت كثيرا . وصادف ذلك قدوم زهير فطلب من جنده الحركة السريعة نحو الساحل لاستنقاذ سبي المسلمين فلما رأوه استغاثوا به وهم يسحبون نحو المراكب فأسرع لنجدتهم وكانت الروم بأعداد كبيرة فجرت معركة استشهد فيها زهير عام ٧١ هـ .

وأرسل عبدالملك عام ٧٣هـ حسان بن النعمان الغساني والياً على افريقية فسار من مصر بأربعين ألفاً ، ويقال إنه أول من دخل إفريقية من جند الشام فنزل طرابلس عام ٧٤ هـ وسار بعدها إلى القيروان ولم يجد أثناء سيره سوى مقاومة خفيفة ثم سار إلى (قرطاجنة) وأمر بهدمها فهدمت حتى يحرم الروم من الافادة من مرافئها ، ثم أقام الجنوب منها مدينة تونس ، ولاحق الروم إلى الساحل فهزمهم في (بنزرت) ، و (صطفورة) ، ثم عاد إلى القيروان فمكث فيها مدة ، ثم انطلق نحو الكاهنة في جبال (أوراس) ، وكان البربر يطيعونها ، وأمرها عظيم يخشونه الروم ، والتقى الطرفان ، وهزم المسلمون بعد بلاء عظيم ، وأخبر حسان الخليفة عبد الملك بذلك فأمره بالانتظار حتى تصل إليه الأوامر . أما من ناحية الروم فقد سروا بهزيمة المسلمين وحرصوا على استرجاع افريقية ، ووصل اسطولهم عام ٧٨هـ إلى قرطاجنة بإمرة البطريق يوحنا فتمكن من دخولها ، وقسا الروم على المسلمين قسوة شديدة تدل على حقدهم ومحاولة الانتقام ، وتحصنوا في قرطاجنة والمدن المجاورة لها ، وأخبر حسان أمير المؤمنين عبدالملك بما قسا به الروم .

بقي حسان مقيماً في مكان (قصور حسان) بالقرب من سرته مدة خمس سنوات ، وهو يستحث عبد الملك لإرسال الجنود إليه إلا أن عبد الملك كان مشغولا في حوادث المشرق التي شغلته مدة من الزمن وهي حركة الخوارج وحركة ابن الأشعث . وأرسل نجدة إلى حسان عام ٨١ هـ وأمره بالسير نحو

افريقية فتحرك حسان نحو الكاهنة، فهزمها وقتلها عام ٨٢ هـ، وعمل على الاحسان إلى البربر فحسن إسلامهم، ثم عاد إلى القيروان فاستراح بها مدة ثم اتجه شمالاً نحو قرطاجنة لمنازلة الروم فانتصر عليهم واحتمى البطريق يوحنا بقرطاجنة. وجرت معركة بحرية هزم فيها الروم، وفتحت قرطاجنة، وانتقل البطريق يوحنا هارباً إلى بيزنطة. وطلب حسان النجدة البحرية من عبد الملك فأرسل له اسطولاً بإمرة عبد الملك بن قطن فاستولى على جزر (كركنة). ثم أرسل حسان خيلاً إلى المغرب فسيطر على (فاس) وخلصت له المغرب تماماً، وحتى لا يعود الروم إلى قرطاجنة أنشأ حسان مرفأ تونس جنوب قرطاجنة.

قام حسان بتدوين الدواوين وضرب الدنانير والدراهم العربية، ثم عزل عن افريقية عام ٨٥ هـ.

٢ ـ الجبهة الشرقية: يعيش على حدود بلاد المسلمين الشرقية قبائل يعود أكثرها إلى أصول تركية، وإن كان يمكن تمييز ثلاث جبهات:

أ ـ بلاد ما وراء النهر: وهي التي تقع إلى الشمال الشرقي من بلاد المسلمين، وراء نهر جيحون، وتخضع لإمارات كثيرة، إذ أن أكثر سكانها يعيشون في واحات يديرها أمراء، وتنتقل فيما عداها قبائل رعوية تخضع لأمراء المناطق التي تعيش في جوارها. وقد كان المسلمون يغزون تلك الجهات ثم يعودون إلى خلف النهر. وغزا أمية بن عبد الله، ولكنه حوصر هو وجنوده، وأصابهم الجهد، ثم نجوا بعدما أشرفوا على الهلاك، ثم عادوا إلى مرو وذلك عام ٧٧ هـ، وقطع المهلب نهر (بلخ)، ونزل مدينة كس، كما غزا حبيب بن المهلب صاحب مدينة بخارى عام ٨٠ هـ، وغزا المهلب بلاد ما وراء النهر وفقئت عينه، ودخل يزيد بن المهلب قلعة (نيزك) بباذغيس عام ٨٤ هـ، كما أن أخاه المفضل قد فتح (شومان) و (باذغيس)، ولكن

هذه الغزوات لم تكن للفتح والاستقرار وإنما لإضعاف معنويات الخصم ودراسة أرض المعركة للمستقبل.

ب ـ شرق سجستان: وتعيش هناك قبائل تركية، وقد اشتهر فيها أيام عبد الملك بن مروان أمر الملك (رتبيل)، وقد غزاه المسلمون كثيراً وفي عام ٧٩ هـ، هاجم بلاد المسلمين حتى قتل أميرهم عبيدالله بن أبي بكرة، وفي العام التالي غزا بلاده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وتوغل فيها إلا انه قام بحركة فيا بعد فتوقف القتال بين الطرفين، كما التجأ إليه ابن الأشعث بعد هزيمته. وكان رتبيل يدفع مبلغا من المال للمسلمين مقابل عدم تقدمهم في أرضه.

حـ ـ السند: وهي المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلاد المسلمين، وتبدأ الحياة الزراعية فيها بسبب وجود نهر السند، كما يكثر السكان بسبب الحياة المستقرة وكثرة المياه وخصوبة التربة، واشتهر من حكام المنطقة (داهر) الذي قاتله المسلمون، وسبق أن أغار المسلمون على تلك الجهات منذ أيام الخلفاء الراشدين، وفي أيام معاوية سار إليها المهلب ابن أبي صفرة الأزدي عام ٤٤ هـ ونال شيئاً من النجاح، وأرسل عبد الملك سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على ثغر السند، ولكنه قتل، والتجأ قاتلاه إلى داهر ملك السند. وأرسل الحجاج والي المشرق مجاعة بن سعر التميمي فغلب على الثغر، وفتح بعض المناطق، ووافاه الأجل قبل مرور عام، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج من ملك السند داهر تسليم هذه النساء فأجاب: إن يده لا تصل إلى القراصنة فأرسل إليه الحجاج بعض المقاتلين كان على رأسهم عبيدالله بن نبهان فقتل، فأرسل بُديل ولكن الأجل وافاه، ثم أرسل بعدئذ محمد بن القاسم الثقفي على رأس جيش كبير.

الخوارج

تولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي قتال الخوارج بأمر من عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أمير العراقين فلاحقهم من مكان إلى آخر ، وفي عام ٧٦ هـ هاجم صالح بن مسرح[1] أمير الصفرية من الخوارج وشبيب بن يزيد خيلاً لمحمد بن مروان أمير الجزيرة لأخيه عبد الملك ، ونفروا بها ، وأقاموا بمنطقة دير الزور فأرسل لهم جنداً يقدر عددهم بألف رجل فقتلهم الخوارج ولم يكن يزيد عددهم على مائة وعشرة أشخاص وكان لقاؤهم بأرض آمد . فأرسل لهم ثلاثة آلاف مقاتل ففر الخوارج بعد أن فقدوا أكثر من نصفهم في المعركة التي جرت بين الطرفين ، واتجهوا نحو الموصل فأرسل لهم الحجاج ثلاثة آلاف مقاتل مع الحارث بن عميرة فجرى قتال بين الجانبين كان نتيجته هزيمة الحارث بن عميرة لكن قتل صالح بن مسرح زعيم الخوارج ، وكان جيش الحارث أول جيش يهزمه شبيب الذي بايعه الخوارج بعد مقتل صالح بن مسرح .

أرسل الحجاج جيشاً لقتال شبيب فهُزم ، ثم أمكن هذا الجيش من جمع جموعه ونال من جماعة شبيب الذي سار نحو المدائن فهرب جندها إلى الكوفة ، فأرسل له الحجاج أربعة آلاف مقاتل اتجهوا نحوه إلى المدائن فخرج منها شبيب فساروا في طلبه ، فكان يظهر أنه يفرّ منهم ويكرّ على مقدمتهم فيهزمها ، ويحوز على ما في المعسكر وهكذا عدة مرات وليس معه سوى ستين ومائة رجل ، والحجاج يرسل لجيشه المدد والسرايا سرية إثر سرية .

---

(1) صالح بن مسرح التميمي زعيم الصفرية ، وأول من خرج فيهم ، كان كثير العبادة يقيم في أرض دير الزور ، والموصل ، والجزيرة ، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن ويعظهم ، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين له فأجابوه ، وقتل عام ٧٦ هـ .

(2) شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ، أبو الصحاك : ولد عام ٢٦ هـ ، وهو أحد أبطال العالم ، بايعه الخوارج بالخلافة ، أرعب ملك بني أمية ، مات غرقاً عام ٧٧ هـ .

أراد شبيب حصار الكوفة فاتجه نحوها فأسرع إليه الجيش كاملاً فهزمه، ووصلت فلوله إلى الكوفة، وهرب الحجاج منها، والتجأ إلى البصرة، وأناب عنه فيها عروة بن المغيرة بن شعبة، فلما اقترب شبيب من الكوفة أخبر عروة الحجاج بذلك فأسرع إليها الحجاج فدخلها عصراً قبل وصول شبيب إليها، إذ جاء وقت الغروب، وفي آخر الليل دخل شبيب الكوفة، ومعه زوجه غزالة[1] فدخلت مسجد الكوفة، وجلست على منبره، وبدأت تذم الحجاج وآل مروان.

جنّد الحجاج ستة آلاف رجل لقتال شبيب الذي خرج من الكوفة، إلى مكان قريب منها يصلح للنزال، وخرج الجند وراءه فكان لا يبالي بهم ثم يكر عليهم ويهزمهم، وقد قتل منهم خلقاً كثيراً، وكان من جملة من قتل زائدة بن قدامة الثقفي[2] ابن عم الحجاج.

وجه الحجاج بعد زائدة بن قدامة لقتال شبيب عبد الرحمن بن الأشعث ولكن لم يتقابلا. ثم أرسل عثمان بن قطن الحارثي فالتقى بشبيب فقتل عثمان على يد أخٍ لشبيب يدعى مصاد، فقتل ستمائة من جماعته. واشتد أمر شبيب حتى خافه عبدالملك والحجاج والأمراء جميعاً، فأرسل عبدالملك جيشاً من الشام بإمرة سفيان بن الأبرد الكلبي، وأخرج الحجاج مقاتلة الكوفة

---

(1) غزالة الحرورية: ولدت في الموصل، وخرجت مع زوجها على عبدالملك، فكانت من أشهر النساء في الشجاعة والفروسية إذ كانت تقاتل في الحروب قتال الأبطال، وقد خشي الحجاج منها يوم دخلت الكوفة فاختبأ وتحصن، وقال في ذلك عمران بن حطان شاعر الخوارج مخاطباً الحجاج:

أسد علـيّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

قتلها خالد بن عتاب الرياحي في معركة على أبواب الكوفة قبل غرق زوجها.

(2) زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي: قائد من الشجعان، من أهل الكوفة، ابن عم المختار قتل في قتاله مع الخوارج عام ٧٦هـ بأسفل الفرات.

وعددهم أربعون ألفاً بقيادة عتاب بن ورقاء[1] لملاحقة شبيب بن يزيد وقتاله ، وخرج إليهم شبيب بألف رجل فقط فانتصر شبيب على خصومه وقتل عتاب بن ورقاء ، وفر الجيش إلى الكوفة عام ٧٧ هـ ، واتجه شبيب نحو الكوفة إلا أن جند الشام قد وصلوا إلى الكوفة فاستنصر بهم الحجاج ، ونقل جند الكوفة الذين فروا في معركتهم مع الخوارج إلى الحيرة .

سار الحجاج بنفسه مع جند الشام لملاحقة شبيب وأصحابه وعددهم ستمائة رجل ، والتقى الطرفان ، وجرت معركة رهيبة ثبت فيها كلا الجانبين لخصمه ، ثم ذهبت فرقة من جند الحجاج واتخذت لها طريقاً إلى خلف جماعة شبيب وداهمته فصمد لها ، وقتل أخوه مصاد ، وزوجه غزالة ، وكثير من جنده ، وانطلق شبيب بمن بقي معه ، وعاد نحو الكوفة فخرجت له السرايا الواحدة تلو الأخرى فكان يردها وينتصر عليها ، ثم عاد شبيب واتجه نحو الأهواز فكلف الحجاج نائبه على البصرة وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل[2] ، ختنه ، زوج ابنته فجهز جيشاً قوامه أربعة آلاف انضمت إلى جند الشام والتقوا مع شبيب فهزموه وفر الخوارج من بين أيديهم إلا أنهم اضطروا إلى أن يسيروا نحو جسر هناك على نهر دجيل بالأهواز وأجبروا على السير عليه ، فوقف شبيب مع مائة من رجاله يقاومون جند الحجاج خوفاً من قطع الجسر ، وفي الصباح اجتاز شبيب الجسر فكبا

---

(١) عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو ، أبو ورقاء ، الرياحي ، اليربوعي ، التميمي : قائد من الأبطال . ولاه مصعب بن الزبير إمارة أصفهان ، وانتدبه لقتال الخارجين عليه في الري ، ففتح الري عنوة ، ثم أصبح في جيش المهلب بن أبي صفرة ، ثم انتدبه الحجاج لقتال شبيب فقتله عامر بن عمير التغلبي من أصحاب شبيب عام ٧٦ هـ .

(٢) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي : أمير ، ابن عم الحجاج ، تولى له أمر البصرة ثم عزله ، ثم أعاده ، قتله صالح بن عبدالرحمن الكاتب مع جماعة من أهل الحجاج لما اختزنه من أموال وذلك عام ٩٧ هـ أيام خلافة سليمان بن عبد الملك .

به جواده وهو على الجسر فسقط في الماء وغرق لكثرة ما عليه من حديد الدروع، وكان شبيب رجلاً طويلاً جداً.

كما جرت حروب كثيرة بين جند الحجاج والأزارقة في منطقة الأهواز، وكان أمير جند الحجاج المهلب بن أبي صفرة. فالأزارقة من الخوارج كانوا في الأهواز، والصفرية كانوا في الجزيرة والسواد، والنجدات كانوا في اليمامة والبحرين.

الوليد بن عبد الملك

٨٦ - ٩٦ هـ.

حياته

ولد الوليد بن عبد الملك سنة خمسين لهجرة رسول الله ﷺ، وكان طويلاً أسمر، به أثر جدري خفيف، أفطس الأنف، يتبختر في مشيته. نشأ في الترف فكانت لغته ضعيفة.

تزوج ابنة عمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فولدت له عبد العزيز ومحمداً. وتزوج شاهفريد بنت كسرى فولدت له يزيداً الذي تولى الخلافة. وتزوج امرأة فزارية فولدت له أبا عبيدة. ومن أولاده أيضاً العباس، وابراهيم، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومسرور، ومروان، وصدقة، وعنبسة، وعمر، وروح، وبشر، ويحيى، ومنصور، ومبشر، فكان عدد أولاده الذكور تسعة عشر ولداً.

بويع بالخلافة أيام أبيه، ثم جددت له البيعة بعد عودة الناس من دفن أبيه في منتصف شهر شوال من عام ٨٦ هـ، وبعد شهر من توليه الخلافة شرع في بناء جامع دمشق، ولم يزل في عمرانه مدة خلافته وهي عشر سنوات، وقد كان موضع هذا الجامع كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا، فلما فتحت دمشق جعلها المسلمون مناصفة حسب فتح دمشق نصفها بالسيف

والآخر سلماً، فأخذوا الجانب الشرقي منها وهو الجانب الذي فتح حرباً من دمشق وجعلوه مسجداً، وبقي الجانب الغربي كنيسة على حالها منذ فتح دمشق، فعزم الوليد على أخذه، وعوضهم عنه كنيسة مريم على أنها تقع في الجانب الشرقي الذي أخذ بالسيف. كما بنى صخرة المقدس، ووسع مسجد الرسول ﷺ.

وأعطى المجذومين، وقال لهم: لا تسألوا الناس، وبنى لهم مشفى خاصة في ضواحي دمشق إلى الشمال الشرقي منها على بعد عشرين كيلو متراً في بداية مرج عذراء في مكان مناسب للجذام حيث يتوقف انتشاره في الجسم في ذلك المكان ـ بإذن الله ـ. ولا يزال يحمل هذا المشفى اسم مشفى الوليد. وأعطى كل مُقعد خادماً، وكل ضرير قائداً. وكان يبرّ حملة القرآن، ويكرمهم، ويقضي عنهم ديونهم.

وحدثت في أيامه فتوحات واسعة في المشرق والمغرب والأندلس وفرنسا، وكان يرسل في كل غزوة إلى بلاد الروم أحد بنيه.

وحج عام ٩١ هـ فلما قرب من المدينة المنورة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم، ودخل المدينة النبوية فأخلي له المسجد النبوي، فلم يبق به سوى سعيد بن المسيّب، لم يتجاسر أحد أن يخرجه، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم، فقالوا له: تنحَّ عن المسجد أيها الشيخ، فإن أمير المؤمنين قادم، فقال: والله لا أخرج منه فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه، ويصلي ها هنا وها هنا ويدعو الله عز وجل، قال عمر بن عبد العزيز: وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه، فحانت منه التفاتة، فقال: من هذا هو سعيد بن المسيب؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك. فقال: قد علمت ببغضه لنا، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه وإنه، وشرعت أثني عليه،

وشرع الوليد يثني عليه بالعلم والدين، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعتذر له، فقال: نحن أحق بالسعي إليه. فجاء فوقف عليه فسلم عليه، فلم يقم له سعيد، ثم قال الوليد: كيف الشيخ؟ فقال: بخير والحمدلله، كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد! بخير والحمدلله وحده، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز: هذا فقيه الناس. فقال: أجل يا أمير المؤمنين[1].

وهرب يزيد، والمفضل، وعبدالملك أبناء المهلب من السجن ولحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ووافق الوليد على ذلك، وكانت هند بنت المهلب أختهم تحت الحجاج.

وتوفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وبويع بعده أخوه سليمان بن عبدالملك، وكان عامله على الرملة، وفكر الوليد في أخذ البيعة لولده عبد العزيز وخلع أخيه سليمان، ولكنه توفي قبل أن يقدم على ذلك، ووافقه في هذا الأمر كل من الحجاج، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وامتنع عليه عمر بن عبد العزيز وقال له: لسليمان بيعة في أعناقنا.

---

(١) البداية والنهاية.

الولايات

كانت الأوضاع في عهد الوليد بن عبد الملك هادئة في الولايات كلها، حتى أن أمر الخوارج قد ضعف، ولم تقم حركة تذكر في أيامه سواء أكانت من الخوارج أم من قبل غيرهم.

١ ـ الشام: وبقي الوضع فيها مستقراً لبني أمية.

٢ ـ الحجاز: كانت المدينة إمارة وحدها وكذا مكة طيلة أيام الوليد ابن عبد الملك.

أ ـ المدينة المنورة: وقد تولى أمرها عمر بن عبد العزيز حتى عام ٩٤ هـ، ولما قدم المدينة نزل دار جده مروان بن الحكم، ودخل عليه الناس فسلموا عليه، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة،: عروة بن الزبير[1]، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة[2]، وأبا بكر بن عبد الرحمن[3]،

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام: أبو عبدالله، عالم المدينة، أحد الفقهاء السبعة: حدث عن أبيه، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر، وعن خالته أم المؤمنين عائشة، ولازمها، وعن سعيد ابن زيد، وعن علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وجابر، ومحمد بن مسلمة، وأبي هريرة، وعبدالله بن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وأسامة بن زيد، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عمر، وقيس بن سعد بن عبادة. ولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة، نشأ في المدينة، وفد على ابن عباس في البصرة، ثم لحق بمصر، وأقام مع أخيه عبدالله بمكة مدة خلافته، فلما قتل أخوه انتقل إلى المدينة، ووفد على عبدالملك بالشام، وتوفي سنة ثلاث وتسعين..

(٢) عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أبو عبدالله الهذلي، المدني، الأعمى، أخو المحدث عون، وجدهما عتبة هو أخو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود، أحد الفقهاء السبعة: ولد عام ثلاثة وعشرين، لازم ابن عباس طويلاً. كان بحراً من بحور العلم كما يقول الزهري، وتوفي عبيدالله عام ثمانية وتسعين.

(٣) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو عبد الرحمن، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة: كان يسمى راهب قريش لكثرة عبادته وكان كفيفاً. ولد في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه توفي سنة أربع وتسعين أيام الوليد بن عبدالملك.

وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٤] ، وسليمان بن يسار[٥] والقاسم بن محمد[٦] ، وسالم بن عبدالله بن عمر[١] ، وعبدالله بن عبدالله بن عمر[٢] ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة[٣] ، وخارجة بن زيد ، فدخلوا عليه فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون

---

(٤) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة بن حذيفة بن غانم ، العدوي ، أمه أمة الله بنت المسيب بن صيفي المخزومي ، سمع من سعد بن أبي وقاص وروى عنه الزهري .

(٥) سليمان بن يسار : أبو عبدالرحمن ، وقيل أبو أيوب ، وأبو عبدالله ، المدني ، عالم المدينة وفقيهها ، مولى أم المؤمنين ميمونة وأخو عطاء بن يسار ؛ ولد عام ٣٤ هـ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتوفي عام ١٠٧ هـ أيام هشام بن عبد الملك كان أبوه فارسياً ، وقد ولي سوق المدينة لأميرها عمر بن عبد العزيز .

(٦) القاسم بن محمد بن أبي بكر ، أبو محمد : أحد فقهاء المدينة السبعة : ولد في المدينة عام ٣٧ هـ ، وتوفي بقديد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً عام سبعة ومائة ، كف بصره في أواخر حياته ، وكان من سادات التابعين .

(١) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أبو عمر ، مفتي المدينة ، أمه أم ولد ، ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . قال سعيد بن المسيب : كان عبدالله بن عمر أشبه ولد عمر به ، وكان سالم أشبه ولد عبدالله به ، وقال : قال لي ابن عمر : أتدري لم سميت ابني سالماً؟ قلت : لا قال : باسم سالم مولى أبي حذيفة .

كان خشن الثياب ، كثير العبادة ، توفي سنة ست ومائة .

(٢) عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب : أمه صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أخت المختار . فيكون المختار خاله ، وقد تزوج ابنة خاله المختار ، وهي أم سلمة بنت المختار . وتوفي عبدالله في أول خلافة هشام بن عبد الملك بالمدينة ، وكان ثقة قليل الحديث .

(٣) عبدالله بن عامر بن ربيعة بن مالك ، أبو محمد : ولد عام الحديبية وكان عمره يوم قبض رسول الله ﷺ خمس سنين أو ست ، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعن أبيه ، ومات بالمدينة سنة خمس وثمانين في خلافة عبدالملك بن مروان ، وكان ثقة قليل الحديث .

ولذا يبدو أن في دعوته من قبل عمر بن عبدالعزيز نظر إذ توفي ولم يكن الوليد قد تولى بعد ، كما لم يكن عمر بن عبدالعزيز قد تولى أمر المدينة .

(٤) خارجة بن زيد بن ثابت : الإمام بن الامام ، أحد الفقهاء السبعة الأعلام ، أبو زيد : وجده لأمه هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه ، وتوفي سنة مائة من هجرة رسول الله ﷺ .

فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا بلّغني فخرجوا يجزونه خيراً[1].

وضرب عمر بن عبد العزيز سنة ثلاث وتسعين خبيب بن عبدالله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك، وصب فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شتاء بارد، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله. وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن، وكان إذا بشّر بشيء من أمر الآخرة يقول: وكيف وخبيب لي بالطريق؟ وفي رواية يقول: هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى، وكان إذا أثني عليه يقول: خبيب إن نجوت منه فأنا بخير. وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيب فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذٍ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء وكانت تلك هفوة منه وزلة[2].

ولما استقال تولى أمر المدينة بعده عثمان بن حيان إلى نهاية أيام الوليد بن عبد الملك.

ب ـ مكة المكرمة: وكان عليها منذ عام ٨٩ هـ خالد بن عبدالله القسري، وبقي عليها طيلة أيام الوليد بن عبد الملك، وكانت مكة تارة تتبع عمر بن عبد العزيز، وأخرى تبقى ولاية خاصة.

٣ ـ العراق: كان الحجاج أمير العراقين، وكانت أكثر إقامته في

---

(١) الطبري.
(٢) البداية والنهاية.

الكوفة، ويقيم نائباً عنه في البصرة الجراح بن عبدالله الحكمي[1]، وبقي ذلك حتى بنى مدينة واسط عام ٨٤ هـ فأصبحت قاعدته ومقر إمارته، وكان المشرق كله يتبع العراق، والحجاج هو الذي يرسل نواباً عنه إلى خراسان وسجستان والسند، وقد قامت الفتوحات الواسعة في المشرق وخاصة في بلاد ما وراء النهر والسند.

وتوفي الحجاج في ١٧ رمضان من عام ٩٥ هـ أي قبل انتهاء مدة الوليد بأقل من سنة، وولى على الصلاة مكانه ابنه عبدالله، ثم إن الوليد ولّى على المصرين يزيد بن أبي كبشة[2] للصلاة والحرب، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم[3].

٤ ـ الجزيرة: كان والياً على الجزيرة من قبل الوليد عمه محمد بن مروان وبقي ذلك حتى عام ٩١ هـ حتى تولى أمرها أخوه مسلمة بن عبدالملك، وكان والي الجزيرة يتولى غزو أرمينيا وبلاد الروم الشرقية واذربيجان.

٥ ـ مصر: تولى عبدالله بن عبدالملك أمر مصر بعد وفاة عمه عبدالعزيز بن مروان، وبقي على مصر حتى عام ٩٠ هـ حيث خلفه عليها قرة بن شريك العبسي[4] وبقي فيها طيلة أيام الوليد حيث توفي عام ٩٦ هـ.

---

(١) الجراح بن عبدالله الحكمي: أبو عقبة: ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان، وسجستان لعمر بن عبدالعزيز، وكان بطلاً شجاعاً، مهيباً طوالاً، عابداً قارئاً، كبير القدر استشهد عام ١١٢ غازياً في بلاد الترك.

(٢) يزيد بن أبي كبشة: يزيد بن حيويل بن يسار، كان مقدم السكاسك، وصاحب شرطة عبدالملك، ثم ولي العراقين للوليد، وتولى خراج السند أيام سليمان، ومات بالسند عام ٩٩ هـ.

(٣) يزيد بن أبي مسلم الثقفي، أبو العلاء بن دينار الثقفي: كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، كان قصيراً دمياً، كبير البطن، مشوهاً، أخذه سليمان بن عبدالملك مغلولاً، أمره يزيد بن عبدالملك على افريقية، ثار عليه الخوارج هناك وقتلوه سنة ١٠٢ هـ.

(٤) قرة بن شريك العبسي: أمير مصر من قبل الوليد، بني جامع الفيوم، توفي عام ٩٦ هـ.

٦ ـ افريقية : كان عليها موسى بن نصير ، وقامت في عهده الفتوحات الواسعة في بلاد الأندلس بعد أن وطد أوضاع المغرب ودخل البربر في دين الله .

الفتوحات

حدثت فتوحات عظيمة أيام الوليد بن عبد الملك لا يمكن مقارنتها إلا الفتوحات التي تمت أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما بل إن الفتوحات الاسلامية نرى لها قمتين أولاهما أيام الراشدين والثانية أيام الوليد، وقد اتسمت هذه الفتوحات بامتدادها على مختلف الجبهات:

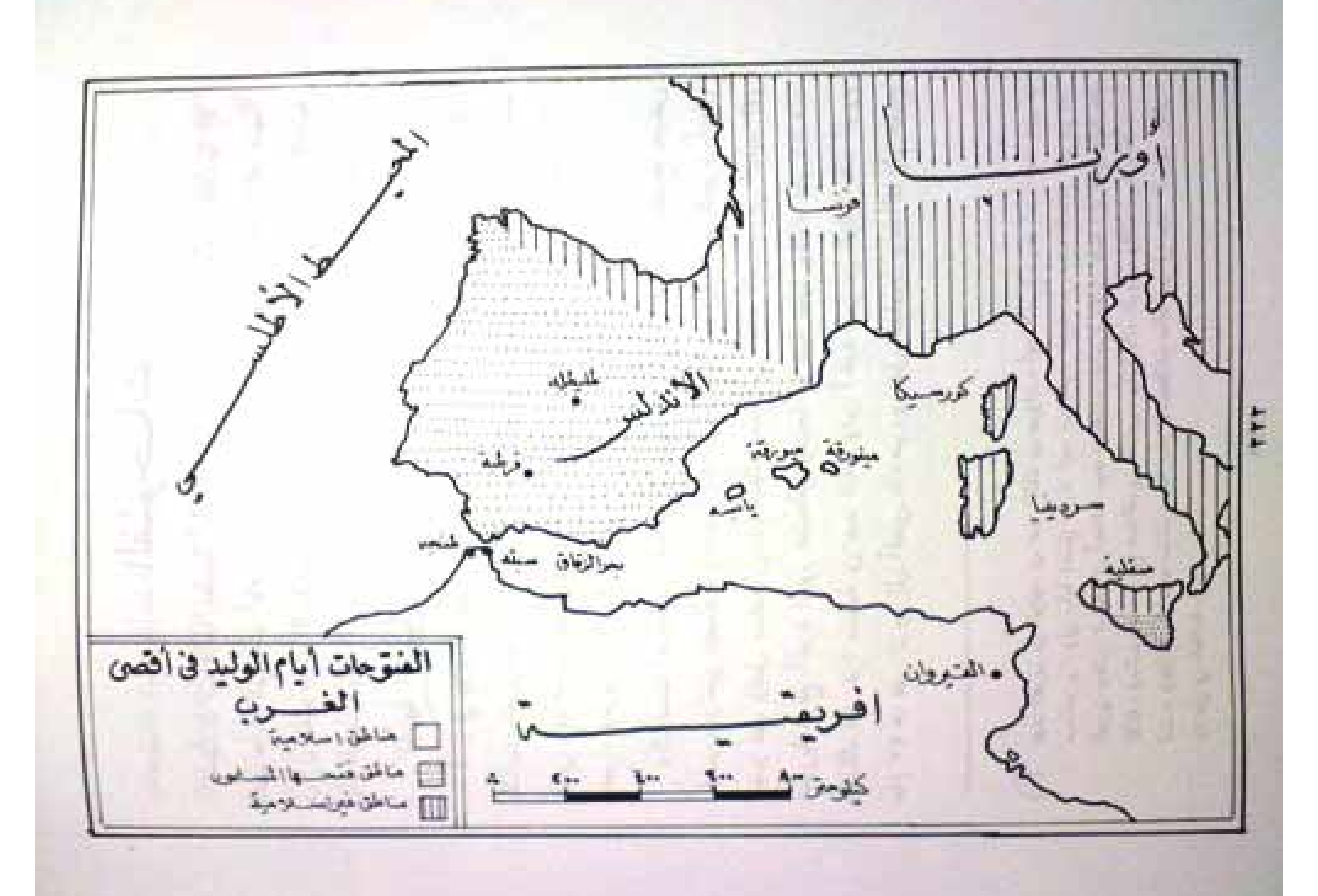
١ - الجبهة الغربية:

أ - في بلاد الروم: كان أمير الغزو في بلاد الروم مسلمة بن عبد الملك، وكانت الصوائف والشواتي لا تنفك تغزو، ويقودها أحد أبناء الوليد الذين يساعدون عمهم في شؤون القتال، ومنهم العباس، وعبد العزيز[1]، وعمر، ومروان.

وكانت الجيوش الاسلامية تتقدم في أرض الروم، وتفتح بعض الحصون وتغنم الغنائم، ويكون التقدم أحياناً واسعاً إلى عمق كبير في أرض العدو فقد وصل مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه العباس بن الوليد إلى عمورية موقع أنقرة اليوم ففتحاها وفتحا هرقلية معها وذلك عام ٨٩ هـ، وكذلك فقد غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم عام ٩٢ هـ ففر الروم إلى أقصى بلادهم، ووصل المسلمون يومذاك إلى خليج

---

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو الأصبغ، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز، ولي نيابة دمشق، أراد أبوه ان يكون خليفة من بعده فامتنع عمر بن عبد العزيز وقال: لسليمان في أعناقنا بيعة، فغضب الوليد، وطيّن عليه، ثم فتح عليه بعد ثلاثة، ومالت عنقه. حج عبد العزيز بالناس، وغزا بلاد الروم، وكان لبناً عاقلاً، ودعا لنفسه بالخلافة بعد عمه سليمان، فلما سمع باستخلاف خاله عمر بن عبد العزيز سكن، ودخل في الطاعة.


الفتوحات أيام الوليد فى أقصى المغرب
مناطق إسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير إسلامية
كيلومتر
المحيط الأطلسي
أوروبا
فرنسا
الأندلس
طليطلة
قرطبة
طنجة
سبتة
بحر الزقاق
يابسة
ميورقة
منورقة
كورسيكا
سردينيا
صقلية
القيروان
افريقية

القسطنطينية. وكثرت غزوات المسلمين إلى تلك الجهات عام ٩٣ هـ وكانت الجيوش الاسلامية تعود إثر كل غزوة إلى الثغور، وأحياناً يتمكن الروم من التسلل إلى الأرض الاسلامية والاستيلاء على بعض المناطق لكن لا يلبث المسلمون أن يسترجعوا ما فقدوا، أما الحدود العامة فيمكن أن نقول: إنها ثابتة والثغور لم تتغير وتتركز في مرتفعات طوروس.

وكان أمير الجزيرة يتولى الجهاد في بلاد الروم الشرقية وارمينيا واذربيجان وقد غزا مسلمة بن عبدالملك ومعه ابن أخيه عبدالعزيز بن الوليد بلاد الروم من ناحية اذربيجان ووصلا حتى الباب، ولكن وغالباً ما ينقض السكان العهد بعد وقت قصير من الفتح، فيعود المسلمون من جديد للتقدم في أراضيهم وغزوهم الأمر الذي يجبر الأعداء على طلب الصلح مرة أخرى، لذا نرى أن فتوحات المدينة الواحدة أو المنطقة الواحدة يحدث عدة مرات.

ب ـ في البحر: دخل المسلمون جزيرة صقلية وميورقة عام ٨٩ هـ.

حـ ـ في إفريقية: وطد موسى بن نصير الوضع في افريقية، وعمل على نشر الاسلام بين البربر، وقد نجح في مهمته، ودان البربر بالاسلام. ونظر موسى بعدها إلى البلدان التي تجاوره والتي يمكن أن يأتي منها خطر على بلاد المسلمين فوجد بلاد الأندلس أمامه على العدوة الثانية من بحر الزقاق، فالروم لهم نفوذ فيها، ويمكن أن يتحركوا من تلك الجهة، ومن جهة ثانية وجد الظلم القائم هناك ومن واجبه إزالة هذا الظلم فالاسلام حرب على الظلم، فأوكل إلى نائبه على طنجة وهو طارق بن زياد أن يدرس أوضاع بلاد الأندلس، وأن يهد الأمر للقيام بفتحها، فدخل مدينة سبتة

وكانت لا تزال بيد الوندال حكام الأندلس ثم جاز بحر الزقاق باثني عشر ألفاً من الجند من سبتة إلى شبه الجزيرة التي عرفت فيما بعد باسم (جبل طارق) وذلك عام ٩٢ هـ، ودخل قرطبة وقتل حاكم البلاد (لذريق). ثم دخل موسى بلاد الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري[1] ولحقا بطارق. ثم إن طارق بن زياد قد فتح مدينة طليطلة إلا أن موسى قد عزله وولى مكانه ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير[1].

ثم إن الوليد بن عبد الملك أرسل إلى موسى يستقدمه إلى الشام إذ أصبح شيخاً هرماً قد قارب الثانين فولى موسى مكانه ابنه عبد العزيز على الأندلس، وعاد ولما وصل إلى القيروان ثبت ابنه عبدالله[2] والياً على افريقية.

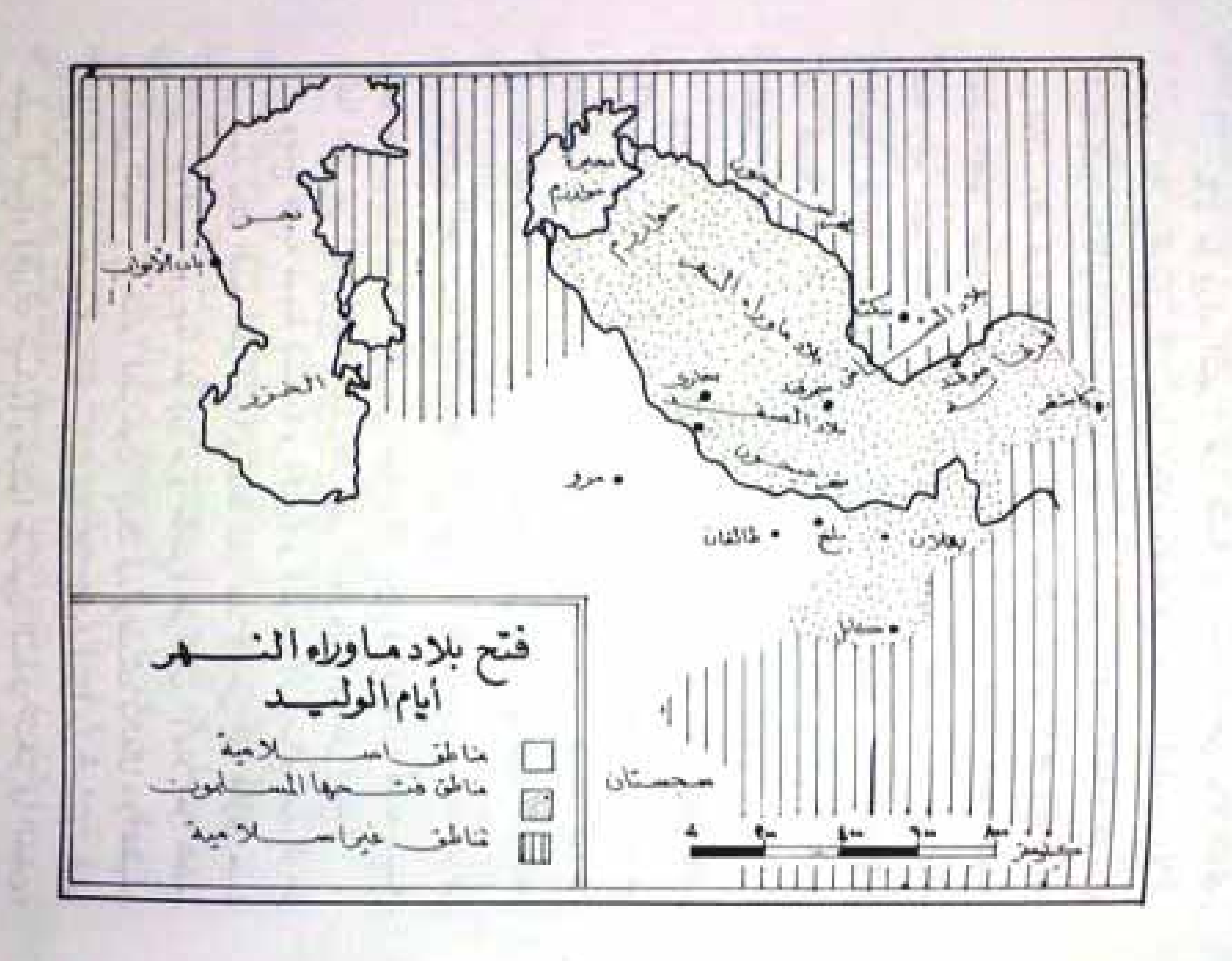
٢ - **الجبهة الشرقية**: وكان معظمها على حدود القبائل التركية المنتشرة في تلك الجهات.

---

(١) حبيب بن مرة أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، الفهري، القرشي: ولد ونشأ بمصر، ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، وولي بها عدة ولايات، ثم عاد إلى دمشق مع جماعة يحملون رأس عبدالعزيز بن موسى، ثم عاد إلى إفريقية فتولى قيادة الجيش في قتال من عصى من البربر، وقتل في إحدى المعارك.

(٢) عبد العزيز بن موسى بن نصير: ضبط أمور الأندلس بعد أبيه عندما غادرها إلى الشام، وكانت فتوحات واسعة على يديه، كان فاضلاً في أخلاقه وسيرته، قتله الجند وهو قائم يصلي صلاة الصبح في المحراب عام ٩٧ هـ أيام سليمان بن عبدالملك، وأرسل رأسه إلى دمشق.

(٣) عبدالله بن موسى بن نصير: من رجال الفتح في المغرب كان مع أبيه في افريقية، واستخلفه على القيروان عندما سار موسى إلى الأندلس، وبقي فيها حتى عام ٩٧ هـ حيث عزله سليمان بن عبدالملك فسجنه والي القيروان الجديد محمد بن يزيد مولى قريش وعذبه، ثم قتله بتهمة قتله يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وذلك عام ١٠٢ هـ وأرسل رأسه إلى يزيد بن عبدالملك بدمشق.


فتح بلاد ما وراء النهر
أيام الوليد
مناطق إسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير إسلامية
بحر الخزر
باب الأبواب
خوارزم
بلاد ما وراء النهر
بخارى
سمرقند
بلاد الصغد
مرو
الطالقان
بلخ
بغلان
سجستان

أ ـ بلاد ما وراء النهر: غزا قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد الترك، وصالح ملك نيزك على مال، وعلى إطلاق ولديه من أسارى المسلمين. إلا أن الترك كثيراً ما كانوا ينقضون العهد حتى يجبروا على توقيعه ثانية ودفع مزيد من المال. وقد غزا قتيبة بن مسلم مدينة (بيكند) عام ٨٧ هـ وحاصرها، فطلب أهلها الصلح فوافق، وترك عندهم أميراً من قبله، ومعه حامية، فلما رجع عنهم قتيبة لم يلبث الترك أن نقضوا العهد، وجدعوا أنوف الحامية، فرجع إليهم قتيبة وحاصر المدينة حتى فتحها. وفي العام التالي غزا قتيبة بلاد الترك وحمل معه (نيزك) مأسوراً وقد حصل قتيبة على انتصارات كبيرة، وجمع غنائم كثيرة.

وغزا قتيبة عام ٨٩ هـ بلاد الصغد، ونسف، وكش وسار نحو بخارى ولكنه لم يتمكن من دخولها إلا بعد عام (٩٠ هـ) وكان لفتحها أثر كبير على معنويات ملك الصغد إذ خشي على نفسه وطلب الصلح من قتيبة. كما غزا في ذلك العام بلاد الترك من ناحية اذربيجان حتى وصل إلى باب الأبواب.

ونقض العهد نيزك خان، وهو ملك الترك الأعظم فسار إليه عبد الرحمن ابن مسلم أخو قتيبة فتمكن من أسره وكان ينزل في (بغلان) فقتله قتيبة، كما تمكن من أخذ (الطالقان) وسار إلى (الفارياب) ودخل (بلخ).

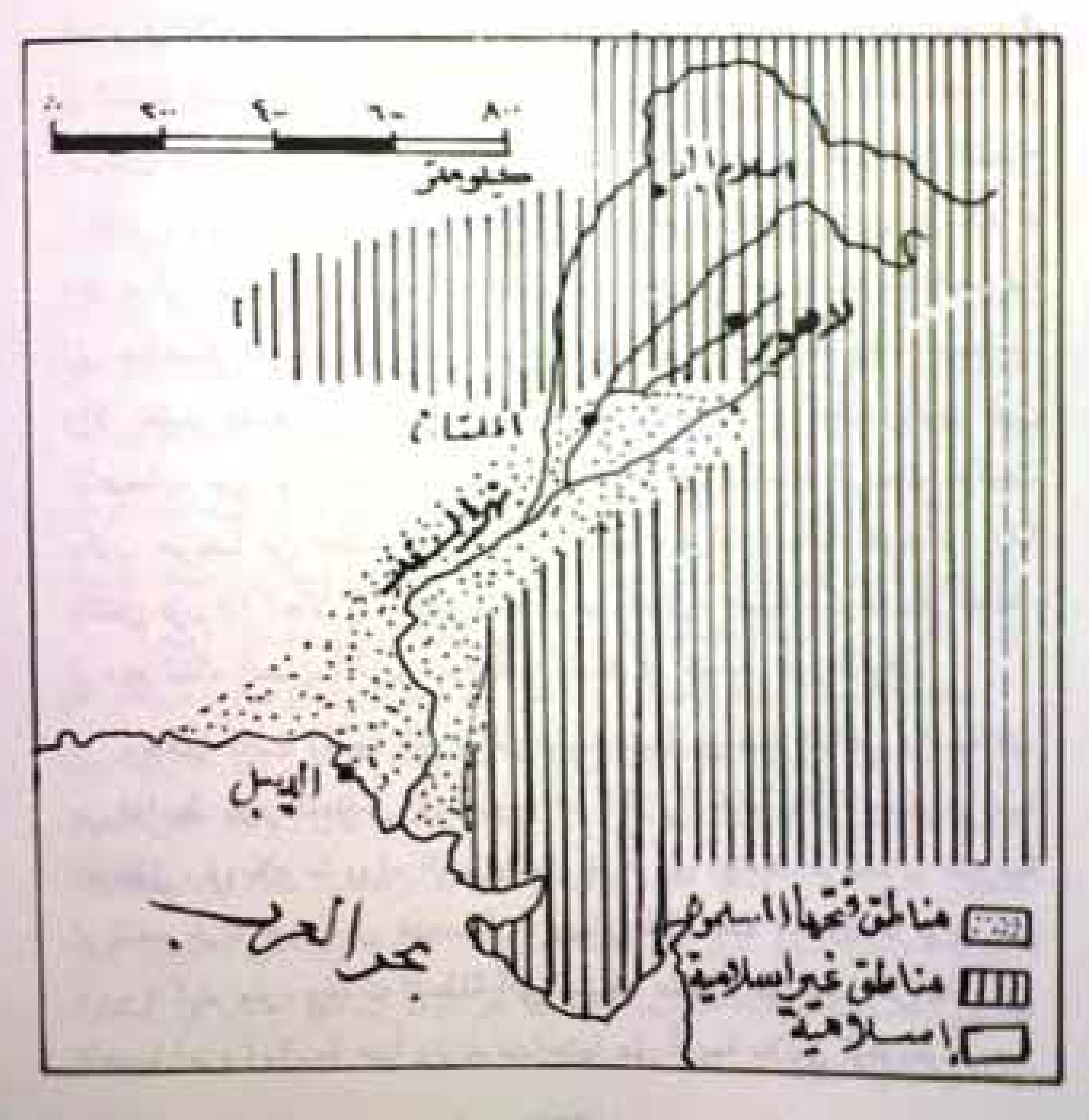
وفتح قتيبة مدينة (نسف) و (كش) و (شومان)، وصالح عبد الرحمن ابن مسلم ملك الصغد (طرخون) وبعدها سار عبد الرحمن إلى بخارى حيث كان أخوه قتيبة، ورجعا معاً إلى مرو حاضرة خراسان. وعاد أهل الصغد لنقض العهد، إذ قالوا لطرخون: إنك قد رضيت بالذل، وأعطيت الجزية، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك. قال: فولوا من أحببتم. فولوا عليهم أخاه (غوزك خان) وحبسوا طرخون الذي انتحر في السجن، ونقضوا هم العهد.

وسار قتيبة إلى سجستان يريد (رتبيل) فقابله . ثم عاد إلى الشمال لقتال بلاد خوارزم فصالحه خوارزم شاه ثم انتقل قتيبة ففتح سمرقند عام ٩٣ هـ وكان معه إخوته صالح وعبد الرحمن وعبدالله ، فولى عبدالله على سمرقند ، وعاد إلى قاعدته مرو .

وعاد قتيبة إلى الغزو في العام التالي ٩٤ هـ فغزا بلاد الشاش وفرغانة حتى بلغ خوقند ، وكاشان وفتح في ذلك العام أيضاً مدينة كابل . وأعاد الغزو في بلاد الشاش عام ٩٥ هـ ، وفتح في عام ٩٦ هـ مدينة (كاشغر) في تركستان الشرقية . وطلب منه ملك الصين أن يرسل لهم وفداً يخبره عن المسلمين ويسائله عن دينهم فاختار له قتيبة جماعة وعليهم هبيرة بن الشمرج الكلابي ، وبعد لقاءات مع الوفد دعا فيها الوفد ملك الصين إلى الاسلام أو الجزية أو القتال فقال لهم ملك الصين : ما أحسن ما دبرتم دهركم! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له : ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، فقال هبيرة له : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه . ثم دفع ملك الصين الجزية ، وتوقف قتيبة في تقدمة نحو الشرق .

وهكذا كانت الجبهة التي يقاتل عليها قتيبة بن مسلم الباهلي واسعة تمتد من اواسط بلاد القفقاس إلى جنوب بحر الخزر ثم تمتد شمالاً لتتعمق في آسيا الوسطى ، في بلاد ما وراء النهر وتصل شرقاً إلى أواسط تركستان الشرقية ثم تتجه غربا نحو كابل فسجستان ، ويبلغ طول هذه الحدود ما يزيد على ٤٠٠٠ كيلو متر . وغدت المنطقة التي يسيطر عليها والتي تتبع خراسان التي قاعدتها (مرو) واسعة جداً وتزيد مساحتها على أربعة ملايين كيلو متر مربع .

د ـ بلاد السند: تمكن محمد بن القاسم الثقفي من قتل (داهر) ملك بلاد السند وذلك عام ٩٠ هـ، وتقدم في بلاده، وقد فتح (الديبل) مكان كراتشي اليوم عام ٩٣ هـ، ثم توسع في الداخل وباتجاه الشمال ففتح مدينة (الملتان) عام ٩٤ هـ، وعدت هذه الرقعة من الأرض ضمن الدولة الاسلامية.



سليمان بن عَبْد الملك

٩٦ - ٩٩ هـ.

حَيَاتُه

ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة المنورة عام ٥٤ هـ ، ونشأ بالشام ، كان كثير التردد على البادية . وكان أبيض كبير الوجه ، مقرون الحاجب جميلاً .

تزوج عائشة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان فأنجبت له يحيى وعبيدالله ، وتزوج أم يزيد بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية فولدت له يزيداً والقاسم ، وتزوج بنت عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فولدت له عبد الواحد . ومن أولاده أيضاً : أيوب ، وداود ، والحارث ، وسعيد ، وابراهيم ، وعبد الرحمن ، وعمر ، ومحمد ، وهم من نساء أخر ومن أمهات أولاد .

كان والياً على الرملة عندما توفي أخوه الوليد ، وأخذ البيعة من بني أمية،وعلية القوم ثم من الناس كلهم ، وهمّ بالاقامة ببيت المقدس إلا أنه انتقل إلى دمشق بعد ذلك . وعزل ولاة الحجاج ، وكان يستعين بابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وكانت الصلاة تؤخر أيام الخلفاء من بني أمية الذين سبقوه ، فأمر بإقامتها بوقتها ، واستمر في بناء مسجد بني أمية بدمشق بعد أخيه مدة خلافته ، وكان ينهى عن الغناء ، وحج عام ٩٧ هـ أيام خلافته . وغزا القسطنطينية براً بأهل الشام والجزيرة والموصل وكان عدد الجيش

مائة وعشرين ألفاً، وبحراً بأهل مصر وافريقية وكان عليهم عمرو بن هبيرة[1]، وعلى المقاتلين جميعاً أخوه مسلمة بن عبد الملك وابنه داود بن سليمان.

وانتقل إلى مرج[2] دابق للرباط وأقسم ألا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يتوفاه الموت. فوافته منيته وهو هناك ينتظر الفتح، وقد أصيب بذات الجنب، وقيل مات محموماً، وذلك في ٢ صفر عام ٩٩ هـ، وقد صلى عليه عمر بن عبد العزيز.

فكر في تولية ابنه أيوب من بعده ولكنه توفي قبل أبيه وكان عبد الملك ابن مروان قد عهد لولديه الوليد وسليمان من بعده وأخذ عليهما عهداً بمبايعة ابن عاتكة (يزيد) ومروان ابنه الآخر من بعدهما، فمات مروان قبل أخيه سليمان، وتخطى يزيداً، وأراد البيعة لأحد بنيه وهو أيوب ولكنه لم يلبث أن مات أيضاً. وخطر على باله توليه ابنه داود إلا أن رجاء بن حيوة[3] قد نصحه في توليه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ففعل قال رجاء: «فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل

---

(١) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين: أمير العراقين، والد يزيد، غزا القسطنطينية من جهة البحر، تولى أمر العراق عام ١٠٣ هـ، وسجنه خلفه على العراق خالد بن عبدالله القسري إلا أن غلمانه قد أخرجوه بعد حفر نفق إلى داخل السجن فاستجار بمسلمة بن عبدالملك فأجاره، وتوفي عام ١٠٧ هـ.

(٢) مرج دابق أرض من ولاية قنسرين في بلاد الشام قبل ممر بيلان الفج الذي يدخل منه بين بلاد الشام وبلاد الأناضول، وكان بنو أمية يقيمون فيه للرباط.

(٣) رجاء بن حيوة بن جرول، أبو نصر، الكندي، ولد في بيسان من أرض فلسطين عام ٣٦ هـ في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان مستشاراً لعبدالملك بن مروان وولديه الوليد وسليمان ثم لعمر بن عبد العزيز فكان ناصحاً لهم، وهو من أعلام التابعين وأهل العلم في ذلك العصر توفي عام ١١٢ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.

الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وانظر فيه. ولم أعزم عليه، قال: فمكث يوماً أو يومين، ثم خرّقه، فدعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت: هو غائب عنك في القسطنطينية وأنت لا تدري أحي هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيّراً فاضلاً مسلماً، فقال: هو والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك اجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به، قلت: رأيك. قال: فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي[1] صاحب شرطته فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل كعب إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه، ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا، فقال لهم سليمان في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة - عهدي، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب، فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة[2].

---

(١) كعب بن حامد العبسي: قائد، من غزاة البحر، ولاّه عبدالملك شرطته بعد روح بن زنباع، وأقره الوليد وسليمان توفي حوالي عام ١٠٠ هـ.

(٢) تاريخ الطبري.

الولايات

لم يكن في الولايات ما يثير الاهتمام إلا ما كان في الجبهات من قتل لبعض الولاة السابقين الذين تمت على أيديهم الفتوح، أو الغزو الذي تم وإن كان على نطاق ضيق بالنسبة إلى ما حدث أيام الوليد بن عبد الملك. كما أن الخوارج قد استمر هدوؤهم كما كان أيام الوليد فلم يحركوا ساكناً في كلا العهدين.

١ ـ **الشام**: لم يحدث فيها ما يستحق الذكر.

٢ ـ **الحجاز**:

أ ـ **المدينة**: عزل سليمان عن المدينة عثمان بن حيان، وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وبقي أيام سليمان كلها والياً عليها.

ب ـ **مكة المكرمة**: عزل سليمان خالد بن عبدالله القسري، وولى عليها طلحة بن داود الحضرمي ثم استبدله بعبد العزيز بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

٣ ـ **العراق**: عزل سليمان عن العراق يزيد بن أبي مسلم وأعطى ولاية المصرين فيها إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد بعث يزيد أخاه زياداً إلى عُمان. وبعد تسعة أشهر من ولاية سليمان ضمت إلى يزيد بن المهلب خراسان فانتقل إليها واستخلف على واسط الجراح بن عبدالله الحكمي، واستعمل على البصرة عبدالله بن هلال الكلابي، وجعل أخاه مروان بن المهلب على أموره وأمواله بالبصرة، واستخلف على الكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهراً ثم عزله وولاها بشير بن حسان النهدي.

٤ ـ **خراسان**: كان أمير خراسان قتيبة بن مسلم الذي فتح الفتوح فلما

هلك الوليد وتولى سليمان خاف قتيبة على نفسه لأنه كان قد وافق الوليد على خلع أخيه سليمان وتولية ابنه عبدالعزيز بن الوليد. فلما بلغه نبأ تولية سليمان أرسل إليه كتاباً يعزيه بالوليد، ويهنئه بالخلافة التي آلت إليه، ويذكره بالفتوحات التي تمت على يديه، ويذكر آل المهلب بسوء ويذمهم، ويطلب منه أن يبقيه أميراً وله السمع والطاعة فإن لم يفعل فإنه سيخلعه.

ويبدو أن قتيبة قد خاف على نفسه، ففكر في الأمر فغرته نفسه بما كان تحت يده من جند وبما يسيطر عليه من أرض. فلما وصلت كتب قتيبة إلى سليمان رغب في رأب الصدع، ولأم الجرح إن وجد، وعدم حدوث فتنة فأرسل إليه بكتاب يستخلفه فيه على خراسان ولكن الرسول لم يصل حتى كان قتيبة قد سبق إلى الأمر وأعلن خلع الخليفة وجمع الجند وذكرهم بما قام به من جهد في سبيل الفتح ونشر الاسلام، وما بذلوه هم وأعلن خلع الخليفة ولما لم يجبه الجند تكلم معهم كلاماً نال به من قبائلهم وشتمهم فقاموا عليه وقتله وكيع بن أبي سود، وأرسل رأسه إلى سليمان وتولى وكيع أمر خراسان تسعة أشهر ثم أعطيت خراسان إلى يزيد بن المهلب وضمت إليه فأرسل أمامه ابنه مخلد بن يزيد فنحى وكيعا وعذبه.

وأما بلاد السند فقد كان عليها محمد بن القاسم الثقفي فعندما تولى الخلافة سليمان بن عبدالملك عزله على أنه من أمراء الحجاج وخاصة أنه كان من أقربائه، وعندما حطت به الأيام ادعت ابنة الملك داهر انه راودها عن نفسها أو أرادها لنفسه ولم تمكنه من نفسها فأخذها بالقوة، لذا فقد سجن في واسط وعذب، وفي السجن كتب شعراً لطيفاً يعتب به على بني مروان فأطلق سراحه، ثم قتل من قبل معاوية بن المهلب بن أبي صفرة، ويقال: إنه مات تحت العذاب، وكانت وفاته عام ٩٨ هـ. إلا أن (صيتا) بنت داهر قد اعترفت بعد ذلك بأنها كانت كاذبة في ادعائها. وتولى أمر

بلاد السند بعد محمد بن القاسم يزيد بن أبي كبشة .

٦ ـ افريقية : عاد موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد إلى الشام وقد خلف موسى ابنه عبدالله والياً على القيروان منذ عام ٩٣ هـ حينما خرج إلى الأندلس ، وأثناء عودته من الأندلس ترك موسى ابنه عبدالعزيز عليها فنظم الحكومة ، وألف مجلس شورى من العلماء لاستنباط الأحكام الشرعية ، ورفع المظالم عن السكان ، وخفف الضرائب ، وأمّن الأهلين ، وشجع المسلمين من العرب والبربر على الاختلاط بالسكان والزواج معهم ، وتزوج أرملة (لذريق) ، وحاول ادخال النصارى بالاسلام فبدأ يتقرب منهم بغية تعريفهم على الدين الاسلامي .

ولما أدبرت أيام موسى انحطت مع ابنه عبدالعزيز أيضاً فطمع به أعداؤه ، ووشوا به إلى سليمان ، ثم لم يلبثوا أن ثاروا عليه وقتلوه وأرسل رأسه إلى سليمان ، وكان عنده أبوه موسى فقال : هنيئاً له بالشهادة وقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً . وذلك عام ٩٧ هـ . وتولى أمر الأندلس بعد عبدالعزيز أمير الجند أبو أيوب بن حبيب الفهري وهو ابن أخت موسى بن نصير ، وحمل رأس عبدالعزيز حبيب بن أبي عبيدة (مرة) بن عقبة بن نافع الفهري ، إلا أن ولايته لم تطل إذ خلفه الحر بن عبدالرحمن الثقفي في العام نفسه .

أما في القيروان التي هي قاعدة افريقية والأندلس فقد تولى أمرها نيابة عن موسى بن نصير ابنه عبدالله سنة ٩٣ كما ذكرنا ، ولما عاد موسى إلى الشام عام ٩٦ هـ بقي عبدالله أميراً على القيروان حتى عزله سليمان عام ٩٧ هـ ، وولى مكانه محمد ابن يزيد مولى قريش فسجن عبدالله بن موسى وعذبه وقتله . وكان محمد بن يزيد قيسياً متعصباً لقومه .

كانت الفتوحات ضعيفة أيام سليان بن عبد الملك ، ولعل ذلك يعود إلى قصر مدة عهده ، وإلى استبدال الولاة الذين هم على الثغور ، فلا بدّ للأمير من مدة حتى يتعرف على أوضاع المنطقة لذا فإن الأمراء الذين بقوا في مناطقهم قد استمر فيها الغزو والجهاد والفتح مثل مسلمة بن عبد الملك الذي استمر على الجزيرة وأرمينية ، أو الأمراء الذين عرفوا المنطقة جيداً لوجودهم فيها سابقاً مثل يزيد بن المهلب الذي عاد إلى خراسان وكان قد نشأ فيها أيام أبيه المهلب لذا فقد كانت في تلك الجبهة فتوحات ، وكذا في المدة التي كان عبد العزيز بن موسى في الأندلس ، أما في بلاد السند فقد توقف الجهاد بغياب محمد بن القاسم وكذا في الأندلس بعد مقتل عبد العزيز .

١ ـ الجبهة الغربية :

أ ـ في بلاد الروم : استمر الغزو في بلاد الروم فقد غزاها مسلمة بن عبد الملك عام ٩٦ هـ وداود بن سليان بن عبد الملك عام ٩٧ هـ ، وعاد إليها مسلمة في العام نفسه ، وفي عام ٩٨ هـ وجه سليان أخاه مسلمة إلى القسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشتا بها وصاف ، وقد استعد لذلك فأخذ معه من المواد الغذائية الكثير وتركها محفوظة على حين كان الجند يأكلون من الغنائم .

ثم جاء إلى المسلمين (إليون) من ارمينية ووعده الروم بأن يملكوه أمرهم إن صرف عنهم المسلمين ، فأظهر النصح للمسلمين ، فقال لمسلمة : إن الروم مقتنعين بأن حربكم لهم بغير جد ما دام الطعام عندكم متوفراً ، فإن أحرقته وحلت عليهم حلة صادقة قنعوا بعدم امكانية بقائهم محاصرين . ففعل مسلمة وأحرق المواد الغذائية فقوي العدو وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون وسليان بن عبد الملك مقيم بمرج دابق ينتظر الفتح ، وجاء الشتاء ولم يتمكن من إمدادهم ، ومات ، وهم للروم محاصرين .

وفتح داود بن سليمان عام ٩٨ حصن المرأة بالقرب من ملاطية.

٢ ـ الجبهة الشرقية: غزا يزيد بن المهلب عام ٩٨ جرجان وطبرستان، وصالح أهلها إلا أن أهل جرجان لم يلبثوا أن نقضوا العهد وغدروا بجند يزيد فغزاهم ثانية وفتح جرجان.

عمر بن عبد العزيز

٩٩ - ١٠١هـ

حَيَاته

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة عام ٦١ هـ ، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وانتقل مع بني أمية إلى الشام عندما رحلوا منها بعد وقعة الحرة ووفاة يزيد بن معاوية ، وكان مع أبيه في مصر عندما تولى إمرتها إلا أنه لم يلبث أن طلب من أبيه ترحيله إلى المدينة ليقعد إلى فقهائها ، فوافق والده وسيّره إلى المدينة وجعله عند صالح بن كيسان[1] ليؤدبه ، وعندما توفي والده عبد العزيز عام ٨٥ هـ بعث إليه عبد الملك ، وضمّه إلى أولاده ، وقدّمه على كثير منهم ، وزوّجه ابنته فاطمة وولاه إمرة خناصرة[2] ، وبقي فيها حتى مات عبد الملك ، ولما بويع الوليد بالخلافة أعطاه إمرة المدينة وبقي عليها حتى عام ٩٣ هـ ، وقد قرب إليه العلماء ، وجعل

---

(١) صالح بن كيسان ، الإمام الحافظ الثقة ، أبو محمد ، يقال : أبو الحارث المدني ، المؤدب ، يقال : مولى بني غفار ، ويقال : مولى بني عامر ، ويقال : مولى آل معيقيب الدوسي كان جامعاً من الحديث والفقه والمروءة ، ولد حوالي عام ٥٤ هـ ، وتوفي بعد ١٤٠ هـ ، وعاش نيفاً وثمانين عاماً ولم يبلغ التسعين.

(٢) خناصرة : وتعرف الآن باسم خناصر ، وهي من أعمال حلب إلى الجنوب منها ، وعمّرها الشركس حديثاً بعد أن كانت أطلالاً.

منهم رجال مشورته ، وانتقل بعد ذلك إلى دمشق فعاش فيها ، فلما كانت خلافة سليمان بن عبد الملك استوزره ، ثم عهد إليه بالخلافة من بعده .

كان نحيف الجسم ، غائر العينين ، أبيض رقيق الوجه ، بجبهته أثر شجة دابة شجته عندما كان صغيراً ، لذلك يقال له أشج بني أمية . ويكنى بأبي حفص نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كان في شبابه بالمدينة المنورة كثير التطيب ، فإذا ادهن بالطيب عصفت في طريقه رائحة طيبة فتشم من بُعد ، فإذا جاوز الطريق بقيت رائحته مستقرة في المكان الذي يمر به ، وقد يتطيب بالعنبر فيتبل يده به . ويتنظر الناس ثيابه بباب الغسال فإذا أرسلها تسابق الناس إليه يعطونه دراهم كثيرة حتى يغسل ثيابهم في أثر ثيابه من كثرة ما حملت وما تترك في الماء من عنبر وطيب .

وإذا مشى عمر راح متبختراً متكبراً يتصنع له مشية ، هي له وحده ، يخترعها بين الكبر والتبختر ، كأنها مشية الجارية إذا كمبت . وقد أعجبت مشيته تلك جواري المدينة وكواعبها فأخذن يقلدن المشية العمرية ، ويسرن على خطئها وموازينها حتى يرشقن إذا سرن وتحمل رشاقتهن في العيون[1] .

وارتدى أغلى الأزر ، ولبس أثمن الأردية حتى كان يشتري الإزار الواحد بمائة دينار ، ويشتري مطرف الخز بثمانمائة درهم ، ويضع يده عليه بجسه فيستخشنه ولا يعجبه ، ويلبسه مكرهاً ، وصار الثوب لا يكون بالياً في نظره إذا بلي أو مرّ عليه زمن طويل ، ولكنه صار بالياً عنده متى لبسه فوقعت عليه لأول لبسة أنظار الناس . وقد غالى عمر في ذلك ، وتمادى حتى أوشك ألا يعجبه ثوب ، وكاد يجعل ماله كله في زينة الأثواب ثم لا يقنع ،

---

(١) ابن عبد الحكم ص ٢١

حتى قال ذات مرة: لقد خفت أن يعجز رزقي عن كسوتي! وما لبست ثوباً قط فرآه الناس علي إلا خُيّل إلي أنه قد بلي[1].

وبدت على عمر مظاهر التكبر والترف الأموي الصارخ، فإذا سار لم يسر إلا في جماعة من غلمانه وعبدانه[2].

وظل عمر هكذا يزيد مظاهراً علواً وتمادياً حتى رماه بالكبر كثير من الناس. إلا أن هذا قد تبدّل كلياً منذ تولى الخلافة بل منذ أواخر امرته على المدينة وعندما انتقل إلى دمشق بعدها فبدأ ينصح الخلفاء ويطلب منهم محاسبة الولاة الظالمين، ويطالبهم بالعدل واعتقد أن ما عند زوجه فاطمة بنت عبد الملك من حلي وجواهر إنما جاء عن طريق بيت المال لذا فقد خيّرها بين ردّه أو اللحاق بأهلها ففضلت الحياة معه وردت كل ما كان عندها.

وضيق على نفسه وعلى زوجه وأولاده في الطعام والملبس فسألته زوجه أن يجري عليها خاصة، فقال لها: ليس في مالي سعة، قالت: فلم كنت أنت تأخذ منهم؟ قال: كانت المهنأة لي والأثم والتبعة عليهم، أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون اثمة علي.

وكان له من الاخوة: أبو بكر، ومحمد، وعاصم، وهم أشقاء له: والأصبغ، وسهل، وسهيل، والريان، وهم من أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص، وأم ولد رومية اسمها مارية، وله أختان هما: أم الحكم، وأم البنين التي تزوجها الوليد بن عبد الملك.

وكان له عدد من الأولاد منهم: عبد العزيز، وعبد الله، وعبد الملك.

وقضى على نفسه ألا يأخذ من بيت المال شيئاً قط، وإنما ابقى لنفقة

---

(1) ابن الجوزي. (2) المصدر نفسه.

بيته وأهله عيباً بالسويداء كان استنبط ماءها في أرض خربة براح ليس فيها لأحد ضربة معول، فعملها من صلب عطائه فكانت تجيئه غلتها مائتا دينار وجراب فيه تمر صيحاني وتمر عجوة، فاكتفى بها ولم يجر على نفسه من الفيء درهماً. فلما قيل له لو أخذت من بيت المال ما كان يأخذ عمر بن الخطاب، قال: ان ابن الخطاب لم يكن له مال، وأنا مالي يغنيني. ثم جعل نفقته من ماله في اليوم درهمين. وقالوا إنه لم يبق في يده غير (بدا) و (جزين) من أرض بعلبك.

وأباح الهجرة لمن يشاء إلى حيث يشاء، وخاصة الأمراء من بني مروان الذين طلبوا منه ذلك عندما شعروا بقلة أعطياتهم أو بوقفها.

وأصلح كثيراً من الأرض الزراعية، وحفر الآبار، وعمر الطرق، وأعدّ الخانات لأبناء السبيل. وأقام المساجد ولكنه لم يعتن بزخرفتها وهندستها. أما الأرض المغتصبة والتي لا سجل لها فقد أعلن عمر عن عودتها إلى بيت مال المسلمين، وقد تمكن باصلاحاته التي عمل فيها طول مدة خلافته أن يقضي على الفقر والحاجة، ولم يعد لهما وجود، ولم يبق من يأخذ من أموال الزكاة.

وقد رفع رواتب عماله حتى بلغت ثلاثمائة دينار، ولما سئل عن ذلك أجاب: أردت أن أغنيهم عن الخيانة.

وتوفي عمر في دير سمعان من أعمال دمشق وبالقرب منها يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٠١ هـ، فكانت خلافته بذلك سنتين وخمسة أشهر.

الولايات

كانت الولايات كما كانت هادئة لم يحدث فيها شيء كبير، وكل ما حدث إنما هو عزل الولاة الذين يرى أنهم ظلموا.

١ - الشام: وقف عمر بن عبد العزيز في وجه الأمراء وأعطياتهم التي كانوا يأخذونها من الخلفاء وطلب منهم أن يؤدوا ما في أيديهم من حقوق. فوقفوا معاً تجاهه وحرضوا عليه أقرباءه وأصحابه ولكن لم يُجد ذلك شيئاً. ولم يبق بجانبه سوى ابن عمه مسلمة بن عبد الملك.

٢ - الحجاز:

أ - المدينة المنورة: كان عامل عمر بن عبد العزيز على المدينة أبو بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وقد كان منذ أيام سليمان، وأبقاه عمر عليها.

ب - مكة المكرمة: وقد ولي عليها عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد.

٣ - العراق: عزل عمر عن العراق وخراسان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وصالح بن عبد الرحمن وولى على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. وعلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري. وعلى خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي. وقبض على يزيد بن المهلب وحمل إلى دمشق فسجنه عمر حتى يؤدي ما عليه من أموال أخذها وليس له بها حق. وكان يريد أن ينفيه إلى جزر دهلك إلا أنه نصح بإبقائه في السجن فأبقاه، ثم هرب من السجن لما شعر بمرض عمر بن عبد العزيز لأنه كان يخشى يزيد بن عبد الملك حيث كانت عند يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أي بنت أخي الحجاج، ويزيد بن المهلب قد عذب آل الحجاج.

وعندما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك غلب ابن المهلب على البصرة فسار إليه مسلمة بن عبد الملك فقتله عام ١٠٢ هـ.

ونفى عمر آل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى اليمن.

أما على الجزيرة فقد ولى عمر بن هبيرة الفزاري.

٤ ـ خراسان: كان على خراسان مخلد بن يزيد بن المهلب من قبل أبيه فعزل بعزل أبيه فجاء إلى دمشق وقابل عمر، ولكن مخلد لم يلبث أن توفي في دمشق، وتولى أمر خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي فلبث سنة وخمسة أشهر ثم عزله عمر لأنه يبدو أن الجزية لم ترجع إلى من أسلم من أهل جرجان. وطلب عمر من الجراح أن يأتيه إلى دمشق وأن يترك على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبدالله القشيري ثم عقبة بن زرعة الطائي وبقيا فيها حتى مات عمر بن عبد العزيز.

٥ ـ مصر: عزل عن مصر عبد الملك بن رفاعة وولى أيوب بن شرحبيل[1] كما عزل أسامة بن زيد التنوخي عن صدقات مصر.

٦ ـ افريقية: عزل محمد بن يزيد بن مسلم عن صدقات افريقية وكان اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر[2] قد ولي أمر افريقية، وقد سرّ عندما تولى أمر القضاء فيها عبدالله بن المغيرة، وقد أرسل عمر مع اسماعيل عشرة من الفقهاء للدعوة إلى الاسلام، وقد استجاب البربر لذلك. ثم ولي أمر إفريقية يزيد بن ابي مسلم.

وولى السمح بن مالك الخولاني[3] أمر الأندلس لما عرف فيه من ديانة

---

(١) أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الأصبحي، من بني الصباح، ولي مصر لعمر بن عبدالعزيز فحسنت أحوالها في أيامه وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٠١ هـ، واستمرت إمرته سنتان ونصف.

(٢) اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر الأنصاري، الإمام الكبير، أبو عبد الحميد، الدمشقي، مولى بني مخزوم، مفقه أولاد عبدالملك. بقي سنتين في المغرب والياً عليها. وقد أسلم عامة البربر في أيامه. توفي عام ١٣٢ هـ قبل دخول بني العباس دمشق بثلاثة أشهر.

(٣) السمح بن مالك الخولاني: تولى أمر الأندلس لعمر بن عبدالعزيز، اتخذ قرطبة قاعدة له، بنى فيها قنطرتها، واستشهد غازياً في أرض فرنسا عام ١٠٢ هـ.

وتقي وذلك عام ١٠١ هـ ، وقد عزل الحر بن عبد الرحمن الثقفي عن إمارة الأندلس وكان قد تولاها عام ٩٧ هـ ، كما عزل أخاه الحارث بن عبد الرحمن الثقفي عن صدقات الأندلس .

الخوارج

لم يحرك الخوارج ساكناً أيام الوليد وسليمان ابني عبد الملك فلما كان عهد عمر بن عبد العزيز خرجوا في أرض العراق فكتب إلى عامله عليها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أن ادعهم إلى الكتاب والسنة. فلما أعذر في دعائهم بعث عبد الحميد إليهم جيشاً فهزم أمام الخوارج فلما بلغ ذلك عمر أرسل إليهم جيشاً بإمرة مسلمة بن عبد الملك من أهل الشام جهّزه من الرقة، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك فخلّ بينه وبينهم، فلقيهم مسلمة في أهل الشام فانتصر عليهم.

وكان الذي قاد الخوارج أيام عمر بن عبد العزيز رجل عرف باسم (شوذب) وهو بسطام من بني يشكر، وقد خرج في ثمانين فارساً اكثرهم من ربيعة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلاً صليباً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً، وأوصه بما أمرتك به. فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبدالله البجلي في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر. وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يحركه ولا يهيجه، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيئاً، وكتب إلى عمر: قد انصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك... . وعندما جاءا دخلا على عمر، فقالا

له: أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك؟ قال: صيّره غيري؛ قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك! فقال: انظراني ثلاثا، فخرجا من عنده وقد خاف بنو مروان أن يخلع يزيد، فدسوا له سماً فلم يلبث ان توفي.

الفتوحات

منذ أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أرسل إلى الجند الذين يحاصرون القسطنطينية بإمرة مسلمة بن عبد الملك المعونة والطعام والجند، ثم أمر مسلمة بالعودة مع المسلمين وفك الحصار خوفاً على الجند الذين معه من الهلاك.

وأغار الترك على أذربيجان فقتلوا جماعة من المسلمين ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل الترك، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وجاء على الخليفة وهو بخناصرة بخمسين أسيراً منهم.

وغزا الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي بأهل حمص بلاد الروم على رأس صائفة.

وقد غزا السمح بن مالك الخولاني فرنسا، فاخترق جبال البرانس، وزحف على مقاطعتي سبتمانيا وبروفانس، ثم أغار على اكيتانيا وحاصر طلوشة (طولوز)، فخرج له دوق اكيتانيا بجيش كبير، ونشبت معركة عظيمة بين الطرفين استشهد فيها السمح بن مالك الخولاني عام ١٠٢ هـ وتولى إمرة جند المسلمين عبد الرحمن الغافقي فانسحب بفلول الجيش إلى ناربونه (قاعدة سبتمانيا).

ولم تطل مدة خلافته إذ توفي ولم يتجاوز الأربعين من العمر ولربما لو طالت لكثرت الفتوحات ولانتشر الاسلام على نطاق واسع إذ لم تكن هناك أحداث داخلية تشغل الناس عن الجهاد، ولم يكن هناك معوز يجعلهم بحاجة إلى التفكير في تأمين حاجات أهليهم، والعمل لسد الضرورات من الحياة.

بدء الدعوة العباسية

إن كثيراً من الناس يرغبون في السلطة ويعملون لها، وقد استغل عدد من هذه الشخصيات محبة المسلمين لآل بيت رسول الله ﷺ فدعوا إلى شخص منهم لذا كانت هناك دعوات كثيرة كل منها تدعو لرجل من آل البيت، ولم يكن لهم من هدف سوى ذلك، بل لم يكن من فكر خاص لهؤلاء يدعون له كما يزعم بعض المؤرخين وخاصة في العصر الحديث إذ أرادوا تطبيق ما حدث من أفكار فيما بعد وما دخل على الفكر الاسلامي من شوائب على ما سبق من التاريخ، كما لم يكن لديهم منهج خاص اجتماعي أو غيره يدعون له، وإنما كانوا يريدون أخذ السلطة من جماعة وتسليمها لجماعة أخرى تقوم بالاسلوب نفسه على طريق الوراثة وذلك ليتسنى لهم الحكم وكسب المنافع وتحقيق المصالح. ولقد ادعى المختار الثقفي كما وجدنا العمل لمحمد بن الحنفية[1] ولم يكن داعية له وإنما كان يعمل لمصلحته. ونشأت على ذلك فرقة عرفت بالكيسانية. وبعد وفاة محمد بن الحنفية في الطائف عام ٨١ هـ، ادعى بعضهم أن الإمامة قد انتقلت منه إلى ابنه عبدالله المعروف باسم (أبو هاشم) وكان أبو هاشم ينتقد الأمويين حتى شاع خبره ووصل أمره إلى سليمان بن عبدالملك، وقد زعموا أن سليمان قد أرسل له من سقاه سماً، وعندما أحس بدنو أجله انتقل إلى ابن عمه محمد بن علي بن عبدالله بن

---

(١) محمد بن علي بن أبي طالب، ابن الحنفية، أبو القاسم: أحد الأبطال الأشداء في صدر الاسلام، أمه خولة بنت جعفر الحنفية من سبايا اليمامة، وينسب إليها. كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، كان المختار الثقفي يزعم أنه المهدي ويدعو إلى إمامته، وتزعم فرقة الكيسانية أنه لم يمت وإنما موجود بجبل رضوى شمال غربي المدينة المنورة عنده عسل وماء ولد في المدينة وتوفي عام ٨١ هـ بالطائف.

وكان لمحمد عدد من الأولاد هم: جعفر، وعلي، وعون، وابراهيم، والقاسم وقد أعقبوا جميعاً، وله أيضاً عبدالله، والحسن ولم يعقبا.

عباس بن عبدالمطلب[1] وكان يقيم بالحميمة قرب معان من أرض الشراة من أعمال الأردن فطلب منه أن يعمل لتقويض الحكم الأموي والدعوة إلى آل البيت وقد وجدت هذه الفكرة عند محمد أذناً صاغية فبدأ يعمل لها منذ عام ١٠٠ هـ ، فوجه ميسرة إلى العراق ، وسيّر أبا محمد الصادق إلى خراسان فاختار له اثني عشر نقيباً ، وكان يأخذ من أتباعه خمس الأموال يدفعونها إلى النقباء الذين ينقلونها بدورهم إلى الامام الذي ينفقها في نشر الدعوة وما يرى فيه مصلحة .

---

(١) محمد بن علي بن عبدالله بن عباس : ولد عام ٦٢ هـ ، وكان طويلاً ، وسيماً ، عاقلاً ، حليماً مات بالشراة عام ١٢٠ هـ .

يزيد بن عَبد الملك

١٠١ - ١٠٥ هـ

حَيَاته

ولد يزيد بن عبد الملك عام ٧١ هـ في دمشق أيام خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، واستئثار والده عبد الملك بن مروان بالشام ومصر . لذا فقد نشأ في الرفاهية والدلال ، ولم يشعر بقيمة السلطان ، إذ أتاه الحكم ولم يتعب بالأمر ، ولم يحس بالمعاناة التي قاساها والده وجده من قبل ، ومن هنا فقد شغل عن الحكم وأحب جاريتين له هما : حبابة ،وسلامة حتى يروى أنه مات كمداً على أولاهما التي سبقته بأسبوع .

وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وقد ماتت بدمشق ، ودفنت في المحلة المعروفة الآن باسم قبر عاتكة نسبة لها .

كان أبيض جسيماً ، مدور الوجه ، وقد كني بأبي خالد .

تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان بن عبدالملك ، وكان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يتولى الأمر ، وأراد أن يسير بالناس سيرة عمر بن عبدالعزيز إلا أن قرناء السوء لم يتركوه .

تولى الخلافة وعمره تسع وعشرون سنة ، فلم يكن لديه من الخبرة الكافية ، والناس تحترم عادة الكبار ، وتقدر أصحاب الخبرات ، وعندما آل

الأمر في أواخر الدولة الأموية إلى الشباب، والذين لم يشعروا بقيمة السلطان، ولم يبذلوا شيئاً في سبيله، وإنما عاشوا على الترف والرفاهية كل هذا قد أدى إلى توقف الفتح الاسلامي الذي تم فيما قبل، وبالتالي أدى هذا إلى ضعف الدولة.

وتوفي في ٢٥ شعبان عام ١٠٥ هـ، وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وشهر كاملاً، وعهد بالخلافة من بعده لأخيه هشام بن عبدالملك، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد.

وكانت وفاته في اربد من اعمال الأردن، ونقل إلى دمشق فدفن فيها، وله من الأولاد الذكور عشرة وهم: الوليد والغمر، ويحيى، وسليمان، وداود وقد مات صغيراً، وعبدالجبار، وعبدالله وأمه سعدة بنت عبدالله بن عمرو ابن عثمان بن عفان، وأبو سفيان، وهاشم، والعوام ومات صغيراً.

وله من البنات عاتكة وتزوجها محمد بن الوليد بن عبدالملك.

أما الغمر، وعبدالجبار فقد قتلا يوم أبي فطرس بفلسطين عام ١٣٢ هـ، أثناء هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وصلب عبدالله بن عبد الجبار بالحيرة.

الولايات

كانت الولايات الاسلامية قد خضعت في عهد يزيد إلى كثير من التغيير في أمرائها واستبدال الذين ولاّهم عمر بن عبد العزيز، كما تحرك الخوارج في العراق بموت عمر.

١ - الشام: كانت أكثر إماراتها بيد أبناء البيت المرواني فلم يحدث فيها شيء من التغيير، ولم تقم فيها أية حركات.

٢ - الحجاز:

أ - المدينة المنورة: نزع عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري الذي كان أميراً على الطائف، وهو الذي ولاه، وعاد بعد سنتين فعزله وولى عبد الواحد بن عبدالله بن بشر النضري، فكان أحب الولاة إلى أهلها، ولا يقوم على أمر حتى يستشير سالم بن عبدالله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

ب - مكة المكرمة: كان أميرها عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد فعزله، وضم مكة إلى المدينة المنورة عام ١٠٣ هـ فأصبح أمير المدينة هو أمير المدينتين.

٣ - العراق: كانت العراق مسرح كثير من الأحداث، والتغيير في الولاة.

أ - الكوفة: منذ أيام عمر بن عبد العزيز كان أمير الكوفة عبد الحميد ابن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، إلا أن مسلمة بن عبد الملك قد عزله عندما جاء إلى العراق، وولى مكانه محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط المعروف بـ(ذا الشامة)، ثم تسلم مسلمة الكوفة وأبقى عليها محمد بن

عمرو الأمير السابق، ثم غدا عمر بن هبيرة على العراق كله والشرق مكان مسلمة.

ب ـ البصرة: أرسل عمر بن عبد العزيز إلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة وكان يكره آل المهلب، سجن عدي أولاد المهلب وهم: المفضل، وحبيب، وعبد الملك، ومروان، وبقي محمد من أولاد المهلب خارج السجن لكن يزيد بن المهلب قد فر من سجن عمر بن عبد العزيز وتمكن أيام يزيد أن يغلب على البصرة، ويخرج إخوته من السجن، ويسجن الأمير السابق عدي بن أرطأة، ويبعث عماله إلى الأهواز، وكرمان، وفارس، وقد أرسل أخاه مدركاً إلى خراسان، وسار هو إلى واسط وولى على البصرة أخاه مروان.

أرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك لقتال ابن المهلب وأرسل أمامه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك بأربعة آلاف فارس فوصل إلى الحيرة قبل وصول يزيد بن المهلب إليها، وجاء مسلمة بن عبد الملك بأهل الشام وقد سار إلى الجزيرة محاذياً نهر الفرات.

استخلف يزيد بن المهلب ابنه معاوية بن يزيد على واسط وسار هو لقتال أهل الشام وقد أرسل أمامه أخاه عبد الملك بن المهلب فالتقى بالعباس ابن الوليد فانتصر عبد الملك في أول الأمر ثم هزم وسار نحو أخيه للقاء مسلمة ابن عبدالملك قرب الأنبار وكذلك تحرك العباس بن الوليد نحو عمه مسلمة.

جاءت الجموع إلى يزيد بن المهلب فجعل عليها أخاه المفضل، ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها يزيد بن المهلب وأخوته حبيب ومحمد، وانتصر أهل الشام، وعاد المفضل إلى واسط حيث ابن أخيه معاوية بن يزيد بن المهلب الذي قتل الأسرى لديه عندما علم نبأ المعركة ومنهم عدي بن أرطأة وابنه محمداً. وفي الوقت نفسه سار مسلمة بن عبد الملك إلى الحيرة فدخلها.

سار آل المهلب من واسط إلى البصرة ومنها ركبوا السفن وانتقلوا إلى كرمان فأرسل مسلمة بن عبد الملك في إثرهم مدرك بن ضب الكلبي فاقتتلوا فقتل المفضل بن المهلب ومعه النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ومحمد ابن اسحاق بن محمد بن الأشعث كما قتل جريحاً عثمان بن اسحاق بن محمد بن الأشعث، وطلب الأمان مالك بن ابراهيم بن الأشتر النخعي فأعطيه. ثم قتل آل المهلب جميعهم، ولم ينج منهم سوى أبي عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهما لحقا بأرض خاقان ورتبيل.

وقام بأمر البصرة بعد خروج آل المهلب منها شبيب بن الحارث التميمي، فلما ضمت إلى مسلمة بن عبد الملك بعث إليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي، ثم عاد فبعث إليه ابن عمه عبد الملك بن بشر بن مروان. ثم عزل مسلمة بن عبد الملك وضمت البصرة تحت إمرة عمر بن هبيرة.

٤ - خراسان: كان أميرها عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، ثم سيطر عليها آل المهلب، وتولى أمرها مدرك بن المهلب، ولما هزم أرسل مسلمة بن عبد الملك إليها ختنه زوج ابنته سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص المعروف باسم (خذينة) إلا أن عمر بن هبيرة قد عزله وولى مكانه سعيد بن عمرو الحرشي عام ١٠٣ هـ، ولم يلبث سوى عام حتى عزل وتولى مكانه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابي.

٥ - أرمينيا واذربيجان: كان عليها الجراح بن عبدالله الحكمي، وكانت له غزوات فيها.

٦ - مصر: توفي أيوب بن شرحبيل الذي ولاه عمر بن عبدالعزيز فولّى يزيد على مصر بشر بن صفوان الكلبي عام ١٠١ هـ ثم بعد مدة أرسله إلى إفريقية والياً وعين أخاه مكانه حنظلة بن صفوان فبقي أميراً حتى تولى الخلافة هشام بن عبدالملك عام ١٠٥ هـ.

٧ - افريقية: سار الجند في افريقية على أميرها يزيد بن أبي مسلم فقتلوه وولوا مكانه محمد بن يزيد[1] مولى الأنصار وأخبر بذلك يزيد بن عبد الملك فأقر الوالي الجديد على عمله ولكن لم يطل أمره إذ أرسل الخليفة إلى افريقية بشر بن صفوان الكلبي من مصر، وأرسل والي افريقية إلى الأندلس وهو عنبسة بن سحيم الكلبي.

---

(١) محمد بن يزيد: أرسله سليمان بن عبدالملك من الشام والياً على افريقية عام ٩٧ هـ، وعزله عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ فلما تولى يزيد بن عبدالملك ولّى على افريقية يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فأراد أن يسير بافريقية سيرة الحجاج بالعراق، فقتله الجند وأعادوا محمد بن يزيد، وكان في غزو صقلية ثم عاد، وكتبوا إلى الخليفة: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا علينا محمد ابن يزيد، فكتب إليهم الخليفة إني لم أرض بما صنع ابن أبي مسلم، وأقر محمد بن يزيد على عمله، فكانت ولايته الثانية ولكنها لم تطل.

الفتوحات

غزا العباس بن الوليد بلاد الروم عام ١٠٣ هـ على رأس صائفة، كما غزاها سعيد بن عبد الملك. وغزا عمر بن هبيرة أرمينيا فهزم أهلها وأسر سبعمائة أسير عام ١٠٢ هـ وأما الجراح بن عبدالله الحكمي أمير أرمينيا فقد غزا بلاد اللان عام ١٠٥ هـ.

وسار عنبسة بن سحيم الكلبي أمير الأندلس فدخل فرنسا، واستولى على سبتمانيا، ووصل إلى حوض الرون، واستولى على مدينة ليون، وتوغل في اقليم بورغونيا. وغزا محمد بن يزيد صقلية.

ونقض أهل الصغد العهد فغزاهم المسلمون عام ١٠٢ هـ وهزموهم فارتحلوا إلى ملك فرغانة يطلبون معونته ضد المسلمين، وكرر سعيد بن عمرو الحرشي غزو بلاد الصغد عام ١٠٤ هـ، كما غزا مسلمة بن سعيد الترك عام ١٠٥ هـ.

الخوارج

لما مات عمر بن عبد العزيز أرسل عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب جيشاً بإمرة محمد بن جرير لمحاربة شوذب زعيم الخوارج . فانتصر الخوارج على أهل العراق وتبعوهم حتى وصلوا إلى اخصاص الكوفة والتجؤوا إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وقد جرح الأمير محمد بن جرير ، ورجع شوذب إلى مكانه ينتظر عودة رسولية إلى عمر بن عبد العزيز فلما رجعا أخبراه بما صار إليه أمر عمر وأن قد مات .

أقر يزيد بن عبد الملك عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على الكوفة ، وأرسل إلى الخوارج جيشاً يقوده تميم بن الحباب ويتكون من ألفي رجل . فقتله الخوارج وهزموا أصحابه ، ثم وجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي فقتلوه وهزموا أصحابه . فوجه إليهم الشحاع بن وداع في ألفين فقتلوه وقتلوا نفراً من أصحابه منهم ابن عم شوذب هُدبة اليشكري .

جاء مسلمة بن عبد الملك والياً على العراق فدخل الكوفة ، ودعا سعيد ابن عمرو الحرشي فعقد له على عشرة آلاف ووجهه إلى شوذب ، فهزم عدة مرات ثم حملوا على الخوارج حملة رجل واحد فطحنوهم حيث كانوا قلة وقتل شوذب .

هشَام بن عَبْد الملك

١٠٥ - ١٢٥ هـ.

حَيَاته

ولد هشام بن عبد الملك في دمشق عام ٧٢ هـ ، وأمه عائشة بنت هشام بن اسماعيل المخزومي . كان جميلاً أبيض يخضب بالسواد ، أحول ، ذكياً له بصر بالأمور جليلها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة ، يعرف بالبخل ، ويكره سفك الدماء .

استخلف هشام بعد وفاة أخيه يزيد ، وبعهد منه ، لأربع بقين من شعبان عام ١٠٥ هـ وعمره آنذاك أربعة وثلاثون عاماً .

كان يولي أبناءه أمر الجهاد والغزو في أرض الروم وخاصة معاوية ، وسليمان ، وأخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن عمه مروان بن محمد ، ولم يكن هشام ليعطي أحداً من بني مروان عطاءه حتى يغزو ، فكان بعضهم يغزو ، ويرسل بعضهم بديلاً عنه للقتال .

وأعمر الأرض ، وبنى الرصافة بالقرب من الرقة ، وكان يقضي صيفه فيها .

تزوج هشام بن عبد الملك أم حكيم بنت يحيى بن الحكم فأنجبت له سليمان

أبا الغمر الذي قتله أبو العباس السفاح ، ومسلمة ، ويزيداً ، وسعيداً ، ومحمداً .

وتزوج أم عبده بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فولدت له يحيى ، وعبدالله .

وتزوج أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له مروان .

وله من الأولاد من أمهات أولاد : معاوية الذي توفي في حياة أبيه عام ١١٩ هـ ، وقاد الصوائف إلى بلاد الروم عشر سنوات ، وهو والد عبد الرحمن الداخل الذي أسس الدولة الأموية في الأندلس . وعبد الرحمن ، وعثمان ، وقريش ، وخلف ، والوليد ، وعبد الملك وله من البنات عدد أشهرهن : أم سلمة ، وأم هشام .

وتوفي في الرصافة يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر عام ١٢٥ هـ .

الولايات

كانت الولايات أيام هشام بن عبد الملك بصورة عامة هادئة سوى بعض حركات الخوارج التي قامت في العراق وثورة زيد بن علي بالكوفة، والدعوة العباسية التي كانت تنتشر بصمت في خراسان فإذا عرف بعض أتباعها قتلوا. كذلك قامت حركة يحيى بن زيد بعد هشام. أما في الأندلس وفرنسا فقد كانت فيها فتوحات إذ لم تكن وصلت إليها الخلافات، وكان المجاهدون فيها لا يزالون بعيدين عن التناحر، ولكنه لم يلبث ان دخل اليهم. ثم انسحب المسلمون من وسط فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء، واستقروا في جنوبي فرنسا.

١ ـ الشام: لم يحدث في الشام ما يلفت الانتباه وكانت إماراتها بيد أمراء من بني مروان في أغلبها، وتنطلق الغزوات من إماراتها الشمالية حيث يجتمع الغزاة في الصوائف والشواتي نحو بلاد الروم.

٢ ـ الحجاز: كانت إمارات الحجاز كلها: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف بيد عبد الواحد بن عبدالله النضري، ثم إن هشام بن عبد الملك قد عزله عن الحجاز، وأعطاها لخاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي عام ١٠٦ هـ. وفي عام ١١٤ هـ عاد فعزل خاله ابراهيم بن هشام عن الحجاز، وأمَّر خاله محمد بن هشام بن اسماعيل على مكة المكرمة، بينما أعطى أمر المدينة إلى خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، ثم عاد فعزل خالد عن المدينة وضمها إلى محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي وذلك عام ١١٨ هـ.

٣ ـ العراق: منذ أن تولى هشام الخلافة عزل عمر بن هبيرة عن العراق وسائر المشرق، وأعطاها إلى خالد بن عبدالله القسري، ثم بعد أربعة أعوام انتزع خراسان منها وأعطاها إلى أشرس بن عبد الله السلمي. وفي عام

١٢٠ هـ عزل هشام عن العراق خالد بن عبدالله القسري وولى مكانه يوسف ابن عمر الثقفي[1] الذي كان عاملاً له على اليمن، ولم يلبث أن خرج فيها زيد بن علي بن أبي طالب، وكان من قبل يقيم بالمدينة بعندما سجن يوسف بن عمر والي العراق سلفه خالد بن عبدالله القسري ذكر أنه قد أودع أموالاً عند زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولكن زيد قد أقسم عند والي المدينة بعدم صحة ذلك وسار إلى دمشق، وأقسم أيضاً أمام هشام ثم سار إلى العراق، وبقي فيها عدة أشهر وبيّن للوالي أنه لم يودع عنده أية أموال من قبل خالد بن عبدالله القسري، وكان يوسف بن عمر يدعوه للخروج من العراق فيتعلل ببعض أعماله وكان يتردد عليه بعض أنصاره يدعونه للخروج على بني أمية حتى خرج عام ١٢١ هـ، وقد نصحه بعدم الخروج محمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب، وذكّره بفعل أهل العراق مع علي، والحسن، والحسين إلا أنه خرج بأربعة عشر ألفاً، إلا أن أتباعه قد خذلوه وبدؤوا يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فذكرهما بخير، فانفضّوا من حوله، فأطلق عليهم اسم «الرافضة» وبقي معه عدة مئات، فقاتل بهم قتالاً لا مثيل له، ثم استشهد بعد قتال عدة أيام وذلك عام ١٢٢ هـ، وكان يهزم الجموع أمامه، ثم أصيب عند المساء وافترق الطرفان ظناً بحلول الليل،

---

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي: أبو يعقوب، ولد في البلقاء بشرقي الأردن عام ٦٥ هـ حيث كانت منازل أهله، وتولى إمرة اليمن لهشام بن عبدالملك عام ١٠٦ هـ، ثم نقل إلى العراق، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، وأضيفت إليه إمرة خراسان، عذب سلفه في إمرة العراق خالد بن عبدالله القسري في السجن ثم أطلقه فأقام بدمشق حتى عاد الخليفة فأرسله إليه فعذبه حتى مات، وهرب يوسف من العراق عام ١٢٦ بعد موت الوليد بن يزيد بن عبدالملك، وقبض عليه وسجن في دمشق، فأرسل اليه يزيد بن خالد بن عبدالله القسري من قتله بالسجن عام ١٢٧ هـ، ثأراً لأبيه. كان يوسف صغير الجسم، قصير القامة، عظيم اللحية، فصيحاً جواداً، عنيفاً، يضرب به المثل في التيه والحمق فيقال: أتيه من أحمق ثقيف.

وفي الصباح لم تقم لجماعة زيد قائمة . وإلى زيد هذا تنتسب الفرقة الزيدية الموجودة في اليمن ، وتعد أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة . أما ابنه يحيى فقد استجار بعبدالملك بن بشر بن مروان فأجاره ، فلما بلغ ذلك يوسف أخبره بأنه إن لم يأت به ليكتبن ذلك إلى أمير المؤمنين ، فأخبره عبد الملك بأنه لم يكن له أن يخفي من يقاوم سلطانهم أبداً ، فقبل منه يوسف ، وكفّ عن طلبه ، فلما سكن الطلب خرج في جماعة له واتجه إلى خراسان .

٤ ـ خراسان : منذ أن تولى خالد بن عبدالله القسري أمر المشرق عزل مسلم بن سعيد عن خراسان وولى أمرها أخاه أسد بن عبد الله القسري ، فأرسل أسد إلى عبدالرحمن بن نعيم الغامدي أن يقوم بأمر الجند فقال مسلم ابن سعيد: سمعاً وطاعة ، وأبدى أسد شيئاً من العصبية لليمانية فعزله هشام عام ١٠٩ هـ عن خراسان كما فصلت عن العراق حتى تخرج عن يد خالد بن عبدالله ، فاستخلف أسد مكانه على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، ولكن هشام لم يلبث أن أرسل أشرس بن عبدالله السلمي .

ثم عُزل أشرس بن عبدالله السلمي عن خراسان عام ١١١ هـ ، وولي أمرها إلى الجنيد بن عبدالرحمن المري ، فتعصب لمضر ، ولكنه توفي عام ١١٦ هـ ، واستخلف مكانه عمارة بن حريم حتى تولى أمر خراسان عاصم بن عبدالله .

خرج في خراسان عام ١١٦ هـ الحارث بن سريج وطالب بانصاف المظلومين فقاتله أميرها حتى انتصر عليه ، وفي عام ١١٧ هـ عاد هشام فعزل عاصم بن عبدالله عن خراسان وأعاد ضمها الى والي العراق خالد بن عبدالله القسري الذي بعث إليها أخاه أسداً .

وعندما تولى العراق وسائر المشرق يوسف بن عمر الثقفي أرسل إلى

خراسان جديع بن علي الكرماني ، ثم عزله وولى مكانه نصر بن سيار.

وقد بقي يحيى بن زيد بن علي مختبئاً بخراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى مات هشام.

٥ ـ أرمينيا: ولّى هشام بن عبدالملك على أرمينيا عام ١١١ هـ الجراح بن عبدالله الحكمي ، وبقي عليها حتى استشهد عام ١١٢ هـ ، وكان قد استخلف أخاه الحجاج ، ثم كان مسلمة بن عبد الملك ، وقد خلف على باب الأبواب بعد غزوه الحارث بن عمرو الطائي. وفي عام ١١٤ هـ تولّى أمر ارمينية مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان.

٦ ـ مصر: تولى أمر مصر في بداية عهد هشام بن عبدالملك بن عبدالملك أخوه محمد بن عبد الملك بن مروان ، ولكنه لم يلبث ان استبدل بالحر بن يوسف الأموي الذي بقي في منصبه عامين (١٠٦ ـ ١٠٨) ، ثم خلفه حفص بن الوليد الحضرمي إلا أن عبد الملك بن رفاعة قد عاد مرة ثانية إلى إمرة مصر ، ولكنه توفي بعد خمسة عشر يوماً من تسلمه الأمر وذلك في مطلع عام ١٠٩ هـ ، فاستخلف أخاه مكانه وهو الوليد بن رفاعة فأقره هشام على ذلك ، وبقي الوليد في عمله حتى توفي عام ١١٧ هـ. فاستعمل هشام بعده عبد الرحمن بن خالد إلا أنه كان ليناً فشكاه أهل مصر إلى الخليفة فعزله ، وأعاد إلى الإمرة حنظلة بن صفوان الكلبي للمرة الثانية وذلك عام ١١٩ هـ وبقي فيها حتى أرسله هشام إلى إفريقية عام ١٢٤ هـ بعد مقتل كلثوم بن عياض القشيري ، وولى مكانه حفص بن الوليد الحضرمي واستمر حتى بعد هشام بن عبدالملك أياماً.

٧ ـ إفريقية: كان والي إفريقية بشر بن صفوان عندما بدأت خلافة هشام بن عبد الملك ، وعندما توفي استخلف قبل موته نفاش بن قرط الكلبي

الذي أسرف في اذلال القيسية ثم إن هشاماً عيّن على إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن القيسي فبطش بعمال سابقيه من اليمانية وبآل موسى بن نصير.
وفي عام ١١٦ أرسل والي مصر الوليد بن رفاعة إلى افريقية عبيدالله بن الحبحاب فولى على طنجة عمر بن عبيدالله المرادي فأساء معاملة البربر، وولى على بلاد السوس ابنه اسماعيل فأساء معاملة البربر ايضاً، الأمر الذي دعاهم إلى الثورة، واستغلوا غياب جيش المغرب خارج البلاد في غزو صقلية عام ١٢١ فإمرة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.

تحرك البربر عام ١٢١ بإمرة ميسرة الزناتي، وساروا إلى طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبيدالله المرادي، ثم اتجهوا إلى بلاد السوس وقتلوا العامل هناك أيضاً اسماعيل بن عبيدالله بن الحجاب، ثم هزموا وتحصنوا في طنجة، ثم رجعوا وحاولوا السيطرة على القيروان فبدد شملهم عامل طرابلس صفوان بن مالك ثم تم لهم احراز بعض النصر فأرسل لهم الخليفة جيشاً بإمرة كلثوم بن عياض القشيري وأعطاه ولاية افريقية واستدعى عبيدالله بن الحبحاب إلى الشام.

جرت معركة كبيرة بين جيش الخليفة والبربر فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة وذلك عام ١٢٣ هـ. وتمكن بلج بن بشر القشيري ابن عم كلثوم أن يلجأ إلى طنجة وأن يعتصم فيها.

وبعد مقتل كلثوم بن عياض سيّر هشام بن عبد الملك إلى إفريقية والي مصر حنظلة بن صفوان، وحاول البربر حصاره في القيروان إلا أنه تمكن من انزال الهزيمة بهم الأمر الذي أعاد الهيبة للأمويين في بلاد المغرب.

٨ ـ **الاندلس**: بعد أن استشهد عنبسة بن سحيم الكلبي في غزوة داخل فرنسا عام ١٠٧ هـ، حدثت خلافات استمرت أربع سنوات، ثم تولى أمر

الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، ولكن عبيدالله بن الحبحاب الذي وصل إلى إفريقية قد عزل عبد الملك بأمر الخليفة وأرسل إلى الأندلس عقبة ابن الحجاج السلولي العبسي فسار اليها عقبة وملكها، ودخل فرنسا، واستقر في سبتمانيا، كما فتح بعض أراضي جيليقية في شمال بلاد الأندلس، وقد أسلم على يديه أكثر من ألف رجل، ثم سار أهل الأندلس عليه عام ١٢٣ فخلعوه، وتوفي بعد قليل بقرطبة. ونادى أهل الأندلس بعبد الملك بن قطن الفهري أميراً عليهم.

تحرك البربر في الأندلس فأذن عبد الملك بن قطن الفهري لبلج بن بشر بدخول الأندلس، وكان في طنجة، فدخل بشر وتمكن من الانتصار على البربر في معركة شذونه، وبعدها طلب أمير الأندلس من بلج الخروج من الأندلس فرفض وحدث خلاف بين الطرفين قتل نتيجته عبد الملك بن قطن وغدا بلج بن بشر أمير الأندلس.

لم يلبث بلج بن بشر القشيري أن توفي بعد عام تقريباً متأثراً بجراحه التي أصيب بها في معاركه التي خاضها، وخلفه ثعلبة بن سلامة الذي جاء وبلج مع كلثوم بن عياض إلى افريقية ولكن حنظلة بن صفوان أمير إفريقية قد بعث إلى الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي حسب أوامر الخليفة هشام بن عبد الملك.

الفتوحات

لم تعد هناك فتوحات واسعة كالتي حدثت أيام الوليد، وإنما كانت غزوات يحدث فيها تقدم قليل ثم يعود المسلمون إثرها إلى ثغورهم أو تُفتح رقعة صغيرة من الأرض، أو بعض الحصون، أو يحدث قتال بسبب نقض العهد من قبل أعداء المسلمين الأمر الذي يضطر فيه المسلمون إلى معاودة قتالهم وإجبارهم إلى طلب الصلح ثانية ودفع الجزية.

١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ في بلاد الروم: استمرت الغزوات في أرض الروم طيلة أيام هشام فكانت تندفع الصوائف والشواتي مجاهدة في البر والبحر، ولكن لم تحدث معها تغييرات في الحدود، وإنما توغل في أرض الروم، ثم عودة إلى الحصون الكائنة على مرتفعات جبال طوروس.

وكان أشهر قادة تلك الغزوات: مسلمة بن عبد الملك بن مروان، ومعاوية بن هشام بن عبد الملك، وسليمان بن هشام بن عبد الملك، وعبد الله البطال، وسعيد بن عبد الملك، وابراهيم بن هشام، والوليد بن القعقاع العبسي، والنعمان بن يزيد بن عبد الملك، ومسلمة بن هشام بن عبد الملك. وفي عام ١٠٧ هـ غزا معاوية بن هشام الصائفة، وكان على جيش الشام ميمون بن مهران فقطع البحر إلى قبرص.

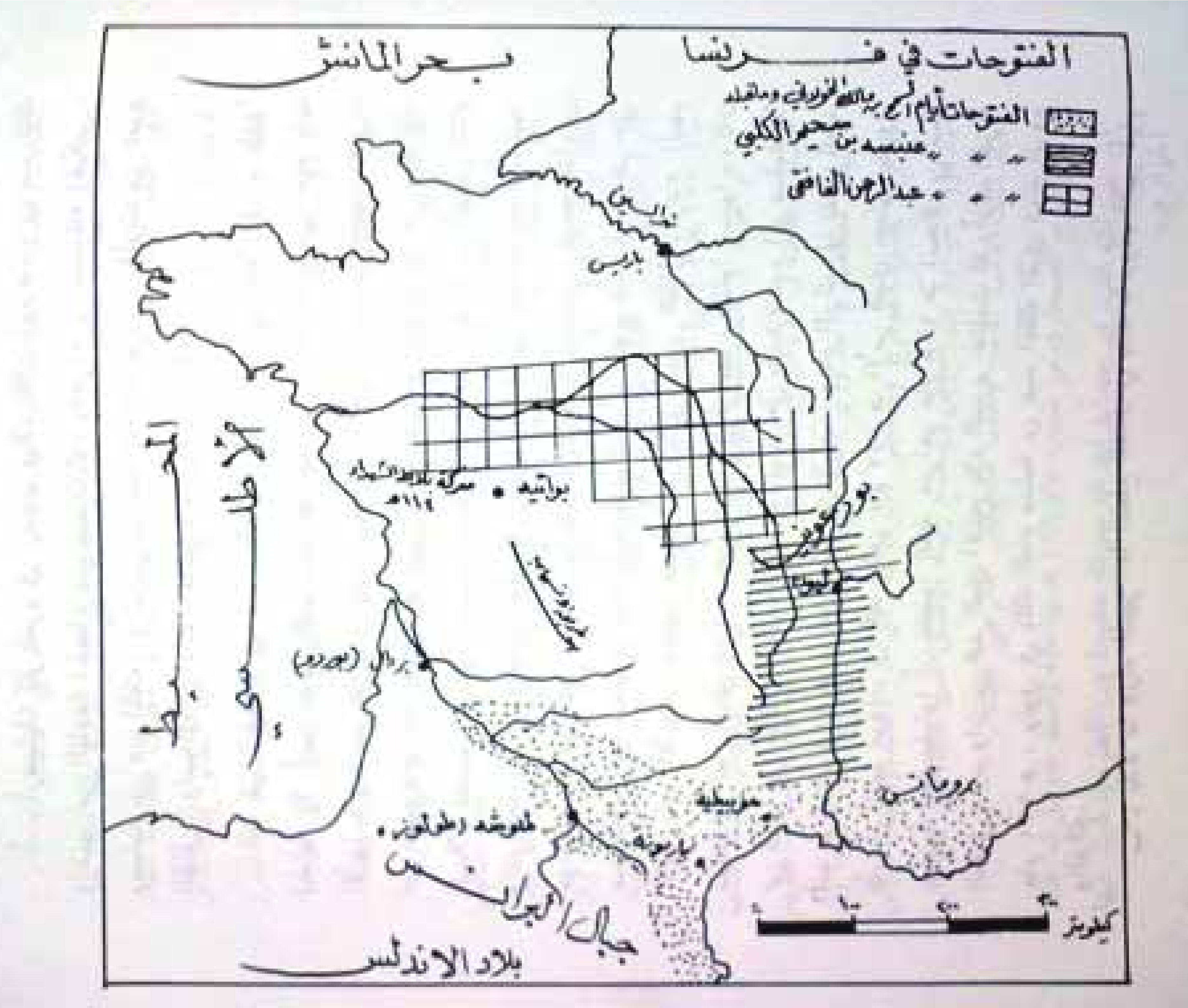
وفتح مسلمة بن عبد الملك عام ١٠٨ هـ مدينة قيصرية، ثم رجع عنها إلى الثغور. ووصل سعيد بن هشام عام ١١١ هـ إلى مدينة قيصرية أثناء توغله في أرض الروم. وهزم عبد الله البطال قسطنطين وجيشه، وأسره. ووصل سليمان بن هشام إلى مدينة قيصرية ثانية.

ورابط معاوية بن هشام عام ١١٣ هـ في ناحية مرعش ، وكان قد فتح حصن خرشنة قبل عام .

ب ـ في البحر : كذلك فقد حدثت غزوات بحرية للجزر الواقعة في البحر الأبيض المتوسط ومن أشهر قادة البحر : عبدالله بن عقبة بن نافع ، وعبدالله بن أبي مريم ، وميمون بن مهران ، وغزا أمير إفريقية جزيرة صقلية عام ١٢١ هـ ، وكان قائد الغزو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الذي استطاع فتح مدينة سرقوسة ، وكذا غزا أمير إفريقية عبيدالله بن الحبحاب جزيرة سردينيا عام ١١٧ هـ بإمرة قثم بن عوانة الذي تمكن من الاستيلاء على قلعة الجزيرة إلا أن المقاتلين قد غرقوا في البحر عند عودتهم . .

حـ ـ في الأندلس : استشهد عنبسة بن سحيم الكلبي بعد تقدمه في فرنسا وفي أثناء عودته إلى قاعدته ، فأضعف قتله معنويات المسلمين فاضطروا إلى الانسحاب إلى ناربونة قاعدته في جنوب فرنسا ، وتولى أمر الأندلس عبد الرحمن الغافقي فخرج في ثمانية آلاف مقاتل واستولى على اكيتانيا ، كما ضم إليه وادي الرون ثانية ، واستعان دوق اكيتانيا بالفرنجة فجمع شارل مارتل جنداً كثيراً كان أكثرهم عراة وجرت معركة في بواتييه بعد مناوشات دامت ثمانية أيام ، ووقع اضطراب في صفوف المسلمين ، وأصيب عبد الرحمن الغافقي ، فاختلفت كلمة رؤساء الجند ، فانسحبوا ليلاً دون علم الفرنجة وذلك عام ١١٤ هـ وعرفت تلك المعركة باسم بلاط الشهداء ، ولم يبق للمسلمين في فرنسا سوى مقاطعة سبتمانيا .

ودخل عقبة بن الحجاج سبتمانيا ، وقام بفتح بعض المناطق التي بقيت مستعصية على المسلمين في شمال بلاد الأندلس .


الفتوحات في فرنسا
الفتوحات أيام السمح بن مالك الخولاني وما قبله
عنبسة بن سحيم الكلبي
عبد الرحمن الغافقي
بحر المانش
المحيط الأطلسي
باريس
بواتييه
معركة بلاط الشهداء
١١٤هـ
ليون
بروفانس
ناربونة
جبال البرانس
بلاد الأندلس
كيلومتر

٢ - الجبهة الشرقية:

أ - أرمينيا: كثر الغزو في ارمينيا وبلاد اللان أيام هشام بن عبد الملك واشتهر من القادة: الحجاج بن عبد الملك، والجراح بن عبدالله الحكمي، ومسلمة بن عبد الملك، وأشرس بن عبدالله السلمي، والحارث بن عمرو الطائي، واسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان بن محمد.

فقد غزا الحجاج بن عبد الملك بلاد اللان فصالح أهلها على أن يؤدوا الجزية إلا أنهم نقضوا العهد فغزاهم مسلمة بن عبد الملك من جهة باب الأبواب وهزمهم عام ١١٠ هـ، وسار الترك إلى أذربيجان فلقيهم الحارث ابن عمرو عام ١١٢ هـ فردهم على أعقابهم مهزومين، وتحركوا من جهة بلاد اللان فلقيهم الجراح بن عبدالله الحكمي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان في العام نفسه، ولم يكن جيشه قد اكتمل إعداده بعد فاستشهد هو ومن معه من الجند بأرديبل وأخذ الترك مدينة أردبيل، فوجه هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة في شتاء بارد غزير المطر والثلوج فسار في اثرهم حتى تجاوز باب الأبواب فخلف عليها الحارث بن عمرو الطائي. وعاد إليهم مسلمة في العام التالي ١١٣ هـ ففرق جنده في أرضهم، فقتلوا وسبوا، وكان ممن قتلوا ابن خاقان الترك، فتأثر خاقان لما حلّ بابنه فتقدم إلى مسلمة إلا أنه هزم عام ١١٤ هـ ورجع مسلمة عن الباب، وعاد الترك إلى نقض العهد فأرسل إليهم مروان بن محمد يغشهم عام ١١٧ هـ الأمر الذي جعلهم يقرون بالجزية، ولم يلبثوا أن نقضوا العهد فغزاهم عام ١٢٠ هـ اسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان بن محمد الذي افتتح بلاد السرير فدانت له وأدت الجزية عام ١٢١ هـ، وتوفي في ذلك العام مسلمة بن عبد الملك الذي دوخ الروم والترك.

ب - بلاد ما وراء النهر: ما انقطع القتال في بلاد ما وراء النهر أيام

هشام بن عبد الملك واشتهر من القادة: أسد بن عبدالله القسري، ومسلم بن سعيد، والجنيد بن عبد الرحمن، وسعيد بن عمرو الحرشي، ونصر بن سيار.

غزا مسلم بن سعيد الترك فأتى فرغانة وفروا من أمامه عام ١٠٦ هـ، وفي العام الذي تلاه غزا أسد بن عبدالله القسري الجبال فصالحه الملك نمرون وأسلم على يديه، كما سار إلى جبال هراة، ومنها انطلق إلى الختل فحاربهم حتى أجبرهم على الصلح، ثم نقضوا عهدهم فقاتلهم سعيد بن عمرو الحرشي وهزمهم في عدة وقائع عام ١١٢ هـ، لكنهم لم يلبثوا أن هاجموا سمرقند فاستنجد أميرها بالجنيد بن عبد الرحمن، فانتصرت الترك وقتلت عدداً كبيراً من المسلمين، ثم ثبت المسلمون فردوا الترك وهزموهم.

وغزا أسد بن عبدالله القسري عام ١١٩ هـ بلاد الختل، وقتل ملكهم بدر طرخان، كما سار إلى بلاد الترك فلقى خاقان فقتله، وتوفي أسد بعد ذلك عام ١٢٠ هـ. وسار نصر بن سيار إلى بلاد ما وراء النهر مرتين، وفي المرة الثالثة أسر الملك كورصول وقتله عام ١٢١ هـ، وصالح أهل الصغد عام ١٢٣ هـ، وغزا في العام نفسه فرغانة مرتين.

ثم خرج في العام نفسه وزير السختياني بالحيرة واجتمعت حوله جماعة قليلة وعاثت في الأرض فساداً فأرسل لهم والي العراق قوة انتصرت عليهم وقتلت معظمهم وأخذ وزير السختياني وبعض أصحابه أسرى، وحملوا إلى الوالي، فقتل الخوارج واستبقى أميرهم لما رأى من ذكائه وبيانه، وكان يدعوه أحياناً من السجن ويستمع إليه ووصل خبر ذلك إلى هشام بن عبد الملك فأنّب الأمير وطلب منه قتل الخارجي فقتله.

وخرج الصحاري بن شبيب عام ١١٩ هـ بناحية واسط فأرسل له خالد ابن عبدالله القسري جنداً، فجرت معركة عظيمة بين الطرفين أبيد فيها الخوارج.

الخوارج

كانت حركات الخوارج أيام هشام بن عبد الملك موضعية فلم تتجاوز أرض العراق، وعلى نطاق ضيق فلم تتجاوز مساحات صغيرة، ولم تتعد عدداً محدوداً من الرجال، ولم تستمر إلا مدة بسيطة إذ لا يلبث مثيرها ومشعل فتنتها أن يقتل وتنتهي بموته الحركة التي قام بها، ثم تقوم حركة ثانية وهكذا.

فقد خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة بأربعين رجلاً في قرية من قرى الموصل عام ١١٩ هـ فأرسل إليه والي العراق خالد بن عبد الله القسري جماعة من الشام جاءوا في الأصل مارين بالعراق وذاهبين مدداً لعامل الهند فعندما نزلوا الحيرة أرسلهم خالد بن عبدالله للخوارج إلا أنهم هزموا، فلما بلغت هزيمتهم خالد أرسل إلى الخوارج جماعة أخرى فالتقت بهم بين الموصل والكوفة ولكنها لم تلبث أن هزمت أمام الخوارج وعادت فلولها إلى الذي أرسلها وهو بالكوفة ينتظر نتيجة المعركة. وأراد بهلول أن يسير إلى الشام فخافه عمال المدن، فأرسل إليه خالد جماعة من الشام وأخرى من العراق، وعبأ له عامل الجزيرة جنداً ولم يكن مع بهلول سوى سبعين رجلاً، والتقى الخوارج بجموع أعدائهم قرب الموصل، فقتل بهلول بعد أن استخلف بعده دعامة الشيباني، ومن بعده عمرو اليشكري، وبعد قتل بهلول وهزيمة الخوارج ترك دعامة جماعته من بقي من الخوارج وفرّ وحده.

وخرج بعدئذ وفي العام نفسه عمرو اليشكري إلا أنه لم يلبث أن قتل.

وخرج العنزي صاحب الأشهب في ستين رجلاً فوجه إليه خالد بن عبدالله القسري أربعة آلاف بإمرة السمط بن مسلم البجلي فالتقى الجمعان على الفرات فهزم الخوارج، وقتلت فلولهم عند الكوفة من عامة الناس.

الدَّعوَة العبَّاسِيَّة

كان بكير بن ماهان مع الجنيد بن عبد الرحمن في السند يعمل ترجماناً له فقدم بكير إلى الكوفة عام ١٠٥ هـ في بدء خلافة هشام بن عبد الملك فالتقى هناك بدعاة الدعوة العباسية مثل أبي عكرمة، وأبي محمد الصادق فذكروا له الدعوة لبني هاشم فوافقهما على العمل في عدادها، ودخل على محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس، فوجد محمد في بكير ضالته فقدّمه، ومات داعية بني العباس ميسرة فكان بكير مكانه، فوجه إلى خراسان أبا عكرمة، وأبا محمد الصادق فانكشف أمرهما بعد أن وشي بهما إلى والي خراسان أسد بن عبدالله القسري فقتلهما عام ١٠٧ هـ وعاد فوجه دعاة آخرين إلى خراسان عام ١٠٨ هـ فكان مصيرهم مصير سابقيهم نفسه، إلا أن الدعوة قد توسعت فقتل الجنيد بن عبد الرحمن أحد هؤلاء الدعاة وأعلن أن دم من يقتل من هؤلاء يذهب هدراً وذلك عام ١١٣ هـ، فخاف الناس إلا أن الشدة وحدها لا تكفي للوقوف في وجه دعوة.

وعاد أسد بن عبدالله القسري مرة ثانية إلى ولاية خراسان وذلك عام ١١٧ هـ، واتخذ سبيل الشدة في مقاومة أنصار العباسيين.

ووجه بكير بن ماهان إلى خراسان عمّار بن يزيد ليكون أميراً على أنصار الدعوة العباسية فجاء عمار إلى مرو، وغيّر اسمه إلى خداش فأطاعه عدد من الناس، ثم انقلب على العباسيين ودعا إلى الاباحية ورخص لبعض أصحابه في نساء بعض، وادعى أن ذلك عن أمر محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس، فلاحقه أسد بن عبدالله فعثر عليه وقتله عام ١١٨ هـ إلا أن محمد بن علي قد انكر أمر أنصاره في خراسان واتباعهم خداش، ونفض يده منهم وانقطع عن مراسلتهم، فأرسلوا إليه سليمان بن

كثير ليتعرف على أسباب الجفوة لكن سليان عاد دون جواب ، فأرسل إليهم بكير بن ماهان كتاباً يعلمهم أن خداش سار على خط لا ترضى عنه الدعوة وفيه مخالفة صريحة إلا أن أنصارهم في خراسان قد استخفوا بكتاب بكير ولم يصدقوه فسار بكير إلى محمد بن علي فبعث لهم معه ما يبين له مخالفتهم للدعوة فرجعوا عن غيّهم وتابوا .

ومات محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عام ١٢٤ هـ ، وقام بعده بشأن الدعوة ابنه ابراهيم بن محمد بن علي .

وظهر في هذه الآونة أبو مسلم الخراساني الذي كان في السجن يخدم أحد عمال خالد بن عبدآلله القسري الذي سجنهم والي العراق يوسف بن عمر الثقفي فاشتراه بكير بن ماهان ، وأرسله إلى ابراهيم بن محمد بن علي ، فأعطاه إلى أبي موسى السراج ليؤديه فسمع منه وحفظ .

الوليد بن يزيد

١٢٥ - ١٢٦هـ

حَيَاتُه

ولد الوليد بن يزيد عام تسعين للهجرة ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ابنة أخ الحجاج بن يوسف والي العراقين أيام عبد الملك وابنه الوليد ، ويكنى أبا العباس .

عهد إليه بالخلافة أبوه يزيد بن عبد الملك بعد عمه هشام بن عبد الملك ، وكان عمه يكرمه حتى ظهرت عليه علامات الاستهتار والشراب فوقعت بينهما وحشة . فعزم هشام على خلعه وتولية ابنه مسلمة بن هشام ، ففر الوليد إلى البرية ، ولم يزل بها حتى مات هشام ، وكان الزهري يحث هشاماً على خلعه ، ومات الزهري قبل تولية الوليد ، ولو عاش لناله من الوليد أذى كبير . وكان هشام يخشى الفتنة فلم يقدم على خلعه .

بويع الوليد بعد وفاة عمه هشام في ٦ ربيع الآخر . وعمره خمسة وثلاثون عاماً ، فسار في أول الأمر بالناس سيرة حسنة فأعطى زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ، وزاد في الأعطيات . وكان كريماً وشاعراً مجيداً .

عقد من بعده لولديه الحكم وعثمان ولاية العهد ، وبعث بالبيعة إلى والي العراقين يوسف بن عمر الثقفي ، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيّار .

ولّى على الحجاز (المدينة ومكة) خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي وعزل خالَي عمه هشام، ابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل المخزومي وأمر خاله أن يقيمهما بالمدينة مهانين، ثم يبعث بهما إلى العراق إلى يوسف بن عمر الذي عذبهما حتى ماتا.

وفي أيامه غزا أخوه الغمر بن يزيد بن عبد الملك قبرص، وخيّر أهلها بين تنقلهم إلى الشام أو إلى بلاد الروم لما كان يبدو منهم حيناً بعد حين فانتقلت جماعة إلى الشام واختارت جماعة بلاد الروم.

وفي عهده قتل يحيى بن زيد بن علي زين العابدين إذ كان مختفياً بخراسان عندما مات هشام بدار الحريش بن عمرو بن داود بمدينة بلخ، فوصل خبره إلى يوسف بن عمر فكتب بذلك إلى نصر بن سيّار الذي أرسل إلى نائب بلخ يعلمه بخبر يحيى فبعث نائب بلخ إلى الحريش وضربه ستمائة سوط ولم يعلمه بشيء عن أمر يحيى، ثم أخبر عنه ولد الحريش، فأخذ يحي وسجن، وكتب نصر بن سيار بذلك إلى يوسف بن عمر فبعث الى الوليد بما تم، فكتب الوليد إلى نصر يأمره بإطلاقه وإرساله إليه مع أصحابه فامتثل نصر وفعل ذلك، فلما كان يحيى ببعض الطريق توسم نصر به غدراً فأرسل إليه جيشاً من عشرة آلاف فقاتلهم يحيى وليس معه سوى سبعين رجلاً، وهزمهم، وقتل أميرهم، وأخذ منهم أموالاً كثيرة، ثم جاءته قوة أخرى فقتلته وجميع أصحابه.

أساء الوليد لولد عمه فضرب سليمان بن هشام مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، وغرّبه إلى عمان حيث حبسه هناك وأرسل العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الرصافة ليحصي أموال هشام وولده إلا مسلمة بن هشام وأن يأخذ عمّاله وخدمه ففعل ذلك، ثم أساء كذلك إلى أولاد عمه الوليد بن عبد الملك.

وأساء إلى اليمانية إذ قتل خالد بن عبدالله القسري حيث سلمه إلى خصمه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين وكان يقيم بدمشق منذ عام ١٢١ هـ فعذبه يوسف حتى مات.

وأساء إلى نفسه إذ بايع لولديه ولم يبلغا سن الرشد بعد. وأسرف في شهواته وانتهك المحرمات فثقل ذلك على الناس ونقموا عليه، وبايعوا سراً ابن عمه يزيد بن الوليد، وكان معروفاً بصلاحه، فنادى يزيد بخلع الوليد الذي كان غائباً بالاغدف من عمان من جهات الأردن، وقد وضع نائباً عنه بدمشق خاله عبد الملك بن محمد بن يوسف الثقفي الذي فرّ إلى قطنا وتحصين بها واستخلف ابنه على دمشق. واستطاع يزيد بن الوليد أن يدخل دمشق وأن يرسل جماعة من أصحابه بإمرة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك إلى الوليد بن يزيد فقتلوه في البخراء في القصر الذي كان للنعمان بن بشير.

وكان مقتله في ٢٨ جمادى الآخرة فكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر تقريباً.

وكان للوليد من البنين الحكم، وعثمان، ويزيد، والعباس، والعاص، وسعيد، وموسى، والفتح، وفهد، وقصي، ولؤى، وواسط، وذؤابة، والمؤمن. وله عدة بنات.

ومن زوجاته عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب، وقد أنجبت له عثمان، وأم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وولدت له سعيداً.

يَزِيدُ بنُ الوَلِيدِ

١٢٦ - ١٢٦هـ

حياته

ولد يزيد بن الوليد بدمشق عام ٩٠ هـ ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى ، وقد سباها قتيبة بن مسلم الباهلي ، هي وأختاً لها فبعثهما إلى الحجاج بن يوسف ، فأرسل بهذه إلى الوليد ، واستبقى أختها عنده ، فولدت هذه يزيد بن الوليد ، وقد عرف بالناقص وذلك لأنه أنقص ما زاده الوليد على الأعطيات ، ويبدو أن الذي أطلق عليه ذلك ابن عمه مروان بن محمد .

كان رجلاً صالحاً نقم على ابن عمه الوليد بن يزيد بسبب ما انتهكه من حرمات ، وقتله لذلك ، وكان يقال : الأشج والناقص أعدلا بني مروان ، والمراد بالأشج عمر بن عبد العزيز .

بويع للخلافة بعد مقتل ابن عمه الوليد بن يزيد في ٢٨ جمادى الآخرة عام ١٢٦ هـ ، وتوفي بالطاعون في ٧ ذي الحجة من العام نفسه وبذا تكون خلافته ما يقرب من ستة أشهر ، ويكون قد عاش ستاً وثلاثون سنة .

كان يزيد أسمر طويلاً ، صغير الرأس ، بوجهه خال ، وكان جميلاً .

وله من الأولاد : خالد ، والوليد وقد قتلهما مروان بن محمد ، وعبدالله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، وأبو بكر ، وعلي ، وعبد المؤمن ، والأصبغ .

وقد اضطربت الأمور على يزيد، وانتشرت الفتن، واختلفت كلمة بني مروان.

وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك بعمان من سجن الوليد، فاستولى على الأموال والأرزاق، ثم جاء بعد هذا كله إلى دمشق، وصار يلعن الوليد فأكرمه يزيد، وردّ إليه أمواله التي أخذها منه الوليد، وتزوج أخته أم هشام.

وثار أهل حمص، وساروا إلى دار العباس بن الوليد بن عبد الملك فهدموها، ففر العباس منهم إلى دمشق، وبدأ أهل حمص يطالبون بدم الوليد بن يزيد، وعدوا خليفتهم ابنه الحكم بن الوليد، فخلعوا أميرهم مروان بن عبدالله بن عبد الملك وقتلوه وابنه، وأمّروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، وكتبوا إلى الأجناد يطلبون الأخذ بثأر الوليد فأتتهم أعداد، ثم ركب أبو محمد السفياني في أهل حمص وسار إلى دمشق فتلقاهم سليمان بن هشام بجيش كثيف أرسله إليهم يزيد بن الوليد، وجعل جيشاً آخر بإمرة أخيه عبد العزيز بن الوليد يرابط عند ثنية العقاب (الثنايا)، وتركزت جماعة أخرى عند عقبة (السليمة)، وجاء أهل حمص فالتقت القوتان في سفوح الجبل، وهُزم أهل حمص وقُتل منهم الكثير، وأخذ السفياني أسيراً، ثم بايعوا يزيداً.

وثار أهل فلسطين وبايعوا يزيد بن سليمان بن عبد الملك، وبايع أهل الأردن محمد بن عبد الملك بن مروان فأرسل إليهم يزيد جيشاً من أهل الشام وحمص بإمرة سليمان بن هشام فانتصر عليهم، وبايعوا يزيداً.

وعزل يوسف بن عمر الثقفي عن العراق، وأرسل مكانه منصور بن جمهور وضم إليه مع العراق السند، وسجستان، وخراسان وفر يوسف إلى

أرض البلقاء من نواحي الأردن ، فأحضره الخليفة ، وحاسبه ، وسجنه .

ثم عاد يزيد فعزل منصور بن جمهور عن العراق وولى مكانه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وأقر نصر بن سيار على خراسان .

وكان مروان بن محمد بأرمينيا واذربيجان يحرض على المطالبة بدم الوليد بن يزيد ، وسار نحو دمشق فلما بلغ حرّان أظهر الموافقة وبايع .

ثم إن الخليفة يزيد بن الوليد قد عزل عن الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

وبايع يزيد من بعده لأخيه ابراهيم بن الوليد ثم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . ولم يلبث يزيد أن توفي بالطاعون في ٧ ذي الحجة من العام نفسه ١٢٦ هـ .

وبدأت الفتنة في هذه الآونة تظهر بين القيسية واليمانية ، ولطالما كانت مجالاً للحماس في الجهاد ، وتسهيلاً لأمور العطاء ، وجمع المقاتلين فلما ضعف الجهاد انقلبت إلى عصبية نتنة ، وبدأت تطول قرونها .

وظهرت الفتنة بشكل خاص في خراسان حيث كانت اليمانية تشكل أكثر جندها ، وحيث كان لآل المهلب بن أبي صفرة الأزدي أنصار ، وخصوم لمن خضد شوكتهم ، ثم جاء أسد بن عبدالله القسري ، وأخوه خالد بن عبدالله والي العراقين فعادت إلى اليمانية قوتهم ، إلا أن يوسف بن عمر الثقفي قد اذلّ القسريين ، وغدا نصر بن سيار الكناني والي خراسان وهو من القيسيين . وكان أول من أثار الفتنة بخراسان رجل عرف باسم الكرماني حيث ولد بكرمان .

إبراهِيم بن الوَليد

١٢٧ هـ.

حياته

لما وصل خبر وفاة يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد وهو في حرّان بالجزيرة وبيعة ابراهيم بن الوليد سار نحو دمشق وخلف ابنه عبد الملك بن مروان بن محمد في أربعين ألفاً يرابطون في الرقة، فلما كان في قنسرين وعليها بشر بن الوليد اصطدما وطلب مروان أخذ البيعة لنفسه فمال إليه من جند قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية، وأسلموا له بشراً وشقيقه مسروراً، فحبسهما، وسار ومن معه من جند الجزيرة وقنسرين نحو حمص وكان أهلها قد رفضوا بعد يزيد بيعة ابراهيم ومن بعده عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك.

أرسل ابراهيم بن الوليد إلى حمص عبد العزيز بن الحجاج فحاصرها فلما اقترب منها مروان فكّ عبد العزيز عنها الحصار واتجه نحو مروان، فخرج أهل حمص وانضموا إلى مروان، وجرت معركة بين الطرفين انتصر فيها مروان الذي كان يدعو إلى بيعة ولدي الوليد بن يزيد وهما: الحكم وعثمان، وكانا سجينين في دمشق.

ولما وصلت فلول جيش ابراهيم بن الوليد إلى دمشق رأوا قتل من في السجن فقتل الحكم وعثمان ولدا الوليد، ويوسف بن عمر الثقفي، ودرأ عن نفسه السفياني إذ لم تلبث أن وصلت جيوش مروان إلى دمشق ودخلتها.

وهرب منها ابراهيم بن الوليد، وسليمان بن هشام، وقتل عبد العزيز بن الحجاج.

وخرج في الكوفة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقد شجعه بعض الناس على الدعوة لبني هاشم وقد وقعت الفتنة في بني مروان ففعل بينما هو قادم لزيارة الأمير عبدالله بن عمر بن عبد العزيز في الكوفة لا للدعوة إلى البيعة إلا أن أصحابه قد خذلوه فهزم ففر إلى المدائن ومنها إلى الجبال فغلب عليها.

وكان ابراهيم بن الوليد يكنى بأبي اسحاق، وأمه أم ولد، وقد بقي في الحكم مدة سبعين يوماً فقط، ثم خلع، وبقي حتى أصيب عام ١٣٢ هـ.

وله من الأولاد: اسحاق، واسماعيل، ويعقوب، وموسى، وعبيدالله.

مـروان بن محمّد

١٢٧ - ١٣٢هـ.

حَيَاته

ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم عام ٧٢ هـ بالجزيرة ، وكان أبوه محمد بن مروان واليا عليها ، ويكنى مروان بأبي عبد الملك ، ويلقب بالحمار لجرأته في الحروب ، كما يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم .

كان مروان أبيض ، ضخم الهامة ، بليغاً ، وكاتبه عبد الحميد الكاتب المشهور .

غزا أرض الروم عام ١٠٥ هـ وفتح مدينة قونية ، كما قام بعدد من الغزوات ، وهو أمير أرمينيا وأذربيجان بعد أبيه .

ومن اولاده : عبدالله ، وعبيدالله ، وعبدالملك ، وعبدالرحمن ، وعبدالغفار ، وعثمان ، وابو عثمان ، ويزيد ، وأبان ، ومحمد .

بويع بالخلافة بعد دخوله دمشق في الأيام الأواخر من عام ١٢٦ هـ ، واستمر خليفة حتى أواخر عام ١٣٢ حيث زال حكمه بزوال دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس ، فكانت خلافته ما يقرب من ست سنوات ، وعاش ما يقرب من ستين عاماً .

لما دخل دمشق فرّ منها ابراهيم بن الوليد ، واخذ سليمان بن هشام ما في بيت المال من أموال وهرب أيضاً ، وثار والي الوليد بن يزيد السابق عليها

على عبد العزيز بن الحجاج فقتله . وجيء إلى مروان بولدي الوليد بن يزيد وهما : الحكم ، وعثمان مقتولين ، وكذا يوسف بن عمر فدفنهم ، وجاء أبو محمد السفياني الذي كان مسجوناً معهم ـ وقد نجا من القتل ـ فسلم على مروان بالخلافة ، فعندما أجابه مروان : مه ، ادعى أن الغلامين قد جعلاها له من بعدهما ، ثم بايعه وبايعه أهل حمص ودمشق ، فاختار الأمراء للولايات . ولما استقرت له الأمور بالشام رجع إلى حرّان فأقام بها . ثم إن ابراهيم بن الوليد قد طلب منه الأمان فأعطاه إياه ، وكذلك سليمان بن هشام الذي جاءه مع أهل تدمر وبايعه .

ولم يستقر في حرّان سوى ثلاثة أشهر حتى قامت ضده الحركات فبدأ ينتقل من مكان إلى مكان يقضي على هذه ، ويقاتل تلك .

ثار أهل حمص فجاء إليهم بجيش ومعه ابراهيم بن الوليد ، وسليمان بن هشام فدخل حمص ، وأعلن أهلها الطاعة إلا أنه قتل عدداً منهم .

وثار أهل غوطة دمشق ، وأمّروا عليهم يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، فبعث إليهم مروان جيشاً انتصر عليهم ، وأحرق بلدة المزة وعدة قرى وقتل يزيد بن خالد القسري .

وثار ثابت بن نعيم في أهل فلسطين ، وسار إلى طبريا فحاصرها ، فأرسل إليهم مروان من فك الحصار عن طبريا ، وتتبعهم أبو الورد أمير جيش مروان إلى فلسطين .

ورجع مروان إلى الجزيرة عن طريق تدمر ، وفي الرصافة استأذنه سليمان للبقاء فيها ريثما يعافى من مرضه فأذن له ، واشتغل مروان بقتال الخوارج . وجاءت سرايا من الجند إلى الرصافة ، وكان مروان قد أرسلها بهمات إلى عدة جهات ، فكلّم رؤساؤها سليمان في اخذ البيعة لنفسه وخلع مروان ففعل فبايعه الجند ، وسار الى قنسرين ، وكاتب أهل الشام ويزيد بن

عمر بن هبيرة والي العراق فأرسل إليهم مروان جيشاً بإمرة عيسى بن مسلم فالتقى الطرفان بأرض قنسرين فاقتتلوا وجاء مروان بنفسه إلى المعركة فانتصرت قواته ، وقتل ابراهيم بن سليمان بن هشام أكبر أولاد أبيه ، وفرّ سليمان إلى حمص ، واحتمى فيها ، وساعده أهلها ، وجمع حوله فلول جيشه ، وجاء مروان إليهم وحاصرهم واستمر الحصار عشرة أشهر ، وانفلت سليمان ابن هشام بجماعة من الجند نحو تدمر ، ثم إن أهل حمص قد نزلوا على حكم مروان بعد ذلك الحصار الطويل .

ووقعت العصبية في العراق فكانت القيسية مع النضر بن سعيد الحرشي ، واليمانية مع عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، وحدث بين الطرفين صراع إلا أنه توقف بسبب الاتفاق على قتال الخوارج . ثم ولى مروان عام ١٢٩ على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وعزل ابن عمر بن عبد العزيز عنها .

وقاتل يزيد بن عمر بن هبيرة أنصار عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب وقد استولوا على منطقة الجبال فهزمهم وأسر عدداً منهم ، من بينهم عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس الذي كان معهم .

ورجع إلى خراسان الحارث بن سريج وكان قد لجأ إلى بلاد الترك فكتب إليه يزيد بن الوليد وأعطاه الأمان فعاد عام ١٢٧ هـ ، وبعودته كادت أن تقع فتنة بسبب مفارقته للوالي نصر بن سيار ، ولكن الحارث قتل بعد مدة . كما وقعت الفتنة بين نصر بن سيّار والكرماني ، ثم توسعت بين القيسية التي دعمت الوالي نصر بن سيار وأتباع أبي مسلم الخراساني الذي اعتمد على اليمانية .

وقتل نصر بن سيّار خصمه الكرماني فانضم أنصاره إلى جند أبي مسلم فزاد عدد أنصاره وأتباع الدعوة العباسية .

الخوارج

خرج في العراق سعيد بن بهدل الشيباني أثناء فتنة مقتل الوليد بن يزيد ، واجتمع حوله عدد كبير من الخوارج فجاءتهم جيوش الخليفة وبدأ القتال بين الطرفين ، ومات سعيد بن بهدل بالطاعون واستخلف مكانه الضحاك بن قيس الشيباني الذي قاتل أهل العراق وانتصر عليهم ، وقتل عدداً كبيراً من بينهم عاصم بن عمر بن عبدالعزيز أخو أمير العراق عبدالله ابن عمر بن عبد العزيز ، ثم دخل الضحاك الكوفة بعدما انتصر على أهلها ، وجاء أمير العراق إلى الكوفة فجرت بين الطرفين معارك واسعة انتقل بعدها الأمير إلى واسط ، وسار وراءه الضحاك فحاصره فيها ، فراسله الأمير بأن يفك الحصار ويسير إلى الخليفة فإن انتصر عليه تبعه ففعل ، وسار الضحاك إلى الموصل فدخلها ، وقتل نائبها ، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر لحمص فكتب إلى ابنه عبدالله أن يتتبع الضحاك فسار إليه ، وهو محاصر نصيبين ، وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها الضحاك ، وكان قد استخلف مكانه رجل يدعى « الخيبري » ، وتبع الخوارج سليمان بن هشام بن عبدالملك وأهل بيته ومواليه ومن معه من جيشه ، فسار إلى الخوارج مروان بنفسه وكان في القلب ، وعلى ميمنته ابنه عبدالله ، وعلى الميسرة اسحاق بن مسلم العقيلي ، والتقى الجمعان وشدّ الخوارج على القلب فهزم مروان وهو عليه وثبتت الميمنة والميسرة فحملوا على الخوارج فأزالوهم عن مواضعهم وقتل الخيبري ، وفرّ أصحابه . وتولى أمر الخوارج بعده شيبان بن عبد العزيز اليشكري فاقترح عليه سليمان بن هشام أن يعتصم بالموصل ، فتحصن بها ، وسار إليه مروان ، وجرت هناك معارك بين الجانبين استمرت سنة كاملة .

وكتب مروان إلى والي العراق الجديد يزيد بن عمر بن هبيرة أن يقاتل

الخوارج وأن يتتبعهم حيثما ساروا ، وقد تمكّن يزيد أن يستعيد الكوفة منهم ، وأن يقضي على قسم كبير منهم ، ثم أرسل سرية لدعم مروان في حصاره لمدينة الموصل ، وعندما جاءت النجدة لمروان ترك الخوارج الموصل وساروا إلى حلوان ، ومنها إلى الأهواز ، فلحقتهم قوات ابن هبيرة حتى قضت على معظمهم ، أما سليمان بن هشام الذي كان معهم فقد سار وأهله إلى السند عن طريق البحر . وعاد مروان بعدها إلى حرّان فأقام بها .

وخرج أبو حمزة الخارجي ، وسار إلى الحج عام ١٢٩ هـ ، وهادن أمير الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وبعد الموسم سار نحو المدينة ودخلها عام ١٣٠ هـ واستولى عليها وبقيت بيده ثلاثة أشهر ، وفرّ منها أميرها عبد الواحد ، فأرسل مروان قوة من أهل الشام إلى المدينة فالتقت مع الخوارج بوادي القرى فهزمتهم ودخلت المدينة ، ثم تابعت سيرها إلى مكة فاليمن فخرج إمامها عبدالله بن يحيى الذي كان أبو حمزة الخارجي يدعو له ويقاتل باسمه ، وقد تمكن أهل الشام من قتل عبدالله بن يحيى هذا . فولى مروان على الحجاز محمد بن عبدالملك بن مروان .

وخرج في خراسان أيضاً شيبان بن سلمة الخارجي عام ١٣٠ هـ فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني قوة استطاعت قتله والقضاء على أتباعه .

الدّعوة العبّاسيّة

أرسل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بكير بن ماهان إلى خراسان عام ١٢٦ هـ ، فقويت شوكتهم هناك ، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بابراهيم بن محمد عام ١٢٧ هـ ، وقدموا له خمس أموالهم.

أرسل ابراهيم بن محمد أبا مسلم الخراساني إلى خراسان ، وطلب من شيعته الطاعة له عام ١٢٨ هـ ، فلم يطيعوه فرجع إلى ابراهيم فأعاده ، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ أن أمير خراسان نصر بن سيار كان يعتمد على القيسية .

وطلب ابراهيم بن محمد من أبي مسلم الخراساني التوجه إليه عام ١٢٩ هـ فسار نحوه ، وبينما هو في بعض الطريق جاءه كتاب آخر يطلب منه العودة إلى خراسان ، وأنه قد بعث له راية النصر ، وعليه أن يعلن الدعوة بعد أن كانت سرية .

أظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة ، وطلب من سليمان بن كثير أن يصلي العيد بالناس فأرسل إليهم نصر بن سيار قوة ، ولكن جند أبي مسلم كانوا قد استولوا على هراة ، وكشف أمر ابراهيم بن محمد من الرسائل ومعروف أنه يقيم بالحميمة ، فبعث مروان إلى واليه على دمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبدالملك أن يقبض عليه ، ويقيده ، ويرسله إليه ، فأرسل إلى نائبه على البلقاء فقبض على ابراهيم في الحميمة فأرسله إلى دمشق ، ومن هناك سُيّر إلى حران حيث سجن حتى مات في السجن أو قتل في صفر عام ١٣٢ هـ ، وقد أوصى عند اعتقاله من بعده لأخيه عبدالله بن محمد وأمره أن يسير إلى الكوفة مع أعمامه فأنزلهم أبو سلمة الخلال في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكتم أمرهم ٤٠ يوماً ، وما زال يتنقل بهم حتى تم لهم فتح البلاد ، ثم

بويع للسفاح . ثم تمكن أبو مسلم من دخول مرو قاعدة خراسان وانتزاعها من يد نصر بن سيار عام ۱۳۰ هـ ، كما أخذ أبو مسلم مدينة بلخ ، وهكذا أصبح القسم الشرقي والجنوبي من خراسان بأيدي أبي مسلم الخراساني الذي أرسل جنداً وراء نصر بن سيار الذي اتجه غرباً يتعقبه ، والتقى الطرفان بطوس ، وانتصر جند أبي مسلم وقتل قائد قوات نصر وهو ابنه تميم . وأرسل يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق مدداً إلى نصر بن سيّار ولكن جند بني أمية قد هزموا ثانية . وتوفي نصر بن سيار عام ۱۳۱ هـ قريباً من مدينة همدان .

سار قحطبة بن شبيب قائد جند أبي مسلم قاصداً يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق ، وهزم يزيد أمام قحطبة الذي اتجه نحو الكوفة ليدخلها فتبعه يزيد ، وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها قحطبة ، وقد تولى قتله معن بن زائدة ، واستخلف قحطبة مكانه ابنه الحسن الذي سار نحو الكوفة فإذا بمحمد بن خالد بن عبدالله القسري قد خرج فيها ودعا لبني العباس ، وأخرج عاملها من جهة ابن هبيرة ، فاتجه عندئذٍ الحسن بن قحطبة إلى واسط . وقتل ابن هبيرة في المعارك الدائرة بين الطرفين .

أما مروان فقد غادر حران عام ۱۳۱ هـ ونزل على نهر الزاب الكبير بين الموصل واربيل .

ولما علم أهل الكوفة بقتل ابراهيم بن محمد أخرج نقباء الدعوة العباسية السفاح عبدالله بن محمد ، وبايعوه ، وكان أول من بايعه أبو سلمة الخلال الذي قيل عنه أنه أراد نقل البيعة إلى آل علي . وخرج السفاح إلى المسجد فخطب في الناس ، ثم أخذ البيعة منهم ، ثم خرج وعسكر خارج الكوفة بعد أن استخلف عليها عمه داود ، وبقي في معسكره شهراً أرسل خلال ذلك الوقت القادة ردءاً لجنده في كل جهة .

سار عون بن أبي يزيد نحو نهر الزاب الكبير حيث التقى بمروان ، كما

جاء عبدالله بن علي عم السفاح وقاد القتال، وانهزم أهل الشام، وغرق عدد كبير منهم في النهر من بينهم ابراهيم بن الوليد الخليفة المخلوع، وفرّ مروان إلى حران فمكث فيها قليلاً، ثم استخلف عليها ابن اخته أبان بن يزيد وانطلق منها هارباً، وهو زوج ابنته أم عثمان، فلما وصل عبدالله بن علي إلى حران استقبله أبان وأعطاه الطاعة فأقره على عمله، وتبع مروان.

سار مروان إلى قنسرين ومنها إلى حمص، وحاول أهل حمص قتله ولكنهم هزموا، ووصل إلى دمشق عن طريق بعلبك، وكان والي دمشق ختنه الوليد بن معاوية بن مروان. وانتقل مروان من دمشق إلى فلسطين في طريقه إلى مصر. ووصل عبدالله بن علي إلى دمشق وقد كثر جنده إذ جاءه أخوه عبدالصمد على رأس أربعة آلاف مقاتل وهو في قنسرين، وجاءه أخوه صالح على رأس عشرة آلاف مقاتل إلى دمشق، فحاصر الجميع دمشق عدة أيام ثم دخلوها وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وابيحت ثلاث ساعات.

وجاء كتاب أبي العباس إلى عمه عبدالله بن علي يطلب فيه ارسال صالح بن علي على رأس قوة لمتابعة مروان، وأن يبقى عبدالله بن علي والياً على الشام ففعل.

دخل مروان مصر، وتتبعه العباسيون حتى قتلوه في كنيسة أبو صير في ٦ ذي الحجة عام ١٣٢ هـ، وبقتل مروان زالت دولة بني أمية، وقامت دولة بني العباس.

أما أوضاع الجناح الغربي من العالم الاسلامي يومذاك فقد امتدت إليه الفتنة أيضاً كما امتدت إلى الشرق حتى غمرته.

مصر: بعد أن سيّر هشام بن عبدالملك أمير مصر حنظلة بن صفوان إلى المغرب عام ١٢٤. أعطى أمر مصر إلى حفص بن الوليد الحضرمي فبقي

أميراً عليها حتى عام ١٢٧ حيث عزل، وأعطيت الإمارة إلى حسان بن عتاهية التجيبي ولكنه لم يبق سوى ستة عشر يوماً، وأعيد حفص بن الوليد الحضرمي فبقي عاماً في عمله ثم عزل وقتل؛ وتولى أمر مصر الحوثرة بن سهيل الباهلي مدة ثلاث سنوات (١٢٨ - ١٣١) ثم ارسل لقتال العباسيين فلقي هناك مصرعه، وولى مروان بن محمد على مصر المغيرة بن عبيدالله الفزازي الذي توفي عام ١٣٢ لكنه استخلف ابنه الوليد مكانه فلم يقره مروان، وأرسل إلى مصر عبدالملك بن مروان بن موسى بن نصير، وهو آخر من تولى أمر مصر لبني أمية.

افريقية: زادت الفتنة بين العرب والبربر، وقوي أمر الخوارج، وضعف أمر بني أمية فاستغل هذا الضعف عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة نافع فاستولى على المنطقة، وسار نحو القيروان فحاصرها فخرج منها أميرها حنظلة بن صفوان واتجه نحو الشام عام ١٢٧ هـ، ودخلها عبد الرحمن. وتمكّن عبد الرحمن من قمع حركات الصفرية من الخوارج، وبعد مدة توفي عبد الرحمن بن حبيب فتنازع آله على الإمارة، إذ اختلف حبيب بن عبدالرحمن بن حبيب وعمه عبد الوارث بن حبيب، وناصر عبد الوارث الخوارج ليؤيدوه ضد ابن أخيه، وبهذا الاختلاف، وضعف الدولة الأموية في الشام عادت إلى الخوارج قوتهم وتمكنوا من السيطرة على أكثر أجزاء المغرب.

الاندلس: وكثرت الفتنة في الأندلس، فكانت بين العرب والبربر، وبين القيسية واليمانية من العرب، وبين الشاميين والحجازيين.

فعندما أرسل هشام بن عبدالملك والي مصر إلى إفريقية امره ان يرسل أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس، فسار إليها من تونس،

وأقام بقرطبة، ولما رأى أن الشاميين قد كثروا في الأندلس رغب في تفرقتهم، فأنزل أهل دمشق (البيرة) لشبهها بها، وسماها دمشق، وأنزل أهل حمص (اشبيلية)، وسماها حمص، وأنزل أهل الأردن (رية)، وسماها الأردن، وأنزل أهل فلسطين (شذونه)، وسماها فلسطين.

كان أبو الخطار أعرابياً متعصباً لقومه من اليمانية، وهذا ما أسخط القيسية عليه فثاروا عليه بإمرة الصميل بن حاتم، وجرت معارك بين الطرفين انتصرت فيها القيسية فعزل أبو الخطار، وتولى أمر الأندلس ثوابة ابن سلامة إلا أن الأمر كله كان بيد الصُميل بن حاتم.

انتقل أبو الخطار إلى (باجة)، والتفت حوله اليمانية، فعادت الفتنة من جديد بين القيسية واليمانية وجرت الحرب، وقتل أبو الخطار حيث قتله الصُميل بن حاتم عام ١٣٠ هـ، وتولى أمر الأندلس يوسف بن عبدالرحمن الفهري وبقي حتى جاء عبدالرحمن الداخل الأموي فقاومه يوسف والصميل وقتلا.

المراجع والمصادر

١ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب — يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي المتوفى عام ٤٦٣ هـ طبعة دار الفكر ـ بيروت عام ١٣٩٨ هـ .

٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة — أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) المتوفى عام ٨٥٢ هـ . طبعة دار الفكر ـ بيروت عام ١٣٩٨ هـ .

٣ ـ الاعلام — خيرالدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩٩ هـ .

٤ ـ أغاليط المؤرخين — محمد أبو اليسر عابدين

٥ ـ البداية والنهاية — الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ .

٦ ـ تاريخ الأمم والملوك محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ ـ دار الفكر بيروت ١٣٩٩

٧ ـ تاريخ الاسلام — حسن ابراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية طبعة عام ١٣٨٤ هـ .

٨ ـ جمهرة أنساب العرب ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الرابعة

٩ ـ الخوارج في المغرب الاسلامي — محمود اسماعيل ـ دار العودة ـ بيروت ١٣٩٦ .

١٠ ـ الدولة العربية وسقوطها — يوليوس ولها وزن ترجمة يوسف العش ـ مطبعة الجامعة السورية عام ١٣٧٦ هـ .

١١ ـ سير أعلام النبلاء — محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١ هـ .

١٢ ـ صفوة الصفوة — عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧ هـ ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد ـ الهند ١٣٥٥ هـ .

١٣ ـ الطبقات الكبرى ابن سعد — محمد بن سعد المتوفى عام ٢٣٠ هـ ـ دار بيروت عام ١٣٩٨ هـ .

١٤ ـ في تاريخ المغرب والأندلس — أحمد مختار العبادي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت عام ١٣٩٨ هـ .

١٥ ـ الفيض القدير شرح الجامع الصغير — عبد الرؤوف المناوي ـ دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ .

١٦ ـ قادة فتح المغرب — محمود شيت خطاب ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

١٧ ـ الكامل في التاريخ — عز الدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ دار صادر ـ دار بيروت طبعة ١٣٨٥ هـ .

١٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر — علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

١٩ ـ مشاهير أعلام الأمصار — ابن حيان البستي المتوفى ٣٥٤ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٩ هـ .

٢٠ ـ معجم البلدان — ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي المتوفى ٦٢٦ هـ ـ دار صادر ـ دار بيروت

٢١ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — يوسف بن تغري بردى المتوفى عام ٨٧٤ هـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة ١٣٨٣ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الوليد بن عبد الملك	٢١١
سليمان بن عبد الملك	٢٢٩
عمر بن عبد العزيز	٢٣٩
بدء الدعوة العباسية	٢٥١
يزيد بن عبد الملك	٢٥٣
هشام بن عبد الملك	٢٦٣
الوليد بن يزيد	٢٨١
يزيد بن الوليد	٢٨٧
ابراهيم بن الوليد	٢٩٣
مروان بن محمد	٢٩٧
المراجع والمصادر	٣٠٩
الفهرس	٣١١